جولة في
جزائر جنوب المحيط الهادي

مشاهدات، وبيان لأحوال المسلمين

بقلم

محمد بن ناصر العبودي

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي يسر لنا ماظنناه عسيراً، واجزل لنا من العطاء كبيراً كثيراً ونصلي ونسلم على نبينا وسيدنا رسول الله، محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد : فإن هذه رحلات إلى جزر نائية عن بلادنا العربية مجهولة لكثير من ابنائها حتى اسماؤها لايكاد يعرفها منهم إلا الصفوة وهي جزر فيجي و(نيوكلدونيا) وجزر هبر يدز المعروفة «بوانا واتو» وجزر سليمان وكلها واقعة في المحيط الهاديء إلى الجنوب من خط الإستواء لذلك شملها اسم جزائر جنوب المحيط الهاديء.

وقد سافرت إلى تلك المنطقة من ذلك البحر المحيط الأعظم مرتين إحداهما كانت لجزر فيجي في عام ١٤٠١هـ والأخرى كانت لجزر المنطقة كلها في عام ١٤٠٣هـ.

فسجلت في مفكرتي جملاً في كلتا الزيارتين مالبثت أن أصبحت كلاماً يصح أن يأخذ صورة الكتاب الذي ينشر و يطوى فصح عزمي على نشره رجاء ألا يطو يه النسيان عند مقتنيه.

وقد حملني على نشره مالمسته بل تيقنته لدى قراء العربية الكرام من محبة للمعرفة بالأقطار البعيدة والإصغاء إلى الأحاديث المفيدة عن أحول المسلمين في البلاد القصية التي يفاجأ بعضهم حينما ينصت إلى همسات الأقلام بفتوحات الإسلام في بلاد لم تخطر ببال القارىء بل لم تدر في خياله.

وهي فتوحات أساسها الحجة لا السيف، وإنما سيفها القول الحق

الذي إذا خالط العقول، وذاقت حلاوته القلوب لم تبغ به بدلاً وإنما بغته البديل من الجنس أو القبيل.

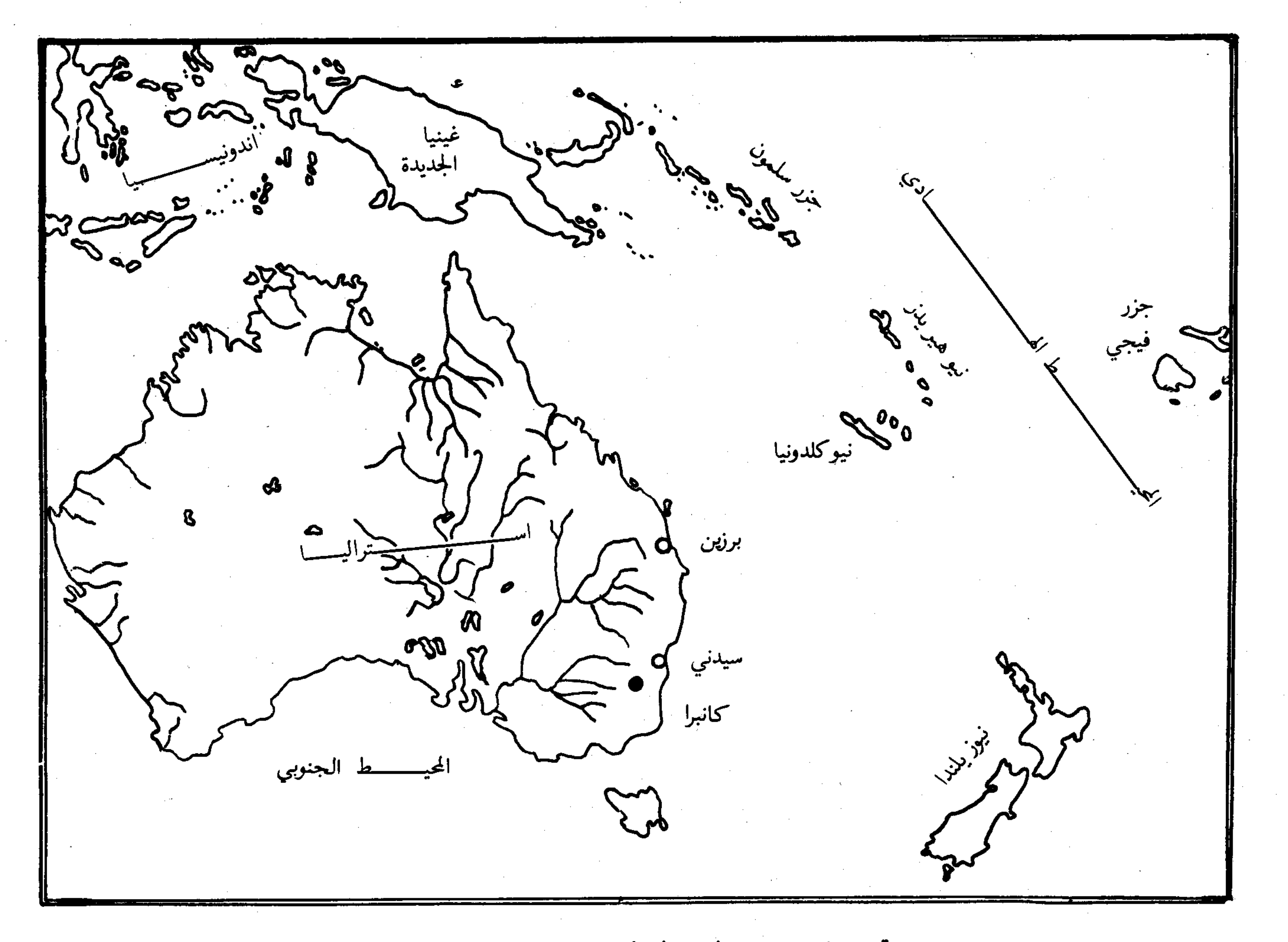
وما أراني بحاجة إلى الإطناب، فيما يحويه الكتاب، فالحكم فيه للقارىء الكريم إذ هو بين يديه، ليحكم مشكوراً أو معذوراً بماله أو عليه.

وعلى الله قصد السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

مكة المكرمة المؤلف

محمد بن ناصر العبودي

إلى جزر فيجي



موقع جزائر جنوب المحيط الهاديء شرق القارة الاسترالية

يوم الأحد ١٤٠١/١١/٢٩هـ ٢٧ سبتمبر ١٩٨١م.

من لوس أنجلوس إلى هونولولو :

أملى علي مكتب شركة كونتنتال للطيران عندما كلمته بالهاتف من الفندق الذي كنت أقيم فيه في مدينة لوس أنجلوس بالولايات المتحدة الأمريكية معلومات عن الرحلة كمايلي:

الرحلة رقم ١ تغادر لوس انجلوس في الساعة الثامنة من مساء الأحد ٢٧ سبتمبر وتصل إلى نادي في جزر فيجي في الساعة الرابعة والنصف من صباح الثلاثاء ٢٩ سبتمبر.

وعندما كنت أقف أمام مكتب الترحيل في المطار لهذه الرحلة وجدت أنها تمر من هونولولو عاصمة جزر هاواي ثم تذهب من هناك إلى نادي في جزر فيجي.

إن جزيرة هونولولو معروفة عندي فقد مررت بها منذ أربع سنوات وأنا راجع من الولايات المتحدة الأمريكية وكان السفر إليها من مدينة سان فرانسيسكو ولذلك لم أرغب في البقاء فيها وإلا لكان ذلك ميسوراً لمثلي لأنها أرض أمريكية وأنا الآن في الولايات المتحدة الأمريكية ولأن ذلك لن يكلفني شيئاً من المال لأنها في طريق الرحلة إلى فيجي.

وقد قصصت قصة المرور بهونولولو في كتاب: «وراء المشرقين».

إنني أكتب هذه الحروف من ركن شركة (كونتنتال) الأمريكية للطيران في مطار لوس انجلوس وأتأمل الركاب المجتمعين الذي سيسافرون على الطائرة نفسها فأجدهم خليطاً فيهم بعض الوجوه غير الصبيحة التي ستصحبنا في هذه الرحلة.

وهي بلا شك وجوه يصح أن تتخذ نماذج للوجوه في تلك الجزر، واذا

كان الأمر كذلك فإنه يكون غير باعث على السرور إذْ أقل مايلتمس المسافر الغريب عن أهله واولاده وأحبابه أن يرى في البلاد التي يزورها مناظر سارة من وجوه الآدميين أو وجه الأرض وطبيعة البلاد.

على أن الوجوه الأمريكية المألوفة في بلادنا وهي وجوه رجال الأعمال الذين هم في منتصف أعمارهم أو تجاوزوها بقليل ووجوه السائحات الأمريكيات من العجائز ذوات الوجوه المتغضنة هي موجودة أيضاً تفرض وجودها هنا على الجميع.

وهناك بعض الوجوه الصفر من سكان البلاد الشرقية الذين فيهم من تعرفه وفيهم من تنكره وفيهم من تود أن تبدي النظر في وجهه ولا تعيده وفيهم من هم خلاف ذلك.

إلى هونولولو :

عندما دخلنا إلى طائرة شركة كونتنتال للطيران الأمريكية كانت الساعة هي الثامنة وخمس دقائق مساءاً وبعد مضي بعض الوقت في إرشاد الركاب إلى أماكنهم في هذه الطائرة الكبيرة التي هي من طراز د س ١٠ أخذت إحدى المضيفات تذيع مادة متلفزة للركاب تبين لهم كيفية المحافظة على سلامة الركوب ومن ذلك كيفية النزول الإضطراري في البر وعلى البحر مع العلم بأن جميع الطيران في هذه الرحلة سيكون فوق مياه المحيط الهاديء ولكن المادة كانت مسجلة لجميع الرحلات التي تطير فوق البحار.

وكان مجرد عرض هذه المشاهد وكأنها حية مما يبعث على الخوف لذلك جاء في التسجيل قول المضيفة في آخره إننا لانريد أن نخوفكم ولكننا نريد أن نجعلكم تعرفون كيف تتصرفون فيما إذا حدث شيء مفاجيء.

وقامت الطائرة في الثامنة والنصف فبدأ المضيفون بتقديم العشاء. ومن الغريب أن فيهم مضيفة كبيرة السن بخلاف العادة ورجلاً قصيراً بديناً تقتحمه العين كأنه من الفلبين أو من هونولولو.

وبعد العشاء عرضوا (فيلماً) طويلاً قاموا بعد انتهائه بالتقاط برامج التلفزيون الأمريكي وكانت غير مكتملة الوضوح بسبب البعد الشديد.

وقبل الوصول إلى هونولولو بقليل قالوا: هذا فلان يحدثكم من مطار هونولولو فتحدث الرجل عن بعض الأشياء المتعلقة بالمطار عامة وبالرحلة خاصة.

لم تكن الرحلة ممتعة لأنها في الليل فوق مياه المحيط فلا يرى المسافر شيئاً يمتعه وكان جاري في المقعد رجلاً من فيجي من اصل هندي فكان يحدثني طول الرحلة عن أشياء من أمر فيجي تهمني معرفتها وبخاصة مما يتعلق بالفنادق وهو هندوكي الديانة.

في مطار هونولولو:

بدأت الطائرة في الهبوط إلى الأرض فأعلنت المضيفة أننا سنبقى في مطار هونولولو حوالي ساعة وأربعين دقيقة قبل أن نواصل سفرنا إلى ناندي أونادي في جزر فيجي ولذلك ينبغي على الركاب المواصلين سفرهم أن يأخذوا معهم أمتعتهم اليدوية. وقد بدت أنوار جزيرة هونولولو ساطعة بإسراف كبير.

ولا عجب في ذلك فهي عاصمة جزر هاواي إحدى الولايات الأمريكية وإن كانت تبعد عن أقرب أرض أمريكية إليها بما يزيد عن أربعة الآف كيلو متر. وهي جزر سياحية يقصدها الناس للراحة والاستجمام والسباحة. وينفقون فيها من الأموال في وقت قصير الشيء الكثير إضافة إلى خبرة الأميركيين الطويلة في جباية الضرائب من

المستثمرين وإنفاقها في المشروعات العامة النافعة.

وحطت الطائرة في المطار الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة والثلاثين صباحاً بتوقيت (لوس انجلوس) بعد طيران استمر خمس ساعات إلا خمس دقائق.

وكانت الساعة في هونولولو هي العاشرة وخمس وثلاثون دقيقة فتوقيتها يتأخر عن توقيت لوس انجلوس بثلاث ساعات.

وهذا معناه أنه يتأخر عن توقيت بلادنا بثلاثة عشرة ساعة، أو قل: إنه يتقدم عنه بإحدى عشرة ساعة.

لقد عرفت هذا المطار قبل أربع سنوات ولكني وجدته مختلفاً كلياً فهو الآن ذو بناء فخم يظهر فيه كما في سائر المرافق الأمريكية البذخ في الإنفاق مع الإتقان في كيفية الانتفاع بها.

وقل ماشئت من المبالغة في التأنق والضبط والاتساع في مرافقه وذلك لأنه أحد المطارات الأمريكية الهامة ولأنه أيضاً محطة هامة من محطات الطيران بين القارات الثلاث الأمريكية الشمالية واستراليا وآسيا.

وقد أسرع الركاب إلى دخول حانوت يبيع البضائع الصغيرة الغالية بدون جمرك ويشترط على من يشترونها أن يكونوا من المسافرين إلى خارج الولايات المتحدة بدون أن يتوقفوا فيها ولما دخلته وجدت أسعاره ليست برخيصة بالنسبة إلى مانعرفه عن أسعار مثل هذه الأشياء التي تشمل الساعات والأقلام وآلات التصوير والهدايا الغالية وقد خبرت ذلك بقيمة ساعتي التي ألبسها فوجدت أنه لافرق بين ثمنها هنا الذي هو معفى من الجمرك وبين ثمنها في مدينة بريدة في القصيم التي اشتريتها منها.

وقد أمضينا بقية الوقت في مشاهدة أركان المطار والتفرج برؤية المسافرين والمقيمين فيه وهم من أمم شتى ولكن أقلهم الأمم المتوسطة في الأشياء مثلنا.

وأذكر أن أوروبياً كلمني بالفرنسية فلما قلت له: إنني لا أعرفها كلمني بالاسبانية فأسفت له أيضاً عن عدم معرفتي بهذه اللغة فسألني متعجباً: إذاً ماهي لغتك الأساسية؟ فقلت: العربية أتعرفها؟ فابتسم وتركني.

وقد رأيت طائفة من العاملات في هذا المطار من أهل البلاد الأصلاء ومن المختلطات مابين البيض والمواطنين أو مابين الصفر والسمر واستعدت في خاطري ماذكرته عنهن عندما زرت جزيرة (هونولولو) أول مرة ولم أعد النظر فيما قلته لأنني فيما خيِّل إليَّ من أمرهن شعرت بأنني قد تأكدت منه.

من هونولولو إلى نادي :

نادي أو نandي هذه مدينة في جزر فيجي وليست هي العاصمة وانما العاصمة هي مدينة (سوفا) ولكن هذه فيها المطار الدولي.

والمشكلة هنا في اسمها فالناس ينطقون به على وجهين أحدهما نادي والآخر نандي حتى في المطارات يختلفون في كتابة اسمها ففي مطار لوس انجلوس كتبوها (نادي). وفي مطار (هونولولو) كتبوا اسمها على لوحة الإرشادات في المطار بأنها ناندي. وبعد ذلك سمعت المذيع يقول من إذاعة فيجي ويكرر ذلك ناندي وفي اللوحات الإرشادية التي هي قرب البلدة كتبوها (نادي). وعندما سألت أحدهم عن هذا الاختلاف قال إن الصحيح أنها نلفظ ناندي وتكتب نادي ولكن بعض الناس يكتبونها كما تلفظ. وبعضهم يكتبونها كتابة اصطلاحية (نادي).

قامت الطائرة في الساعة الثالثة والدقيقة العشرين من بعد منتصف الليل، بتوقيت لوس انجلوس و يوافق الساعة الثانية عشرة والنصف إلا خمس دقائق بتوقيت هونولولو.

واعلنت المضيفة أن مدة الطيران إلى فيجي ستستمر خمس ساعات واربعين دقيقة وسيكون الطيران كله فوق مياه المحيط الهاديء أيضاً ولذلك أعادوا تعليمات النزول الاضطراري وكذلك أيضاً كان الطيران غير ممتع لأنه فوق ظلمات عدة فظلمة الطائرة حينما أطفأوا أنوارها طلباً للهدوء ولتتاح الفرصة لمن يرغبون في النوم في كراسيهم إلى جانب ظلمة الجو في هذه الليلة التي لاقمر فيها يضاف ذلك إلى ظلمة السحاب وتحتها ظلمات المحيط الهاديء الذي لم يصل أي إنسان إلى قاعه حياً حتى الآن. كل ذلك جعل المتعة معدومة في هذه الرحلة.

ليلة غريبة ويوم أغرب :

بدأ الطيران في هذه الليلة بعد غروب الشمس بساعة ونصف واستمر إلى هونولولو قرابة خمس ساعات ولبثنا في مطارها حوالي ساعتين وبعدها الطيران إلى جزر فيجي ست ساعات ومع ذلك فالوصول إليها كان قبل طلوع الفجر مع أن الشمس كانت قد غربت عليّ قبل اربع عشرة ساعة ونصف ولم يطلع الفجر بعد ونحن لسنا في بلاد متطرفة الموقع في جهة الشمال أو الجنوب.

ولكن السبب في ذلك هو أن السفر كله كان إلى جهة الغرب مع ميل إلى جهة الجنوب فنحن اذاً كنا نتبع الشمس.

هذا ماكان من أمر غرابة الليلة واما غرابة اليوم فإن ذكرها سيأتي.

في مطار نادي :

وهو المطار الدولي لجمهورية جزر فيجي وليس هو في العاصمة وإنما

العاصمة (سوفا) تقع بعيداً منه في شاطيء آخر من شواطيء هذه الجزيرة الرئيسية من جزر فيجي التي يبلغ عددها نحواً من ثلثمائة جزيرة.

حطت الطائرة في المطار في الساعة التاسعة والنصف صباحاً بتوقيت مدينة لوس انجلوس التي ابتدأنا منها هذه الرحلة ولكن التوقيت في هذه الجزيرة هو الرابعة والنصف صباحاً ولذلك كان الظلام دامسا وكان الفجر لم يطلع بعد.

وقد كنت أتوقع أن يكون المطار صغيراً وأن يكون غير مرتب بعد المطارات الامريكية الضخمة الفخمة البالغة الإتقان في الترتيب ولكن كان الأمر بخلاف ذلك من حيث التنظيم والنظافة والترتيب.

كان أول مالفت نظري هو الدهليز المتحرك الذي القموه باب الطائرة كما يكون في المطارات الكبيرة أو العالمية.

ثم اخترقنا حاجزاً كتب عليه مكتب التفتيش على الشهادات الصحية وعنده رجل لم يسأل الركاب عنها، وإنما كان ينظر إلى البيانات التي كتبوها للجوازات أهي مستكملة أم غير مستكملة وكان الضابط الذي على مكتب الجوازات هندي الأصل كان ينجز عمله بسرعة ولم يتوقف عند جوازي رغم غرابته عليه وإنما سألني عن المدة التي سأقيمها في فيجي؟

فقلت له : ثلاثة أيام أو أربعة فكتبها شهراً.

ومن هناك انصرفنا من عنده إلى ممر كتبوا عليه شيئاً جيداً جداً وهو بيان شامل مفصل بالفنادق في هذه الناحية يتضمن اسم الفندق وموقعه وأجرة الغرفة فيه للشخص الواحد ولاكثر من شخص ورقم الهاتف فيه حتى إذا أعجبك فندق منها اتصلت به على هاتفه فأرسل إليك سيارة

تأخذك من المطار إلى الفندق.

وبعد ذلك خرجنا إلى ساحة تسلم الحقائب وتفتيش الجمرك فكان ذلك بسرعة ثم إلى قاعة السفر الداخلية فكانت فتاة واقفة ترشد القادمين إلى مكان صرف النقود ثم إلى سيارة الأجرة ولما كنت قد أخذت اسم أحد الفنادق التي ذكرها لي جاري الهندي في الطائرة فقد سألت عن أجرة الوصول إليه؟ فقالوا: إنها خمسة وثمانون سنتاً.

وهذا التنظيم وحسن الأثاث مما يعجب به المرء في هذه البلاد الصغيرة.

ووصلت الفندق في الساعة الخامسة تماماً قبل الفجر وكنت أظن أن اجرته (٤٨) دولاراً من دولاراتهم التي تساوي أكثر قليلاً من الدولار الامريكي ولكنني عندما وصلت إليه قالوا إنها تسعة عشر دولاراً فقط.

فعرفت أنني غلطت في اسم الفندق وكان غلطاً بصواب كما قال الأقدمون إذ وجدت هذا الفندق جيداً إلى رخص سعره.

وبينا كنت أرتب أمتعتي فيه كان الفجر يرسل إليه أول بشائر النور وكانت نافذة غرفتي جهة الشرق.

فأسرعت بالصلاة لأنام قليلاً بعد هذا السهر الطويل والطيران المتصل. ولكن شوقي إلى رؤية هذه الجزيرة طرد من عيني المنام.

اليوم الغريب:

ذلك بأنه يصح أن يقال فيه: يوم الأثنين ٣٠ ذي القعدة ١٤٠١هـ ٢٨ سبتمبر عام ١٩٨١م.

لأنه هو اليوم الذي طلعت علينا شمسه بعد يوم ٢٧ سبتمبر الذي بدأت السفر البارحة في مسائه من لوس انجلوس إلى هذه الجزيرة.

ولكن التقويم العالمي يقول فيه كما قال لي مكتب شركة طيران كونتنتال إنه يوم الثلاثاء ١ ذي الحجة ١٤٠١هـ ٢٩ سبتمبر ١٩٨١م.

وذلك بأننا قد اجتزنا خط الطول الدولي المقابل لخط قرنتش وهو الذي يمر فوق المحيط الهادىء ممتداً جهة الجنوب والشمال وعلى من اجتازه من الشرق إلى الغرب أن يسقط يوماً من حسابه ومن اجتازه من الغرب إلى الشرق كان الأمر بالنسبة إليه بعكس ذلك.

ولكنني عندما وصلت إلى الفندق وسألته عن هذا اليوم، قال إنه يوم ٢٩ سبتمبر فقلت كما قال جاري الهندي في الطائرة ممازحا: لقد وفرت أجرة الفندق ليوم واحد.

فهل يعني ذلك أنني خسرت يوماً واحداً أو ربحته؟

لا أدري غير أنني على أية حال قد فقدت يوم الثامن والعشرين من شهر سبتمبر الذي يوافق ٣٠ من شهر ذي القعدة ١٤٠١هـ.

وهو يوم الإثنين اذْ كنا خرجنا من لوس انجلوس في عشاء يوم الأحد وقبل الفجر من تلك الليلة عند ماوصلنا إلى فيجي كان اليوم هو يوم الثلاثاء.

صباح فيجي :

عند ما ملأ النور الحديقة الواسعة التي تحيط بهذا الفندق الذي نزلت فيه واسمه (قيت وي هوتيل) أي فندق البوابة الخارجية كان المنظر بهيجاً بالنسبة إليّ وكانت الساعة هي السادسة وهي بهجة كنت أشعر بها في العادة عند ما أصل إلى مكان من العالم لم أره قبل ذلك.

وعندما بلغت الساعة السابعة خرجت أبتغي التجول في حديقة

الفندق وبعد طعام الافطار الذي هو بالنسبة الي طعام غداء لأن ساعتي كما هي بتوقيت لوس انجلوس تبلغ الثانية عشرة فكانت أول تحية سمعتها من هذه الجزيرة في هذا الصباح الجميل ذي النسمات الحانية والجو الساجي تغريدة مرحة من بلبل صداح.

والحديقة واسعة منسقة ندية فمتعت نفسي بالسير فيها بعد الجلوس الطويل في الطائرة وكانت التحية الثانية بل التحيات التاليات من عاملات الفندق اللاتي كن يتوافدن عليه للبدء في عملهن اليومي المعتاد في تنظيف الغرف وترتيبها. فكن يسارعن بالتحية والابتسام والسؤال عن الأحوال وكأنما يكون النزيل الغريب مثلي لهن نسيباً أو صديقاً قد أسقطت طول المعرفة وعمقها بينه وبينهن التكلف فكن يسألن عن الأحوال والبلاد وابتساماتهن المرحة تحكي تغريدة ذلك البلبل الصداح أو تكملها.

إلا أنهن كالبلابل ذوات اصوات عذبة ونفوس مرحة ولكنهن لم يرزقن نصيباً كبيراً من الجمال الظاهر غير ذلك.

وربما يأتي حديث عنهن فيما بعد غير أن الغريب تأسره الكلمة الطيبة والابتسامة العريضة الخالية من التكلف مثلما يعجبه المنظر الحسن بل ربما أكثر من ذلك.



صورة التقطها المؤلف للريف الأخضر قرب المطار في نادي

وذهبت إلى مطعم الفندق لأتناول الإفطار فكان فيه رجل هندي الأصل نظر إلى وجهي نظرة غير معتادة فلما سألته عن سبب ذلك أشار إلى لحيتي وقال مامعناه: لماذا اللحية؟ فاعتبرت ذلك فضولاً منه لأنه لم يكن بيني وبينه حديث من قبل، وسكت.

وبعد أن دخلت غرفتي طرق عليَّ الباب طارق ففتحته متعجباً لأنني لم أتعرف على أحد بعد فإذا به عامل المطعم وهو يقول لي باستنكار: ها: اسمك محمد أنت اذاً مسلم أنا اسمي محمد لقد اطلعت على سجل الفندق فإذا بك قد كتبت اسمك محمداً، ان لحيتك هذه لحية إسلامية أنا أخوك المسلم فرحبت به وقلت له: لو سألتني عن ذلك لأجبتك ولكننك سألت عن لحيتي سؤالاً مباشراً ثم قال: إن عنده سيارة وإنه يستطيع أن يريني ما أود معرفته في هذه الجزيرة فقلت له: أنا الآن بحاجة للنوم وسوف أتصل بالجمعية الإسلامية في (نادي) المسماة (رابطة مسلمي فيجي) فلدي عنوانها.

القمرية الغريبة :

القمرية واحدة القماري وهو نوع من الحمام مشهور بصوته الذي يشبه البكاء أو النوح. ولذلك عندما سمعت ضحى هذا اليوم صوت قمرية على شجرة وهو تردد البكاء بصوت لايختلف عن صوت القماري في بلادنا تذكرت قول الشاعر:

وقد شاقني نوْح قمرية ... طروب العشيِّ هتوف الضحى

مطوقة كسيت زينة ... بدعوة نوح لها إذْ دعا

فلم أر باكية مثلها ... تبكّي ودمعتها لاترى

فما أبعد غربتها إذا كانت ذات أصل من العالم القديم وما أبعد

غربتي مثلها في هذا الركن القصي من العالم الذي هو في الحقيقة قصي عن بلادنا وهو أيضاً قصي حتى عن قارات العالم الست كلها فلا هو من قارة آسيا وأوربا وأمريكا بقريب. ولاهو من قارة استراليا بمعدود.

جولة في جبال فيجي :

بحثت عن رحلات سياحية بعد الظهر فلم أجد غير واحدة تذهب إلى الجبال كما قالوا في بيانهم عنها مع أن مدتها لا تزيد على ثلاث ساعات ونصف وجبال فيجي واسعة ولكنهم أرادوا رؤية أُنموذج من تلك الجبال العالية بالنسبة إلى أرضهم.

ومما زادني رغبة في هذه الرحلة بالذات أنهم ذكروا في النشرة الخاصة بها أنها تشتمل على رؤية مساجد المسلمين. وأجرتها عشرة دولارات فيجية أي حوالي اربعين ريالا سعودياً.

بدأت الجولة في الساعة الواحدة ظهراً بأن مرت على فندقي حافلة صغيرة فيها دليلة فيجية الأصل من ذوات الشعر الجعد الكثيف القصير الذي يشبه القبعة الكبيرة أو التاج على رؤس الفيجين والفيجيات من ذكور وإناث بهيئة واحدة لا تكاد تختلف.

قلت لها : أأنت فيجية خالصة؟ قالت: نعم، ولكنهم لايتعصبون تعني قومها الفيجيين الأصلاء.

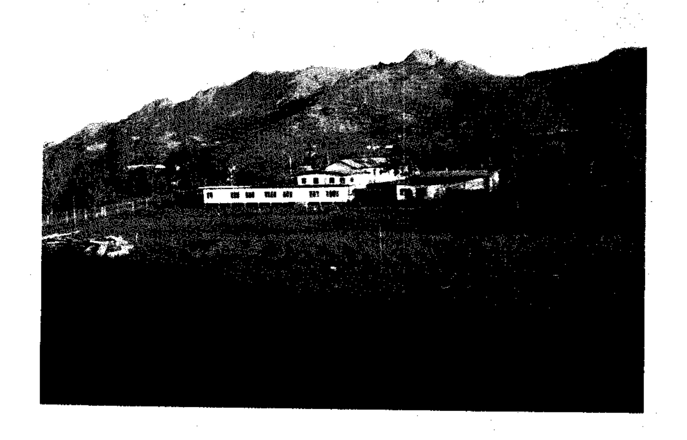
مرت هذه الحافلة على ستة فنادق أو سبعة في منطقة واسعة مابين الفندق الذي أسكن فيه وهو فندق (قيت وي) قرب المطار وماقرب من مدينة (نادي) وكلها أو أكثرها يشغل مساحة كبيرة من الأرض إذ بنوها على هيئة المنازل الريفية ذات الحدائق الواسعة لا على هيئة العمارت العالية ذات الطوابق المتعددة التي لا تشغل إلا حيزاً صغيراً من الأرض

وأغلبها ليس كبيراً.

وكانت تجمع السياح من هذه الفنادق إلا أن الحصيلة كانت قليلة لم تزد على اثنى عشر فرداً هم ستة أزواج من الأمريكيين وكلهم من العجائز الازوجا واحداً فهما في متوسطي العمر. ولم يكن فيهم من يعتبر غريباً عن الطرفين البيض الغربيين والسود المحليين إلا أنا وكانت المنطقة التي يسكنونها منطقة المطار الدولي التي فيها الفنادق فيها أيضاً منازل جيدة متفرقة بل متباعدة كلها أو أكثرها من طابق واحد بسيط ولكنه حديث وجميع اللافتات فيها من دون استثناء باللغة الإنكليزية.

فهي شبيهة بالمنطقة الريفية ولايعدم المرء أن يرى فيها أراضي مزروعة وإن كان ذلك في غير كثافة اذ تعتبر بمثابة الأراضي السكنية إلا أن الأشجار والنباتات فيها تشعر أنك غير بعيد من المنطقة الإستوائية. اذ ترى أشجار الموز واشجار العمبة (المانقو).

ويزيد شعورك بأنك في منطقة تشبه المناطق الإستوائية وجود بعض المنازل الخشبية المرفوعة عن الأرض باخشاب إتقاء للرطوبة ولكنها مطلية بطلاء جيد وعلى وجه العموم تشعر وكأنك في جنوب الهند أو المناطق الاستوائية الإفريقية أو في منطقة البحر الكاريبي مثل ترينداد.



ريف فيجي قبل الجبال

ولاعجب في ذلك اذْ جزر فيجي هذه تقع جنوب خط الإستواء على ١٧ درجة تقريباً فهي ليست تحته أو داخلة في المنطقة الاستوائية ولكنها ذات ظروف مناخية شبيهة بالاستوائية فهي وسط خضم ضخم من مياه المحيط الهادىء أكبر وأوسع بحار الدنيا. وتتلقى منه كميات كبيرة من مياه الأمطار مما يعطيها الشبه بالمناخ الاستوائي.

ومررنا بمسجد على جهة اليمين من الطريق لفتت الدليلة أنظارنا إليه ولكننا لم نقف عنده.

وفي هذه المنطقة السياحية يرى المرء بقايا من المظاهر القديمة حافظ عليها أهلها إما جلباً لانتباه السياح أو حنيناً إلى الماضي مثل بعض الأكواخ ذات السقوف الهرمية المبنية من القش الذي غيرته الاحوال الجوية فأصبح لونه اسود حالك السواد أو في لون الرماد.

ثم وصلنا قبل بلدة (ناندي) إلى حقول السكر الذي تشتهر هذه الجزر بزراعته و يعتبر السلعة الأولى التي تصدرها إلى الخارج.

وقد كنت رأيت اليوم سكرهم المحلي وهو أحمر يميل إلى البياض فهو ليس أبيض خالص البياض ولكنه أقرب إلى السكر الطبيعي من الأبيض.



بلدة نادي :

بلدة نادي بلدة مهمة في هذه الجزيرة رغم أنها ليست العاصمة وليست حتى المدينة الثانية من حيث عدد السكان فيها ولكن أهميتها جاءتها من وجود المطار الدولي فيها ولذا يسمع السائح مثلي اسمها قبل اسم العاصمة لأنه هو الذي يراه مكتوباً على تذكرته.

وقبل الوصول إليها كان هناك خليج بحري صغير يشبه النهر لولا أنه ملح قد دخل إلى البر وقد وضعوا عليه جسراً يعبره الطريق ومع كونه ملحاً فإن هناك اشجاراً كثيرة خضرا نامية عليه ولكنها أشجار وحشية أي غير مزروعة.

وذلك بسبب كثرة الامطار التي تخفف من أثر الملوحة في جذور الأشجار والتربة التي تجاورها.

ولم نقف في بلدة نادي التي لايزيد سكانها على اثنى عشر الف نسمة لأن جزءاً من وقت الجولة كان قد ذهب في المرور بالفنادق وذلك عندما قالت الدليلة للركاب: أتريدون أن نقف في البلدة حتى تشتروا شيئاً؟

قالوا : لا، لأن وصولهم كان إليها، أما أنا فقد أزمعت زيارتها والتجول فيها مع إخواني المسلمين فيها غداً.

واستقبلتنا البلدة بلافتة ترحيب بالانكليزية فقط تقول (مرحبا بكم في نادي) والسوق فيها متلاصق الحوانيت كأنه أحد الأسواق في بلدة متوسطة في الهند لأن معظم التجار فيه هم من أصل هندي وربما لايصح القول بأن أصلهم الهند وإنما الدقيق انهم من أهل الهند لأنهم لايكاد الرء يرى فيهم تغيراً يذكر وان كانوا لايعرفون الهند وإنما قدم آباؤهم أواجدادهم منها.

إلى قمة الجبل :

تركنا مدينة (نادي) فوصلنا مباشرة إلى طريق غير مزفلت ولكنه ممهد وبدأ الارتفاع التدريجي إلى ما أسمته الدليلة بالغابة وماهو كذلك. وإنما تريد أنه ريف ذو أشجار خارج المدينة وإنما أتت بلفظ الغابة من باب التشويق جرياً على عادة بعض البلدان السياحية التي ليس فيها كثير من الأشياء الهامة التي تستحق الزيارة.

ثم بدا السير في الجبال مع تلال متطامنة بينها وديان غير عميقة وفي تلك التلال زرعوا حقول السكر التي يراها المرء ونبات السكر فيها في مراحل مختلفة بعضه ناضج يابس الأوراق وبعضه أخضر ريان وبعضه قصير حديث النبات.

ومن المناظر المألوفة المتكررة مناظر اكوام من قصب السكر اليابس التي يخيل إليك من منظرها على البعد أنها نوع من الحطب ولكنهم يتركونها هكذا ليسهل حملها ونقلها إلى مصنع التكرير ومع ذلك فإن المرء يشعر بأن هذا الجزء من الجزيرة ليس نديا كثيف الرطوبة. وقد سألت بعد ذلك عن هذا الأمر؟ فقالوا: إن المطر قد تخلف قليلاً في هذه الأيام.



ويرى المر أبقاراً متفرقة ترعى في هذه الحقول وبخاصة في أماكن الحصيد من قصب السكر وفي الأراضي التي ليس فيها زراعة وانما فيها حشاش واعشاب وحشية.

والبقر هو حيوان اللحم البرى الموجود عندهم فالخراف والماعز لاتكاد توجد ولحم البقر غير كاف لهم ولكن السمك وافر في شواطيء هذه الجزر وبحارها وان لم يكن رخيصاً مثل ماهو كذلك في جزر مالديف.

مولو مولو :

هذا اسم مكان ريفي له معنى هام عندي وربما كان كذلك عند الدليلة وان كان السبب في الاهتمام بيننا مختلفاً فبالنسبة إلي كان ذلك لأن الدليلة أخذت تنوه بوجود مسجدين في هذا المكان المسمى مولو مولو أحدهما على الطريق قالت: إننا سنقف عنده، والآخر ليس على الطريق مباشرة.

وقالت الدليلة تشرح للسياح: إن المسلمين يجتمعون لصلاتهم يوم الجمعة وليس الأحد.

لقد بني مسجد على موقع مرتفع مشرف يرى على البعد بقبابه



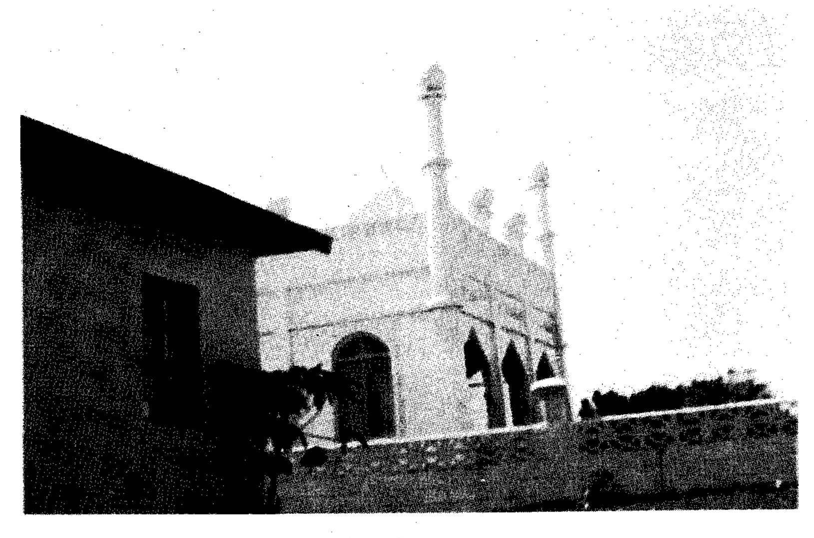
المناير الدقيقة في سور مسجد مولو مولو في فيجي

تصف المغولية البيض، ومناراته الصغيرة الدقيقة المتعددة الناصعة البياض أيضاً ولذلك يرى على البعد مميزاً لأنه ليس بجانبه أية بيوت أو ابنية أخرى يمكن أن تحجب النظر إليه من البعد.

وهو في جانب جسر على نهر عميق المجرى نزر الماء اسمه هنا (نهر مولو مولو) وهو هو النهر نفسه الذي في بلدة (نادي) فهو يجري إليها.

ومن الطريف الملفت لنظر أمثالنا في بناء هذا المسجد أنهم مبالغة في إظهار الشعار الإسلامي في هذه الأرض النائية عن العالم الإسلامي قد بنوا على سور المسجد منارات بيضا أيضاً انيقة مثل بقية منارات المسجد وهي لا تستعمل للأذان بطبيعة الحال وإنما هي شعار وإظهار لوجود الإسلام والمسلمين في هذه الجزيرة وعددها أربع اثنتان منها طويلتان وإثنتان قصيرتان، والمسجد ذو نوافذ زجاجية واسعة.

حاولت أن التقط له صوراً بنفسي، ولكن موقعه من الظل والشمس غير متيسر لمثلي ممن لايجيدون فن التصوير.



مسجد مولو مولو

المعنى العميق في هذا البعد السحيق :

ليس على هذا المسجد أية كتابة الاّ كتابة باللغة العربية لايشاركها هنا غيرها من اللغات رغم أنه لايوجد أحد من العرب في هذه الجزيرة من دولة فيجي فقد كتبوا عليه بحبر أسود واضح كبير على لونه الأبيض **(بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً).**

وهذا الإبراز للغة العربية وحدها له دلالة عظيمة، علينا نحن العرب أن نفهمها بعمق ونعرف فضل ماشرفنا الله به حين أنزل قرآنه الكريم بلغتنا وشرف أوائلنا بحمل رسالة الإسلام فأصبحت لغتنا جزءاً من التراث الديني للمسلمين في أنحاء العالم الذين وجدوا في الإسلام ديناً سماوياً راقياً لولا جناية بعض المنتسبين إليه على ماجاء به وتشويه صورته الحقيقية في دعواهم بأنهم مسلمون وهم ليسوا كذلك لكان أعلى مثل وانصع صورة للدين في أذهان الناس حين يرونه على حقيقته من خلال تطبيق القائمين عليه والمنتسبين إليه نصاً وروحاً.

بل حتى بالنسبة إلى غير المتدينين منا نحن العرب الا يجدر بهم أن يروا فضل هذا الدين الحنيف على لغتهم العربية وثقافتهم حين يرون الأمثال لذلك في هذا المسجد وأمثاله من هذه الجزر ذات البعد السحيق وقد كتب أهله عليه باللغة العربية اسمه دون غيرها من اللغات لا لمعونة جاءتهم من العرب وإنما لاعتزازهم بالدين الإسلامي الحنيف مما لوكان عند أمة من الأمم المتعلمة التي تعرف مغزى ذلك ومعنى هذه الكتابة لسعوا في نصر هذا الدين وفي نشره في العالم.

بعد الوقفة عند هذا المسجد على ضفاف هذا النهر العميق والقوم يستجلون هذين المنظرين القريبين ومناظر بعيدة أخرى من جبال فيجي وتلالها والبيوت الريفية القليلة المتناثرة في المزارع فليس هنا قرية التي

تعنى التجمع السكاني الكبير.

استأنفت السيارة السير واستأنفت الدليلة الكلام ولكلامها عندما كانت تتكلم عن المسجد وأهل الإسلام مقام واي مقام لاسيا عندما قالت إنكم تبصرون على البعد أيضاً مسجداً ولكنه ليس على الطريق مباشرة انظروا ولكن كانت حالت أشجار من أشجار الغابات بيننا وبينه.

وقد بدأت السيارة تسير في طريق مزفلت ربما لكونها بدأت تصعد في ارتفاع الجبال مع انها لاتزال تسير في سفوحها.

فبحثت عن الحيوانات والطيور هنا فلم أجد الكثير أمام عيني إلا الأبقار الكبيرة الحجم التي ترعى متفرقة في المزارع وطيوراً رقطاً غريبة كثيرة كانت تقطع الطريق وهي في حجم اصغر قليلاً من حجم الحمام وأما الأشجار فهي أشجار المناطق الاستوائية والقريبة من الاستوائية من البابای ذي الفاكهة التي يستلذها بعض الناس وتشبه في حجمها حجم الشمام البلدي القديم الذي كان موجوداً عندنا قبل استعمال بذور للبطيخ الأصفر مستوردة وكذلك أشجارقليلة من الكاكاو وقفت لترينا إياها لأن كثيراً من السياح يأتون من بلاد باردة لا توجد فيها مثل هذه الأشجار.

هذا وقد عرفنا أن هذه المنطقة هي هندية أي يسكنها الذين هم من أصل هندي وذلك ظاهر من مظاهرهم ولباسهم.

ثم صعدت السيارة في الجبال والدليلة تشرح أشياء بسيطة لا تستحق الاهتمام ولكن ذلك لكون الرحلة كلها ليست مهمة أو هي لأماكن ليست مهمة.

وعندما أصبحنا ونحن في الجبال فوق أحد الوديان أوقفت السيارة لترينا إياه وليس هناك مايلفت النظر إلا قصب السكر اليابس مكوماً معداً للنقل إلى المصنع ومزارع السكر الأخضر فوق التلال في كثافة غير كبيرة. ووصل السير إلى طريق ممهد غير مزفلت.

وكان القرويون يؤدون التحية لسيارة السياح هذه فكل من مررنا به منهم من أطفال ونساء ورجال رفع يده وحيانا. وقد اعجبت هذه العادة السائحات الأمريكيات فكن يرددن التحية بأحسن منها أو مثلها اذْ كان هذا غريباً على تزمت الغربيين الذين يتحفظون في التحية لمن لايعرفونهم.

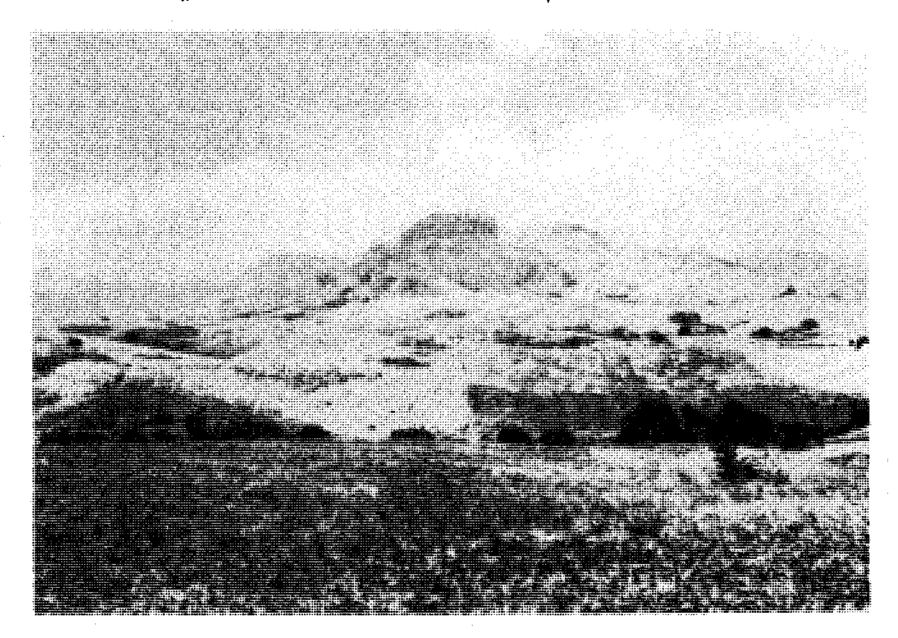
على قمة الجبل :

وصلنا إلى قمة الجبل الذي تقصده سيارتنا فأوقفت الدليلة السيارة وقالت وهي تشير إلى صخرة قريبة: هذه أعلى قمة في هذا الجبل إن ارتفاعها يبلغ ثلاثة الآف قدم.

لم تكن المتعة في مجرد الوصول إلى هذه القمة غير العالية وإنما هي في طبيعة الحجارة التي تلمسها بيدك وتشاهدها بعينيك فرغم الارتفاع النسبي لهذه التلال فإنها بركانية سوداء كأنها احجار الحرار ــ جمع حرة ــ في بلادنا ولذلك ليس عليها أشجار كبيرة أصلا وإنما هي أعشاب كثيفة بعضها جاف.

والطريق إلى القمة يقف وقوفا يكاد يكون حاداً لمسافة قصيرة ومشاهد التلال والأماكن المنخفضة من هذا الارتفاع ممتعة وبخاصة أنك ترى تلالاً عليها أشجار الأخشاب وأخرى جرداء منها، ومجاري مياه ليس فيها مياه وإنما هي مزارع متفرقة واراض خالية غير معمورة مثل كثير من أراضي فيجي التي لاتشكو ضيقاً في الأرض أو ازدحاماً في السكان كجزيرة (مورشبوس) مثلاً التي تشاركها في بعض الأوضاع.

وقالت الدليلة : إن اسم هذه القمة هو (نانسوري هايلي).



منظر في جبال فيجي

وكان الهواء جبلياً خفيفاً خالياً من الرطوبة. وانطلق الرفقة يتجولون حول موقف السيارة وانطلقت ألسنتهم بالكلام فسألوني عن بلادي فقلت لهم : إنني من الشرق الأوسط فكان هذا التعريف الواسع عندهم بمثابة ذكر القرية أو القبيلة في بلادنا نظراً للبعد الشاسع مابين هذه المنطقة وبلادنا.

ورأتني إحداهن أكتب في ورقة صغيرة فقالت لي: أهذا شيء له معنى؟ فقلت: نعم أتريدين أن تعرفي معناه؟ فقالت: لا إنني أصدقك في كل ماتقوله عنه.

واحضر سائق الحافلة والدليلة وعاء مليئاً بماء جوز الهند الأخضر وهو ثمار شجر النارجيل واخذوا يسكبون ويسقون الركاب منه ويعطونهم

أيضاً من شحم النارجيل الناضج إشارة إلى وجود هذا الشراب الذي يعتبر محليا في هذه الجزر ولايوجد في البلاد الباردة الآن غير طازج.

فشربوا وطربوا مع أنه شراب طبيعي خال من الشوائب ومع أنه لا توجد في هذه المنطقة من الجبال أي شجرة من أشجار النارجيل.

وأخذ رفاق الجولة يلتقطون الصور للمنطقة وتلالها البعيدة و يلتقط بعضهم لبعض الصور التذكارية وطلب السائق وهو هندي الاصل اسمه (سامي) إلا أن هذا الاسم ليس له علاقة بالعربية فهو ليس بمسلم وهو أسود اللون سواداً يقرب من سواد الإفريقيين والدليلة واسمها (تيرا) خلاسية اللون أن يلتقط أحد الرفاق صورة تذكارية لي معهما فكان ذلك واعطاني السائق عنوانه لأرسل له نسخة منها إذا استخرجتها كما قال.



مع الدليلة والسائق في رأس الجبل في فيجي

في قرية فيجية :

قالت الدليلة والسيارة تبدأ في السير: سوف نريكم قرية فيجية

وهي تعني بذلك أنها لقوم من اهل جز يرة فيجي القدماء وليسوا من الذين قدموا إليها من الهند فاكتسبوا جنسيتها.

وقد انحدرت السيارة قليلاً فوصلت إلى منطقة ضيقة من أشجار الغابات غير واسعة ولكنها كثيفة الأشجار وقد قطعوا بعض الأخشاب منها وجمعوها لكي يحملوها بعد ذلك. وقد عجبت من كونهم لم يتوسعوا في غرس الأشجار في هذه المنطقة مع أنها تكون بهذه المثابة من الجودة.

وأشجارهم هنا لم أرها قبل هذا في مكان آخر هي شبيهة بأشجار العرعر التي تنبت في جبال عسير في المملكة غير أنها مرتفعة الأخشاب مستقيمة.

ثم وصلنا إلى القرية الفيجية المنشودة واسمها (نوسري) ووقفت الحافلة لأخذ صور للقرية كما قالت الدليلة.

فبادرنا عند النزول من السيارة جماعة من النساء والأطفال من أهلها يعرضون بضائع معهم للبيع وهي بضاعة واحدة ليس غير قلائد من ودع البحر غير الجيد ثمن كل واحدة دولار فيجي واحد اي مايساوي أربعة ريالات سعودية وقد اشترت العجائز منها أما أنا فلم أرغب الشراء لأنني أعرف مثلها في ربع ثمنها في أقطار أخرى من العالم وقد اشتريت منها مقادير قبل ذلك.

وقد رأيت في هذه القرية بيوتاً بل أكواخاً من البيوت القديمة التي هي مبنية من الأخشاب أومن القش ومسقفة بالقش أيضاً على شكل الهرم المستدير فطلبت من أحد الرفاق الأمريكيين أن يلتقط الصورة فكانت لي مع أحد أهالي القرية.



أمام كوخ فيجي في الريف

وعندما انصرفت وأنا أرسل بصري فيما حول القرية وماهو بعيد منها لم أشعر إلا بطفل صغير لايزيد عمره على سنة واحدة يأتي إلي وفي عنقه قلادة من تلك القلائد وقد احتال أهله على أن يجعلوني اشتري منهم بهذه الوسيلة.

فأخذت واحدة وأهل الطفل عند باب بيتهم يبتسمون ونقدت لهم الدولار وكان ذلك مفتاح الحديث مع هذه الأسرة القروية الفيجية قال رب الأسرة : هذه زوجتي وهؤلاء أولادي منها ثلاثة ثم أشار إلى فتاة شابة في حدود التاسعة عشرة فقال: وهذه أختي ولما رأى رغبتي في الحديث معهم وبخاصة عن بيتهم الذي تجمعوا عند بابه من الخارج وهو من الخشب على هيئة رديئة غير ذات طراز سألوني عن بلادي فقلت: من بلاد العرب.

فقال الرجل : العرب العرب، أهل البترول.

وهنا قلت له ممازحا : الا تسمحون لي بأن آخذ هذه الفتاة الجميلة زوجة لي وأحملها معي إلى بلاد العرب؟

فلما سمعوا ذلك طربوا له وضحكوا ضحكاً عميقاً أما هي فقد خجلت وأخفت وجهها وهي في باب الدار ثم خرجت فقلت لهم: اسألوها إذا كانت ترغب ذلك، فلم تجب بلا أو نعم، وكأنها قد حملت الأمر على محمل الجد.

وقالت زوجة أخيها بالنيابة عنها : إنها خائفة وتركتهم وهم يضحكون بل هم سعداء من كل قلوبهم لأن طبيعتهم هكذا يضحكون من كل قلوبهم و يتعلقون بالغر يب الذي يجاملهم.

وقد رأيت رفقائي عند السيارة ينتظرونني فأسرعت أركض إليهم ولما التفت بعد ذلك رأيت تلك الفتاة ترفع يدها بالتحية، كما يفعل جميع القرو يين هنا اذا رأوا ضيوف بلادهم الأجانب من السياح أو غيرهم.

وفي الساعة الرابعة بدأت رحلة العودة إلى منطقة (نادي) أو على الأدق منطقة المطار الدولي الذي تقع بلدة نادي ضمنها.

وكان وقت انصراف الطلاب قد حان فرأينا بعضهم ينصرفون وهم في لباس موحد مؤلف من قميص أخضر اللون ليس له أكمام وسروال قصير سكري اللون وهم كغيرهم يحيون من يلاقونهم من السياح برفع أيديهم بالتحية على البعد.

وقبل الوصول إلى نادي في العودة أرتنا الدليلة مبنى صغيراً كتب عليه (كلية نادي) أو نادي كولج بالانكليز ية. ومبنى صغيراً آخر قالت إنه مستشفى ثم محطة الحافلات.

ورأينا نهر نادي نزر المياه يسبح الأطفال في مياهه.

وعادت الحافلة توزع الركاب على فنادقهم وكان آخرهم نزولاً هو أنا وذلك لأن فندقي يقع بجانب المطار أقرب إليه من بقية الفنادق.

يوم الأربعاء ٢ ذي الحجة ١٤٠١هـ ٣٠ سبتمبر ١٩٨١م.

كنت مررت أمس مع الحافلة بفندق اسمه (دمينيون انترناشنال هوتيل) كان جاري الهندي في الطائرة قد ذكر اسمه لي من بين الفنادق المناسبة ولكنه قال إن أجرة الغرفة فيه هو سبعون دولاراً أمريكياً غير انني سألت اليوم موظفة في مكتب الاستقبال فيه فقالت إنها ثمانية وعشرون من دولارات فيجي وتساوي حوالي (٣٠) دولاراً أمريكياً فحجزت غرفة فيه.

وعندما أردت الخروج من فندق (قيت وي) هذا الصباح تجمع لدي عدد من عاملات الفندق وعلى رأسهن رئيستهن وهي عجوز في حدود الستين من عمرها وكلهن من الفيجيات الاصيلات لم يخالط دمهن مخالط من أوروبي أو هندي ولم تطل إقامتي عندهن أكثر من يوم وبعض يوم ولكنهن أخذن يجاملن ويقلن: نرجوا أن تنزل عندنا مرة أخرى.

وفي فندق دمنيون نزلت في غرفة واسعة بها سريران أحدهما مزدوج والآخر منفرد وضعوهما هكذا على افتراض أن ينزل عندهم زوجان لهما ولد، فيها كل مافي غرفة فنادق الدرجة الأولى والفندق نفسه جيد من فنادق الدرجة الأولى وقد نسقوه تنسيقاً فنياً.

البحث عن الجمعية الإسلامية :

أخذت عنوان الجمعية الإسلامية في (نادي) وكنت أحضرته من مكتبي مع عناوين بعض الجمعيات الإسلامية الأخرى وسألت عن أجرة السيارة إلى نادي فقالت موظفة في المكتب أصلها من البولونيز

وهـم جـنـس من سكان بعض جزر المحيط الهاديء ولهم صفات مظهرية خـاصـة: إنهـا دولاران ويعنى ذلك ثمانية ريالات سعودية ولكن الحافلة إلـى نـادي تـقـف عـنـد مدخل الفندق وأجرتها أقل قليلاً من ربع دولار فـقـلـت: إن دفع ربع دولار أحب الى من دفع دولارين وسأحصل من ذلك أيضاً زيادة من المعلومات عن هذا الشعب الذي يركب الحافلات.

ومـا أسـرع أن وصـلـت الحـافـلـة فقلت إلى الماركت أي السوق لأن بعض الركاب ينزلون قبل بلدة (نادي) فأخذ ٢٣ سنتاً.

وعـنـدمـا نـزلت في البلدة أخذت أتمشى فرأيت شيخاً مسناً له لحية فعرفت أنه مسلم والمسلمون هنا كلهم من أصل هندي إلا ماندر فسلمت عـلـيـه، فـفـرح بـذلـك، فلما كلمته بالإنكليزية لم يستطع الرد وانما تكلم بالأوردوية يتوقع مني أن أجاريه في الكلام بها فقلت له ممازحا أتعرف الـعـربـيـة؟ قـال: لا لا اعـرف الإنكليزية ولا العربية فعجبت من هذا الأمر الذي اتضح لي بعد ذلك وهو أنه رغم وجود أناس منذ مدة طويلة فـي هـذه الجزر فإنهم لايتكلمون الإنكليزية التي هي اللغة الرسمية وهي كانت لغة المستعمرين الحاكمين.

فـأريـتـه الـعـنوان الذي معي، فلم يعرفه ثم مر رجل مسلم أيضاً وله لحـيـة وكـلاهمـا لاطـاقـيـة عـلى رأسه وأما اللحى فهي هنا بين المسلمين كـثـيـرة وهـي ذات عـوارض كـامـلـة إلا أنهـا تـكون مع عوارضها مهذبة مـسـتـويـة مـعتنى بها فهي شبيهة بلحى المتدينين من إخواننا السوريين أو شـبيـهـة بـلـحـى مـن يـتـخـذون اللحى لدواع اجتماعية من بني قومنا في الجزيرة العربية وليست كلحى الهنود التي يطيلونها ويهملونها.

سـلـمـت عـلـى الأخ الـثـاني وهو يعرف الانكليزية وكاد يصف لي المكان غير أن صاحبا له في سيارة واقفة ناداه فاعتذر مني وتركني.

فسرت اتمشى حتى رأيت محلاً تجارياً كبيراً فيه رجل مستطيل الوجه بل دقيق الوجه ذو لحية مستطيلة مستدقة أيضاً على وجهه نور المتدينين المؤمنين وبهاؤهم وعلى رأسه طاقية بيضاء فأسرعت إليه أحييه بتحية الإسلام فأجاب التحية ووجهه مشرق فسألته عن هذا العنوان؟ فقال: إنه يعرفه وإن الأفضل أن اذهب إلى (مولانا) فهو يعرف العربية.

فلما سألته عنه؟ قال : إنه مولانا الشيخ ممتاز أحمد القاسمي إمام المسجد والمدرس في المدرسة.

ثم قال : إنه الآن مشغول في التدريس فلعل الأفضل أن تذهب إليه عند صلاة الظهر وكنت بحاجة إلى صرف النقود فمشيت أسأل عن بنك قريب وصرفت منه شيكا سياحياً بمائة دولار امريكي اعطاني عنها شاب يعمل في البنك (٨٩) دولاراً من دولارات فيجي. ولما رأى اسمي وعنواني عجب من ذلك وقال: إن هذه هي أول مرة يقابل فيها سعوديا وأخذ يسأل أسئلة كثيرة عن بلادنا غير أنني كنت في عجلة من أمري.

فتركته وعدت إلى صاحبي التاجر في حانوته فوجدته مزدحماً على سعته بالمشترين وعنده في الحانوت امرأتان تساعدانه أو هما موظفتان إحداهما فتاة تبدو مسلمة والأخرى امرأة يظهر أنها هندوكية.

فسألته عن مطعم للمسلمين لكى اتناول فيه غدائي قبل موعد صلاة الظهر في الساعة الواحدة وكانت الساعة الآن في الثانية عشرة.

فانشرح صدره وقال: تعال معي ثم ركب سيارته وأوصلني بنفسه إلى مطعم إسلامي تاركاً حانوته والمشترين فيه فقلت له يا أخي إنني لا أريد أن تترك حانوتك وتشتغل بي وأنا استطيع أن أمشي لأنه تبين لي أن المطعم ليس ببعيد.

فقال : يا أخي إن المسلم الذي يسأل عن مطاعم المسلمين يستحق الإجلال والإكرام فهناك كثير من المسلمين لايسألون عن هذه الأمور.

في مطعم إسلامي :

قال لي الأخ وهو يفتح باب سيارته لي ثم يصلني بصاحب المطعم: إن هذا الأخ مسلم يصلي الظهر في المسجد كل يوم وسوف يأخذك معه إلى المسجد بعد أن تنتهي من غدائك فشكرته وانصرف ولم أره إلا في المسجد بعد ذلك.

رحب بي صاحب المطعم واسمه (محمد يوسف) ورايت مطعمه قد كتب عليه لافتة كبيرة تقول: إنه يقدم وجبات إنكليزية وصينية فقلت في نفسي: ماعلاقة الهنود بالصينيين؟ إلى أن عرفت الأمر فقد كانت عنده امرأة صينية تخدم الآكلين وتعد الأكل لهم.

جاءت الصينية (المرأة) بصينية (صحن) فيه أرز دسم مخلوط بشيء من الخضار واللحم المفروم ثم طبق من لحم البقر المطبوخ على هيئة قطع صغيرة وقد أكلت منها حتى شبعت لأنهم يعتبرون أن كل طبق واحد منها وجبة كاملة.

ولما احضرت المرأة الصينية الحساب كان دولارين ونصفا أي عشرة ريالات فأعطيتها نصف الدولار ففرحت بذلك وتغيرت معاملتها لي فقد كانت في السابق جافة لكون الزبائن لايعطونها حلوانا (بقشيشا).

ثم أخذني الأخ (محمد يوسف) بعد ذلك بسيارته ولما سألته عن اسمه الكامل لم يزد على قوله: إنه محمد يوسف.



منظر عام لمسجد نادي

في مسجد نادي :

وصلنا المسجد في الواحدة ولم يؤذن للصلاة بعد فوجدت طائفة منهم يتوضئون في اماكن الوضوء بجانب المسجد الذي هو في الطابق الثاني أو مايعبر عنه الأول بمعنى أنه الذي فوق الأرضى ولم تكن محلات الوضوء نظيفة بالقدر الذي عليه محلات الوضوء في مساجد المسلمين الهنود في المهاجر مثلاً كجزيرة رينيون أو جزيرة مورشيوس.

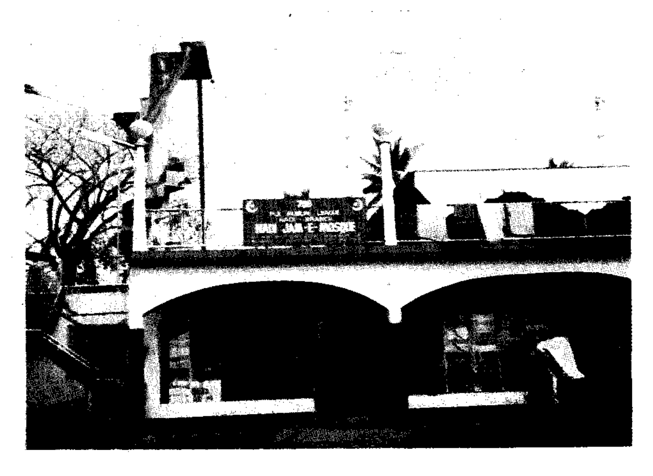
بل إنني رأيت في بعضها قذراً وكذلك لم يكن فيها فوط أو صابون.

وبعد أن أدينا تحية المسجد أذن احدهم لصلاة الظهر فكان أذانه هنديا تعاني منه الحروف الحلقية مثلما مايعاني منها أو أشد وكذلك اللام هي عنده مرققة دائماً حتى في غير موضع الترقيق كما في كلمة رسول الله.

وعندما انتهى الأذان قام القوم جميعاً لأداء سنة الظهر ثم حضر الإمام الشيخ (ممتاز أحمد القاسمي) عليه قميص سعودي أبيض يضرب إلى القدمين وطاقية هندية زرقاء كلوية الشكل وكان يبدو قوى الشخصية واثقاً من نفسه.

وبعد الصلاة سلمت عليه وأردت أن أتحدث معه في المسجد بعد أن سلم طائفة من الأخوة المصلين فقال:
هذا في بيتي تفضل ودخلنا غرفة الجلوس في بيته في الطابق الأسفل من بناء المسجد وكان فيها عدد من الكتب منها تفسير القرآن بالأوردية.

فأخبرته بعملي وقلت له: إنني في رحلة إجازة وليست رحلة عمل ولكنني انتهزت هذه الفرصة لاتصل بإخواني المسلمين في هذه الجزيرة واتحدث معهم في شئون دينهم واعرف ماذا يحتاجون من مساعدة في هذا الأمر يمكن أن تقدمها الحكومة السعودية لأنني سوف اكتب تقريراً بذلك إلى الحكومة السعودية.



الطابق الأسفل في مقدمة جامع نادي مكتوب عليها الاسم بالإنكليزية والبسملة بالحروف

فتحدث طويلاً عن شئون المسلمين وأمر أحد الطلاب فأحضر شراباً

غازيا بارداً وكان يبدو عليه أنه يفرط في التدخين إلا أنه لم يدخن أمامي.

كان مما قاله : إن المسلمين في هذه البلاد محتاجون إلى المعرفة بشؤون دينهم فأنا لم أقدم إلا منذ سنة إلى هذه البلاد وقد استقدموني من بلدتي حيدر آباد الدكن في الهند وأنا متخرج من جامعة ديوبند وتعطيني الجمعية الإسلامية هنا راتباً ضئيلا هو مائتان وخمسون دولاراً (و يساوي ذلك الف ريال سعودي) وأنا أحب أن أذهب إلى السعودية لأكمل دراستي العليا.

إن المسلمين في هذه البلاد يجهلون أمور دينهم ولذلك رأينا أن من اللازم أن نركز على تبصيرهم بالدين وإرشادهم إليه أكثر مما نركز على دعوة غير المسلمين إلى الإسلام إن بعض المسلمين يأتون أشياء يحظرها الدين مثل بعض الفواحش فكيف نتركهم كذلك وندعوا غيرهم؟ قال ذلك حينما سألته عما اذا كانوا يقومون بالدعوة إلى الله في صفوف غير المسلمين في هذه الجزر.

ثم قال : إنني أتعاون مع الشيخ محمد ابراهيم مبعوث السعودية إلى هذه الجزر(فيجي) والشيخ أحمد عبد القدوس مبعوث ليبيا ولكن عددنا غير كاف لأن المدارس متعددة والمسلمون منتشرون متفرقون في جزر هذه البلاد.

المدرسة الإسلامية :

يسمونها (نادي مسلم هاي سكول) أي مدرسة نادي الإسلامية العالية والحقيقة أنها ليست عالية وإنما هي ثانوية كما أنها ليست إسلامية بمعنى أنها مقتصرة على تدريس المواد الإسلامية وإنما هي تدرس منهج التعليم المدني العام في هذه البلاد وتزيد عليه تدريس

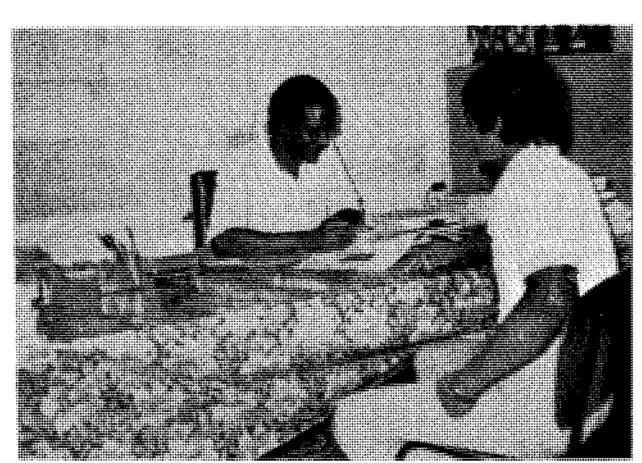
الدين الإسلامي واللغة العربية إلا أنها تشكو فقراً في هذا الأمر لأن الذي يقوم بتدريس هذه المواد في المدرسة وحده هو الشيخ ممتاز أحمد.

ذهبنا إلى المدرسة مع الشيخ ممتاز أحمد وتقع بجانب المسجد على أرض تبلغ مساحتها عشرة اكرات منحتها الحكومة للمسلمين فبنوا عليها المسجد والمدرسة.

أما مصاريف المدرسة فإنها من الجمعية الإسلامية ولكنهم يأخذون من الطلاب رسماً شهرياً ويبلغ طلاب المدرسة مائتي طالب منهم ثمانون فتاة والبقية من الذكور. والقصد منها في المقام الأول توفير التعليم العام لأبناء المسلمين مع قدر من التعليم الإسلامي الضروري فهذا حال بعض المدارس في البلاد المختلفة التي يكون المسلمون فيها أقلية يحتاجون إلى أن يرفعوا مستوى التعليم العام عندهم دون أن يجعلوا أولادهم يتعرضون لدراسة الديانات الأخرى أو يحرمون من التعليم الإسلامي.

وقالوا : إن المسجد والمدرسة تحصل على المعونات من المسلمين من الصدقات والزكاة والتبرعات.

شوكة علي وحشمة علي :



رئيس المدرسة شيخ إمام وهذا اسمه ومساعده حشمة علي في فيجي

قابلنا في المدرسة أخاً من المدرسين فيها فقدموه بأنه (شوكة علي) مدرس العلوم في المدرسة ثم شخصا آخر قالوا إن اسمه (حشمة علي) وهو مساعد مدير المدرسة.

وجدت بناء المدرسة بناء جيداً من طابقين أبيض الطلاء فسيحا بعيداً عن مزاحمة الأبنية الأخرى لأن الأرض التي تملكها الجمعية الإسلامية واسعة كافية وشاهدت الطلاب نظيفي الثياب والطالبات يلبسن لباساً أبيض ساتراً وقد جعلوا الطالبات والطلاب في فصل واحد يستمعون إلى شرح المدرس معاً إلا أنهم جعلوا الطلاب في جهة من الفصل والطالبات في جهة أخري يفصل بين الفريقين ممر يتسع لشخص واحد ولافتة المدرسة مكتوبة بالإنكليزية مما يعطي الانطباع بأنها مدرسة مدنية بخلاف الكتابة على المسجد فهي باللغة العربية بحروف بارزة كبيرة ترى على البعد: **(بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله محمد رسول الله، نصر من الله وفتح قريب)** وليس عليه كتابة أخرى.

وبعد التجول في الفصول زرنا مكتبة المدرسة فوجدتها واسعة كثيرة الحصيلة من الكتب التي أكثرها بالإنكليزية وفيها قليل جداً بالأوردية



بعض طلبة المدرسة في المطالعة في المكتبة في فيجي

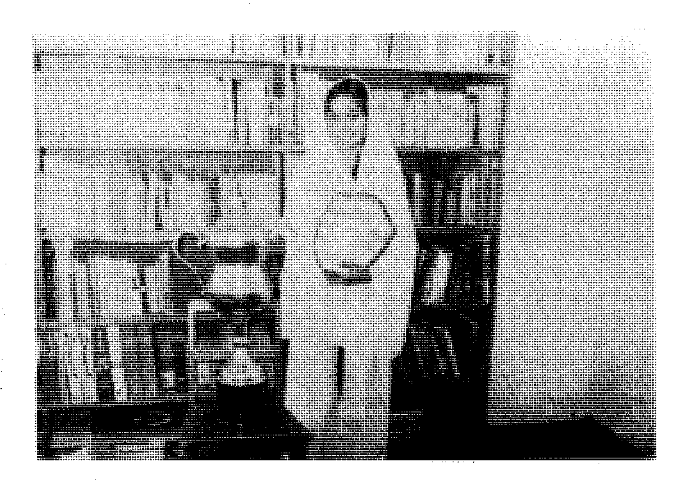
وليس فيها كتب عربية ولما سألت الشيخ ممتاز أحمد عن السبب في ذلك قال مستنكراً كيف يعرفون العربية وأنا لم أقدم إلى هذه البلاد إلا منذ سنتين؟ وهي بمحتوياتها من الكتب إلى أن تكون مكتبة كلية أشبه منها بمكتبة مدرسة ثانوية ممايدل على عناية القائمين على المدرسة بالكتب والمطالعة.

ثم ذهبنا إلى مكتب مدير المدرسة فاستقبلتنا فيه كاتبة قالت إن المدير قادم بعد قليل.

وكانوا قد استدعوه قبل، ومالبث أن دخل وهو أخ مسلم من أصل هندي قد صبغته هذه الجزر بصبغة داكنة إضافة إلى صبغته الهندية السمراء الأصيلة واسمه (شيخ إمام).

رحب بي ترحيباً زائداً، وأمر بالمشروب الغازي ثم أراني المدير بعض الصور التي التقطت في المناسبات للمدرسة وطلابها ثم أحضر طالبتين عليهما لباس أبيض سابغ ساتر لكل شيء وعلى الرأس غطاء أبيض رقيق. وقال وهو يشير إلى إحداهما هذه (شيرين شاهناز) متفوقة في الخطابة والكتابة بالأوردوية وهذه اسمها كذا ومعناه الحلوة.

ثم قرأت إحداهما آيات كريمة من سورة ياسين قراءة متوسطة غير أنها



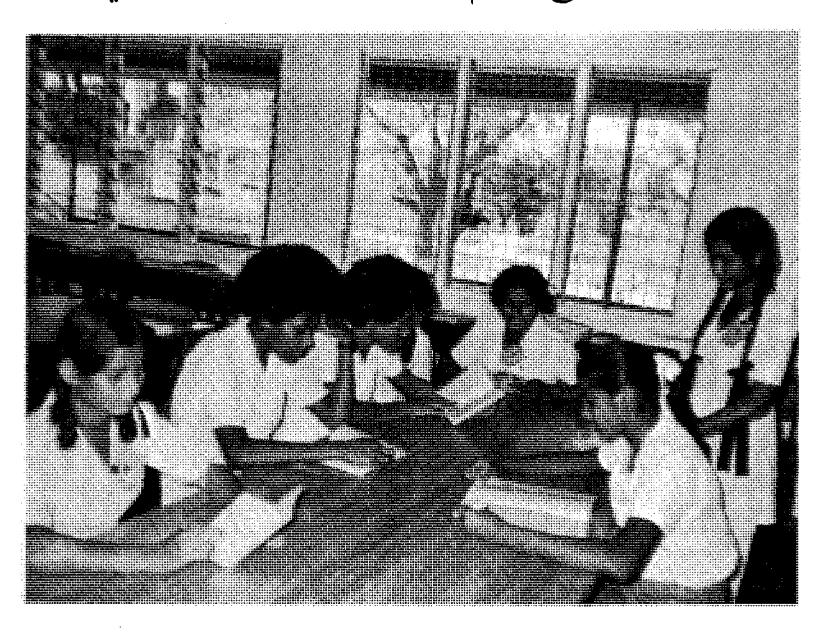
فائزة بالخطابة والكتابة في الأوردوية واسمها أمر النساء اى: أمير النساء

تعتبر جيدة في هذه الجزيرة النائية عن البلاد الإسلامية والتي تفتقر إلى التعليم الإسلامي.

وقال المدير إننا نتلقى من الحكومة مساعدة قليلة على اعتبار أننا نقوم بمهمة تعليم بعض أبناء الشعب الذين يجب على الحكومة أن تقوم بتعليمهم.

وبذلك كانوا إذا طلب منهم أحد من غير المسلمين أن يدخل إلى المدرسة يتعلم فيها فإنهم لا يمتنعون عن ذلك بل إنهم ينتهزون هذه الفرصة ليسمعوهم بعض الدروس الإسلامية.

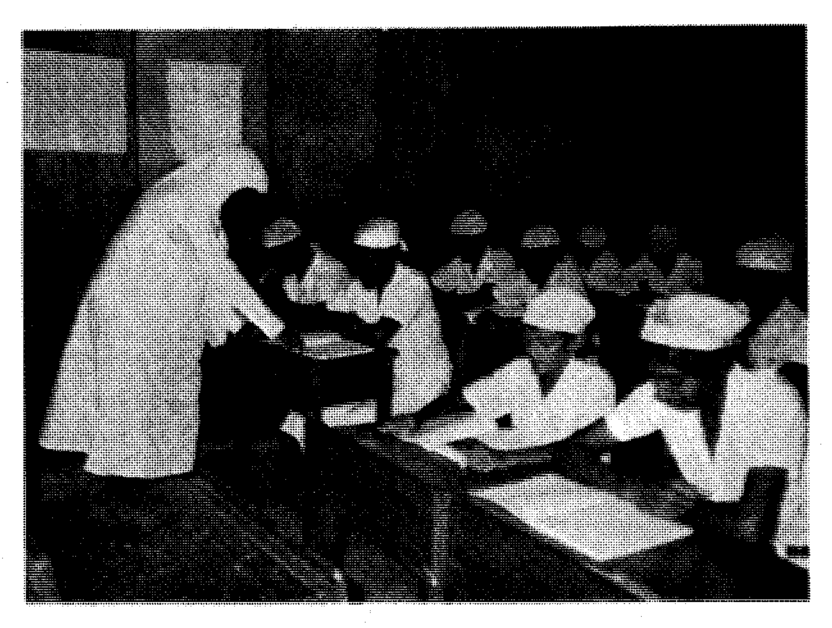
وقال والشيخ ممتاز يؤمن على مايقول: إن لدينا الأن طالبة فيجية غير مسلمة تحضر درس الشيخ لتتعلم اللغة العربية والدين الإسلامي.



بنات فيجيات برؤسهن الملبدة غير مسلمات يتعلمن الانكليزية والعلوم في المدرسة الإسلامية.

وهناك طلاب من الهندوكيين يدرسون أيضاً عندنا يريدون أن يعرفوا شيئاً عن الإسلام.

فقلت له : حبذا لو أمكنكم توسعة المدرسة وتيسير التعليم الإسلامي مع شيء من التعليم المدني لأبناء غير المسلمين عسى أن يجعلهم ذلك يفهمون الإسلام فيؤمنون به على شرط أن لايكون ذلك سبباً لحرمان بعض أبناء المسلمين الذين ينبغي أن يتوفر التعليم المدنى والإسلامي لهم حتى يتمكنوا من شغل مراكز في الدولة ومكانة في المجتمع يستطيعون بواسطتها أن يخدموا إخوانهم المسلمين و يعملوا على نشر الدعوة الإسلامية.



الشيخ ممتاز أحمد يدرس بعض الطلاب وفيهم فيجيون

وذكر المدير الذي قال : إن اسمه (شيخ إمام) وماهو بشيخ ولا إمام بعض مايحتاجون إليه ومن ذلك إنشاء روضة للأطفال لابناء المسلمين تكون تابعة للمدرسة، وذكر أن ذلك يحتاج إلى ستين ألف دولار وقال إنهم أيضاً يحتاجون إلى كتب إسلامية باللغة العربية والإنكليزية فودعته

وانصرفت معجباً بنشاطه الذهني وتحمسه لعمله.

جولة في بلدة نادي :

قبل الذهاب للمسجد و بعده تجولت في أسواق بلدة نادى التجار ية وهي أسواق صغيرة وهي إلى ذلك أكبر مما تستحقه هذه البلدة لأنها هي صغيرة لايز يد عدد سكانها على اثنى عشر ألفاً.

وعندما تجولت في أسواقها التجار ية خيل اليَّ أنني في بلدة هندية لأن أهل المتاجر والحوانيت الكبيرة والمتوسطة هم من الهنود إلا أنهم أصبحوا في مظهر حسن من ناحية الغذاء واللباس أما من ناحية اللون فإنهم اصبحوا أكثر سمرة و بعض الذين منهم كانوا من جنوب الهند مثل مدراس وكانوا شديدي السمرة قبل الإقامة في هذه البلاد قد زادت سمرتهم إلى لون يقرب من السواد ولولا تقاطيعهم وتقاسيم وجوههم لم تدرك أنهم من أهل الهند.

وطبيعي أن نعرف أن هؤلاء لم يأتوا بأنفسهم من الهند وإنما ولدوا في فيجي وأكثرهم حتى أباؤهم ولدوا في هذه الجزر.

ولذلك سألت طائفة منهم عن الولاية التي قدم منها آباؤهم أو أجدادهم إلى فيجي فلم يعرفوا وإنما كانوا يقولون: إن اجدادنا من الهند فقط.

وكون المتاجر أكثرها بأيدي الهنود مما يجعل المرء يتسآءل: ابن النصف الآخر من سكان فيجي وهم الفيجيون الأصليون عن ميدان التجارة؟

ومن الأشياء غير المستحسنة في طبيعة الهنود أنهم لايحبون الاختلاط بغيرهم وبخاصة في الزواج لذلك تراهم يحافظون على أنفسهم وعلى عاداتهم ومآكلهم حتى اللباس ماتزال بعض النسوة من الهنديات يلبسن

لباس أهل الهند رغم أنهم الجيل الثالث من المهاجرين وهذا مما يجعل النصف الآخر من السكان يشعرون بأن هؤلاء الهنود غرباء عنهم.

ولو كانوا تزوجوا واختلطوا لما كان هناك خطر صدام عنصري بين الطرفين في المستقبل على أن الحاضر يطمئن السكان إذا سارت الأمور في المستقبل على ماهي عليه الآن فلا اضطرابات عنصرية بين الفيجيين الأصليين وبين الهنود المهاجرين بل إن الهنود يقولون عن أنفسهم إنهم فيجيون على اعتبار أنهم قد اصبحوا من أهل فيجي منذ أن اكتسبوا الجنسية الفيجية وولدوا في هذه البلاد.

وحتى الهنود أنفسهم قد أصابتهم بركة الطمأنينة في هذه الجزر فزايلهم النزاع الطائفي الذي أصاب أهل الهند في الهند فليس بين المسلمين والهندوكيين أي نزاع طائفي ولا اضطرابات دينية.

ونرجع إلى هذه الجولة في الاسواق التجارية في بلدة نادي فنقول: إن من الغرائب فيها أن نجد عدة محلات تجارية تقول: هنا بضائع معفاة من الرسوم الجمركية أو(ديوتي فري) كما في الإنكليزية وفيها الساعات والمصورات والأقلام وما خف حمله وغلا ثمنه.

وذلك بأن البلاد تطمح إلى زيادة السياح وبخاصة من نيوزلندا واستراليا في فصل الشتاء البارد في تلك البلاد إلى هذه الجزر التي لاشتاء فيها وفصولها كلها صالحة للسياحة والسباحة وبذلك يرى المرء في الأسواق اعداداً كثيرة من السياح الأجانب من ذوي المظهر الأوروبي والسلع في هذه المتاجر متوفرة والناس يقبلون على الشراء لأن أسواق نادي هذه ليست لبلدة نادي وحدها بل لها ولما حولها من القرى.

واكثر المسلمين في هذه الاسواق يمكن معرفتهم من لباس الطاقية على الرأس وهذا قليل أو في اللحى الهندية التي تركوها في وجوههم.

وهذا أكثر من الطواقي.

أما الهندوكيون فهم من عدا أولئك. وطائفة السيخ من أهل الهند موجودون هنا بقلة.

وهؤلاء الهنود هاجروا كلهم عندما كانت بريطانيا تحكم الهند فكانوا يعتبرون من رعاياها الذين يحق لهم التنقل والإقامة في البلاد التي تحكمها، إضافة إلى أن الانكليز كانوا بحاجة إلى طبقة من الأجانب مثلهم يشغلون الوظائف التي يترفعون عنها وفي الوقت نفسه ليتمكنوا بذلك من إبقاء المواطنين الأصليين على عاداتهم القبلية الموروثة وعدم تمرينهم على القيام بالاعمال الهامة حتى لايثوروا على الإنكليز فيخرجوهم من البلاد.

هذه هي كانت الحال في الزمن الماضي عندما كان الانكليز يتمسكون بمستعمراتهم ولاينوون الخروج منها لأنهم كانوا يكسبون منها أكثر مما يخسرون.

أما بعد أن اختلف الأمر واستيقظت أكثر الشعوب وعرف الإنكليز أنهم إذا تمسكوا بمستعمراتهم يخسرون من الرجال والاموال أكثر مما يربحون فقد سلموها للمواطنين ولكن بعد أن تركوا في أكثر البلاد مشكلات تجعلهم يحتاجون إليهم في حلها أو على الأقل تجعلهم لايتفرغون لمشكلاتهم مع الإنكليز التي يخلفها الاستعمار في العادة اذا لم تكن العلاقات بالمستعمرات السابقة ذات علاقات ثقافية متميزة.

في سوق الخضراوات :

ليس في الأسواق التجارية في هذه البلدة جديد يستلذ السائح الأجنبي رؤيته لأن جميع البضائع التي فيها مستورد مألوف.

ولولا رؤية بعض المواطنين من الفيجيين الأصليين بشعورهم المنفوشة الضخمة على رؤسهم التي هي جعدة ولكنها كثيفة، وأزياء رجالهم التي هي الفوط المشدودة ونساؤهم اللآتي في مناظرهن غرابة لما كان هناك مايستحق الذكر فيها لأنها البضائع الأجنبية المستوردة عند باعة من أهل الهند.

لذلك رأيت أن أذهب إلى سوق الخضراوات أو (الماركت) كما يسمونه ويقع في مكان مسقوف غير واسع ولذلك كتبوا عليه نرجوا أن تتحرك اذا انهيت حاجتك ومع ذلك لم أر فيه عندما وصلت في هذه الساعة من بعد الظهر أي زحام بل العكس هو الصحيح وربما كان ذلك لكون الوقت في غير اشتداد الإقبال عليه.

وقد وجدت بعض الباعة فيه من الرجال من الهنود وقلة من النساء من أهل البلاد الأصليين إلا أنني وجدته فقيراً جداً في الفواكه والخضراوات التي يفترض أن تكون من إنتاج هذه البلاد المطيرة الخضراء التي تسقط عليها مقادير هائلة من الامطار وحتى الفواكه التي تشتهر بها المناطق الاستوائية والشبيهة بالاستوائية مثل الموز والأناناس نادرة الوجود في هذا السوق.

وفاكهة الباباي لم أجدها إلا عند بائعين اثنين وقد اشتريت واحدة أقدر أن وزنها قريب من الكيلو بنصف دولار أي ريالين وهي غير ناضجة تماماً.

ومن أغرب ما رأيته في هذه السوق نوع من اللوبيا قرونه طويلة بحيث تكاد تبلغ في الطول مايقرب من المتر الواحد.

وقد أخذت اقيسها بذراعي فتعجب مني البائع وهو هندي الاصل وإن كان لم ير الهند لا هو ولاابوه وسألني عن السبب في ذلك فقلت

له إن اللوبيا في بلادنا لايزيد طولها على الشبر إلا قليلاً وهذه خمسة أشبار.

ثم خشيت أن تكون غير اللوبيا وإنما غلطت في أمرها فسألته عما يصنعون بها فقال إنا نطبخها مع اللحم وإنها نوع من الخضار.

والحاصل أن سوقهم فقيرة في الخضار والفاكهة وأن السبب في ذلك حسب تقديري هو في عدم تقدير السكان للعمل والإنتاج وكسلهم وإلا كان بإمكانهم أن ينتجوا من بلادهم مما هو مناسب لها أكثر من الفاكهة والخضراوات.

وفي هذه السوق رآني أحد الهنود من غير أهل السوق فسألني قائلاً: أنت من لبنان؟

فسألته : لماذا تعتقد أني من تلك البلاد؟

فقال : أنا عملت مع اللبنانيين في استراليا ثم قال: أرجو أن تخبرني بمعنى جملة (ثلاث طعش) ولفظها بالعربية فقد سمعت أحد اللبنانيين يكرر قوله استراليا (ثلاث طعش) مليون ولا أعرف معناها فقلت له: إنه ثلاثة عشر أي : ثيرتين بالإنكليزية.

وعدت إلى ركوب الحافلة بعد أن سألت عن موقفها العام فدلني عليه رجل فيجي الأصل مشى معي حتى أراني إياه.

وذلك مظهر من مظاهر البساطة عند هؤلاء القوم فقلت للسائق أرجو أن تخبرني إذا وصلت إلى فندق (دمنيون) فدلني عليه.

يوم الخميس ٣ ذي الحجة ١٤٠١هـ ١ اكتوبر ١٩٨١م.

إلى مدينة سوفا :

كان الأخ حشمة علي عندما أخبرته أمس أنني سأسافر غداً إلى

مدينة (سوفا) عاصمة جزر فيجي لأجتمع بإخواني المسلمين هناك واطلع على مشروعاتهم الإسلامية وأبحث معهم كيفية مساعدتهم في أمور دينهم قد قال إن أخاه واسمه (شمشير علي) يعمل في المطار الدولي في فيجي وأنه سيحجز لي في أول رحلة تقوم من نادي إلى (سوفا) في السادسة صباحاً كما حجز لي حسب رغبتي على طائرة العودة إلى نادي في الساعة الواحدة من بعد الظهر وأنه لذلك لاحاجة بي إلى الخروج للمطار والحجز منه فشكرته.

وعندما كانت الساعة تقارب الخامسة وكان ذلك أول حلول صلاة الفجر كنت بعد أن صليت أنزل إلى مكتب الاستقبال في فندق (دمنيون) وأسأل رجلا مناوباً أن يرسلني إلى المطار بسيارة الفندق. فلم يمانع لطيبته ولم يسألني عما إذا كنت قد تركت أمتعة في الغرفة لأنه كانت معي حقيبة يدوية فيها الاوراق والنقود والمصورة (الكاميرا) فأيقظ سائق الفندق من نومه ولما أوصلني هذا إلى المطار نقدته دولارا واحداً فشكر وذكر لأنه لم يكن ينتظر هذا الحلوان (البقشيش) اذْ عادتهم أن يحملوا المسافر إلى المطار بالمجان على أنني لست مسافراً مغادراً ولكن هكذا طبيعتهم في هذه الجزر سمحة غير معقدة.

وصلت المطار في الخامسة والربع فلم أحد فيه أي مخلوق بتحرك الا حارساً واحداً مكلفاً بحراسته كله على طوله لأنهم بنوه مستطيلا ركن منه للقادمين وآخر للمغادرين وركن للطيران الداخلي والجزر المجاورة.

فاستقبلني هذا الحارس السمح كباقي أهل البلاد وهو من الفيجيين الأصلاء فسألته عن الموظفين؟ فأجاب أنه ليس في المطار منهم أحد وننتظرأنهم سيأتون في الخامسة والنصف.

جلست في المطار لايؤنس وحدتي إلا طائران حسنا الصوت

يتبختران ويغردان ويقفزان في الأنوار البيضاء التي تضيء داخل المطار وكأنما غرهما ذلك النور الأبيض فظنا أنه الصبح المنير، أو أن طبعتهما هكذا أن يبالغا في التبكير.

وطال انتظاري حتى صارت الساعة السادسة وحضر موظف مالبث أن تكلم في الهاتف ثم أشار اليَّ بأن احداً يريد أن يكلمني.

فعجبت من ذلك وقلت كما في الحديث أنى بأرضك السلام ومن الذي يريد أن يكلمني في هذا المطار وأنا قد رفضت حتى أن يوصلني إخواني المسلمون أمس بسياراتهم إلى فندقي محافظة على الوقت من أن يضيع في مجاملة الزوار.

وإذا بالمتكلم هو الأخ الوفي (شمشير علي) قال: إنَّ كل شيء معد ومرتب لسفرك وعودتك ولكن الذين أخبروك أن أول طائرة تقوم هي في السادسة قد غلطوا وإنما هي في السابعة وكان يكلمني من بيته.

واشتريت تذكرتين للذهاب والإياب. ولم يكن معي أمتعة توزن ولكن موظف الترحيل طلب منى أن أزن نفسي فعرفت من ذلك أن الطائرة صغيرة لأنها هي التي يحتاجون إلى أن يعرفوا أوزان الركاب فيها دون الطائرات الكبيرة.

على الطائرة الفيجية :

الطائرة صغيرة ذات مروحتين وسقف منخفض بحيث لا تمشي فيها إلا مطاطيء الرأس وعدد المقاعد فيها ستة عشر مقعداً كلها مشغولة بالركاب.

وليس فيها إلاَّ ملاح واحد هو الطيار وذكرت بهذه المناسبة مرات عديدة ركبت فيها في انحاء مختلفة من العالم طائرات صغيرة مثل هذه

ليس فيها إلا طيار واحد وخامرني شعور من الخوف والاشفاق مما إذا حدث للطيار شيء مفاجيء وهو في الجو كيف يتصرف الركاب الذين لايعرفون شيئاً من أمور الطائرات وكانت تلك المرات في انحاء متباعدة مثل البحر الكاربي بين أمريكا الجنوبية وأمريكا الشمالية ومدغشقر وانحاء تنزانيا في شرقي إفريقية.

ولكن الله سبحانه وتعالى قد قدر السلامة في كل هذه الرحلات ولله الحمد.

والطائرة تابعة لشركة (فيجي اير).

وكان أول مايتعب في ركوب هذه الطائرات الصغيرة هو صوت المحركين وبخاصة عند بدء الارتفاع ولكن متعة النظر إلى الأرض والجبال من قرب تذهب ذلك التعب.

كان قيام الطائرة في الساعة السابعة تماماً وعندما قامت من المطار رأينا الجبال واضحة ومنطقة (نادي) التي تقع بين الجبال والساحل إلا أنها في مكان متسع غير ضيق من ذلك.

ونهر نادي ذو المياه الضحلة يظهر كأنه الوادي من وديان الصحراء الذي سال وأوشكت مياهه على الوقوف.

والمنازل المتفرقة في الريف المزروع في السهل وفي سفوح الجبال.

ثم وصلت الطائرة إلى مافوق الجبال وقبلها كان نهر صغير نشط يجري بمرح مسرعاً إلى أصله الأصيل البحر الهاديء الكبير إذْ كل شيء يعود إلى أصله كما يقول العوام.

ورأيت من الجو كما رأيت من الأرض قمما من قمم الجبال سوداء كالحرار ــ جمع حرة ــ عارية من النبات تماماً مما يدل على طبيعتها البركانية القديمة.

ولايوجد النبات إلا فيما دون القمم وأما الأشجار فإنها في الوديان والسفوح المستقرة والحقيقة أن رؤية هذه الجبال من هذه الطائرة الصغيرة التي لا ترتفع كثيراً في الطيران أمر ممتع حقاً.

وهذه الجبال هي التي تحول بين المدينتين (نادي) الهامة حيث المطار الدولي و(سوفا) العاصمة وتجعل الوصول إلى سوفا من نادي يتم الآن بالسيارة في ثمان ساعات لأنه يساحل لايستطيع اختراق هذه الجبال إضافة إلى ردائته وعدم زفلتته في أكثر المواقع ولو تمكنوا من فتح طريق جيد في هذه الجبال لاختصرت المسافة إلى أقل من النصف.

ويسهل ذلك على المواطنين أمر الاتصال بينهما إضافة إلى مايوفره من جهد ووقت ومال. فتذكرة في الطائرة الصغيرة هذه إلى سوفا بـ ٢٦ دولاراً فيجياً ويساوي ذلك حوالي مائة ريال لمسافة لاتزيد إلا قليلاً على مائتين من الكيلات.

إضافة إلى أن الطريق إذا فتح سيساعد على نشؤ قرى وأراض زراعية قريبة منه فقد لاحظت أن القرى في هذه الجبال قليلة والزراعة المنظمة أيضاً قليلة مع توفر الماء من الأمطار بكثرة وصلاحية المنطقة لعدد من المزروعات النافعة فلم أشاهد في أول ما ارتفعنا فوق الجبال الا قرية واحدة في منخفض متسع اتساعاً قليلاً وبيوتاً بيضاء في منخفض آخر. ونهراً ضحل المياه في احد الأماكن المنخفضة أيضاً عليه بيوت قليلة جداً متفرقة ربما كانت لمزارعين.

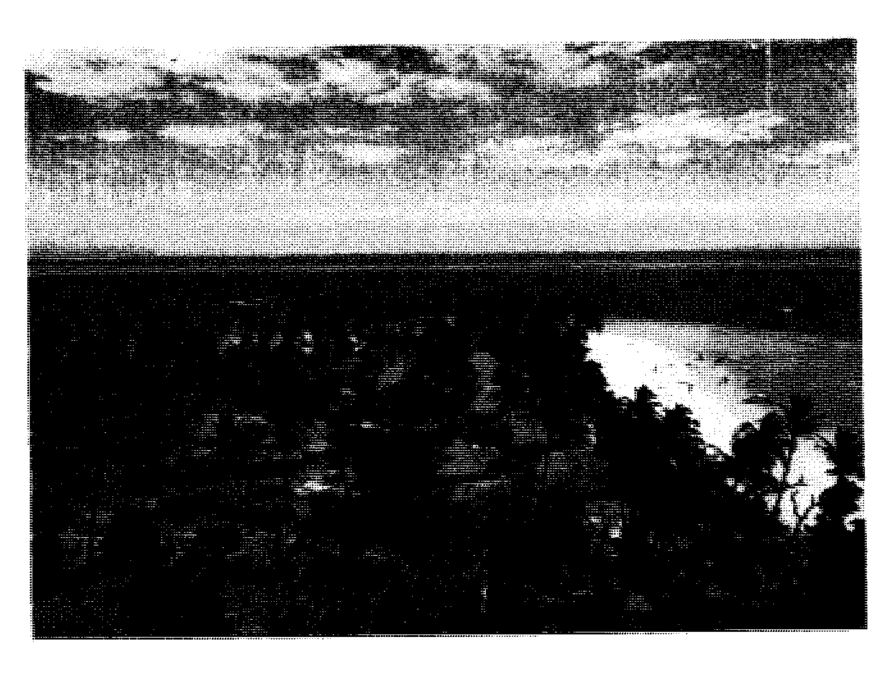
ورغم الطيران فوق الجبال فإن البحر يشاهد إلى جهة اليمين على بعد لأن السهول التي تقع بين البحر والجبال ليست متسعة.

ومما لاحظته أيضاً واستغربته وجود طرق ترابية فيها آثار تسوية ولكنها في الأماكن المرتفعة من الجبال بل فوق ظهور التلال الجبلية

وليست في السفوح مع أن القياس أن تكون في الاماكن المنخفضة منها ولكن السبب فيما يظهر هو رغبتهم في عدم صعود الطرق صعوداً مباشراً وعدم تعرض الطريق لما تجرفه السيول من تربة إذا كانت في الأماكن المنخفضة. وتلافيا للوديان في هذه البلاد المطيرة.

ثم أخذت الطائرة تطير فوق ساحل البحر حيث اقتربت الجبال من الشاطيء فكان منظر جميلاً وزاده جمالاً وجود قطع من السحاب البحري المنخفض تسير في اتجاه معاكس لاتجاه الطائرة فتراها مسرعة.

وشاطيء رملي يمتد على امتداده الطريق ترابياً غير مزفلت وهو في وسط الخضرة التي ترصعها أشجار النارجيل الريان. وأكواخ على طراز قديم لسكان جزر فيجي الأصلاء التي لا تبعد في شكلها كثيراً عن اكواخ الإفريقيين مما يكاد يقوي القول بأن أصل مجيء السكان كان من القارة الإفريقية عبر المنطقة الإستوائية الآسيوية في الجزر الاندونيسية وماحولها.



في مهبط باسفيك هابر :

مرت الطائرة بسرعة فوق عدد من الجزائر الصغيرة بقرب الساحل تشبه جزر مالديف من بعض الوجوه ثم نزلت في مهبط من الأرض فيه بعض الأعشاب الطبيعية غير المزروعة ولولا ذلك لكان ترابيا غير أن الأرض مطيرة وكان المطر يهطل بالفعل عندما نزلت الطائرة.

كان هبوطها مباشراً مزعجاً لأنها نزلت بسرعة ولم يكن في الأرض التي نزلت فيها والتي أسميتها مهبطاً وليس مطاراً أي شيء من الأسفلت بل هو الحصباء أي الحصى الصغار والعشب.

ومكتب المطار أيضاً من النوع نفسه فليس فيه بناء بالإسمنت أو اللبن أو حتى الخشب المصقول المعتنى به وإنما هو كوخان من القش المصنوع على طراز تقليدي قديم.

ونزل الركاب وكلهم من ذوى الأصل الأوروبي إلا واحداً هندي الأصل. وكان ركاب مستعدون للسفر إلى (نادي) واقفين فقامت بهم الطائرة بعد دقيقتين من نزولها ونحن ننظر إليها.

وعندما قامت عائدة إلى نادي التفت الموظفون الينا وهم رجلان وامرأة.

وكانت شركة الطيران قد قطعت التذكرة لنا تذكرتين إحداهما للطائرة وقد انتهى ركوبها بعد أن استغرق نصف ساعة والأخرى لركوب حافلة من هذا المهبط الذي أسموه مطاراً إلى مدينة (سوفا) نفسها.

وكان أكثر الركاب البيض الذين كانوا معنا في الطائرة قد تخلفوا في ذلك المكان. أما نحن وركاب آخرون فقد ركبنا الحافلة بالتذاكر التي معنا.

ولم أشاهد في هذا المكان الذي هبطت فيه الطائرة أي أثر لمدينة أو قرية أو عمارة وإنما هو مكان قريب من الساحل رطب ندي وسط غابات من الأشجار الطبيعية تخترقها خلجان من البحر ضيقة أو مجاري مياه عذبة تنزل إليها من الجبال قاصدة البحر.

هذا المطار للسعوديين :

بعد أن وصلت مدينة (سوفا) واجتمعت بإخواننا في الجمعية الإسلامية واخبرتهم بخبر النزول في هذا المكان اخبروني بخبر فاجأني ذلك بأنهم قالوا: إن هذا المطار والمنطقة التي هو فيها هو ملك لكم أيها السعوديون إنه يملكه الثري السعودي عدنان خاشقجي وشركاء له من السعوديين وإن فيه فندقاً ضخماً يملكه أيضاً.

وإنه قد يزور هذا المكان في بعض الأحيان زيارة مفاجأة لقضاء وقت من الراحة والاستجمام واسم المنطقة (باسفيك هابر) أي ميناء المحيط الهاديء.

ولما سألتهم عما إذا كانوا قابلوه وشرحوا له أمر المسلمين في هذه البلاد وحاجتهم إلى المساعدة أجابوا بقولهم إن مجيئه يكون في أغلب الأحيان مفاجئاً لأنه يملك طائرة خاصة ويختاً، أي قارباً خاصاً ولدواعي الأمن فلا نعلم بمجيئه ولأن وقته يكون مشغولاً وقال أحدهم إنه رجل كبير أنى لنا ولامثالنا بمقابلته.

فقلت لهم اعتقد أنه هو لايقول ذلك ولكنكم أنتم تظنون هذا الظن لما تعرفونه عن كبار رجال المال والأعمال من الأوروبيين ومن سار في ركابهم.

وقالوا : إن هذه المنطقة يقصدها بعض طلاب الراحة والأمان

لهدوئها وأمانها ولأنها منعزلة عن العالم في مكان طبيعي لم تفسده الاصلاحات المدنية.

وأن هذا المكان يأتي إليه السياح من الأجانب ليتمتعوا بقضاء وقت من الراحة في الإجازة في جو طبيعي هادىء لم يغير الطبيعة فيه شيء وكما أن بعضهم يأتون لمشاهدة ذلك المكان الطبيعي فإن بعضهم يأتي لدراسة الطبيعة فيه. وفيه أماكن سياحية رخيصة لمن لايستطيعون السكنى في الفندق الكبير الغالي.



منتجع في فيجي

من المهبط إلى سوفا :

قد يكون هذا العنوان كبيراً على انتقال من مطار صغير إلى مدينة مجاورة كما كنت أظن من قبل غير أن الأمر هنا قد كان مختلفا اذْ تبين أنه يستدعى مدة من السير أطول من المدة التي قضتها الطائرة مرتين في الوصول إليه.

فقد ركبنا الحافلة ووزع موظف كان قد اخذ تذاكرنا في الحافلة صحيفة صادرة هذا الصباح بالانكليزية ليقطع بها الركاب سأم الطريق بينما كانت الحافلة تسير واسم الصحيفة (ذي فيجي تايم) أغلب مافيها إن لم يكن كله أخبار محلية وإعلانات وتقع في ٣٢ صفحة من القطع الصغير.

وكان أول مالفت نظري قرب المطار حوضاً فيه زهر الماء الكبير ذو الورقات المستديرة الكبيرة التي تشبه الصحاف الصخمة وبعيداً منها تخرج من الماء زهور ذلك النبات المائي العجيب الذي رأيته أول الأمر في حديقة في جزيرة موريشيوس إحدى جزائر البحر الزنجي المسمى غلطا بالمحيط الهندي وهي لا تبعد عن مدغشقر إلا ساعة بالطائرة وتقع في جهة الجنوب الشرقي.

ووجوده هنا يشعر أول الأمر بما تحققته بعد ذلك من أن هذه المنطقة ندية مطيرة بل هي من أكثر جزائر العالم أمطاراً وبالتالي من أكثرها مياهاً وأنهاراً.

بدأ الطريق في أشجار كثيفة غير مسفلت ثم وصل إلى طريق مسفلت جيد مرَّ فوق أحد الخلجان البحرية الخضراء الضفاف الداخلة في الغابات.

وخضرة ضفة البحر رغم ملوحة مياهه هنا لا تعجب لأن الأمطار الغزيرة تغسل التربة التي هي فيها باستمرار.

وتحف بالطريق ويمتد أمام السيارة أشجار الأماكن المطيرة شبه الإستوائية من النارجيل والعمبة (المانجو).

ثم وصل الطريق إلى أرض مستوية مزروعة نضرة فيها بيوت للمزارعين من الخشب المدهون الذي بني على طريقة حديثة بسقوف

مسنمة ليس في بنائه شيء ذو طابع محلي.

وقد تبين بعد ذلك أن هذه البيوت أو أكثرها لقوم من المزارعين الذين أصلهم من بلاد الهند وليسوا من الفيجيين الأصلاء.

ورأيت هنا أشجاراً ضخمة جداً غريبة لم أر لها مثيلاً في أي مكان من العالم رغم كوني زرت أكثر المناطق في العالم وهي تشبه الخيام الضخمة التي تتدلى اطراف أعاليها إلى الأسفل على هيئة مظلة مرتخية تتوسطها جذوع ضخمة وتسمى هنا (فيج).

وهي من الأتساع بحيث لو استظل بظلها مائة شخص لكفاهم دون أن يتزاحموا فيه. وأشجار أخرى كبيرة وهو ذات خوص كأوراق الذرة إلا أنه أكبر منها حجما بكثير.

ومتوسط ارتفاع تلك الأشجار مقدار قامة رجل ثلاث مرات. وعندما أمعنت الحافلة في السير تبينت المنطقة منطقة خصب بالغ ومياه كثيرة وهي تفوق منطقة (نادي) في هذا الأمر بكثير.

كما تبين لي أيضاً أن الجزيرة على وجه العموم أقل ازدحاما بالسكان، وأكثر اراضي صالحة للزراعة ولم تزرع من كثير من الجزر المشابهة لها وأقربها بها شبهاً من بعض الوجوه جزيرة مورشيوس التي سبقت الإشارة إليها.

وهناك أشياء تلفت النظر إلى ذلك يراها المرء الآن ومنها أبقار من ذوات الحجم الكبير ربما كانت من الأبقار النيوزيلندية الشهيرة لأن نيوزيلندا مجاورة لهم.

والمطر وهو ينزل متواصلاً من سحاب أسود كثيف السواد ذي رباب أبيض يبدو وهو متعلق به وكأنه الأشرعة المنشورة التي تلعب بها

الرياح، ومجارى المياه والنهيرات تنتشر في المنطقة يمر فوقها الطريق والحقول المتسعة بين الأشجار الكثيفة.

ثم مر الطريق فوق نهر غزير المياه مياهه حمراء شديدة الأحمرار ممايدل على أنه قد شهد أمطاراً غزيرة أو أنه في الأصل يمر فوق منطقة ذات تربة حمراء شديدة الاحمرار، والأول هو الأغلب.

وقبل الوصول إلى البلدة مررنا بمدرسة في الغابات بجانب الطريق كتب عليها أنها (بايبل كوليج) أي كلية الأنجيل أو الكلية الانجيلية.

وقد أقامتها بعثات الدعوة إلى النصرانية في هذه المنطقة النائية التي جاءت إليها قبل غيرها من البعثات الدينية وتفردت بها.

وكانت تلك البعثات مزودة بالإمكانات الضخمة من الطاقات البشرية والمالية والخبرة بمعاملة الشعوب.

ومع ذلك لم تكن النتيجة نصراً ساحقاً إلا في مجال دعوة أولئك القوم الذين لم يكن لهم دين سماوي من قبل وهم الفيجيون الأصلاء الذين كانت دعوتهم إلى النصرانية مصحوبة بالإغراءات ومن أهمها الإغراء بالتعليم والمناصب.

ولم يستطيعوا أن يقفوا في وجه الإسلام الذي كانت إمكانات الدعاة المحليين إليه قليلة بل ضئيلة بالنسبة إلى ماعندهم ولكن **(يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون).**

هذا وقد صار الطريق يسير بقرب البحر فبدا شاطيء البحر أخضر في الأماكن المرتفعة والألسنة الداخلة إلى الأرض بحيث لاتدري أهو شاطيء بحري أم نهري إلاّ بعد أن تسأل عنه.

وترى في البحر جزراً صغيرة خضرا كثيفة الإخضرار كأنها الخيام الخضر المضروبة في الصحراء في فصل الربيع.

في مدينة سوفا :

استقبلتنا مدينة (سوفا) عاصمة جزر فيجي بمقبرة إلى يسار الطريق ذات قبور شواهدها بيضاء فوق تل نضر في جهات منها شيء من الزهور.

وماذا تنفع نضارة الظاهر وإزهاره في ظلمة الباطن واكفهراره؟

ثم بدا ميناء الجزيرة على اليسار فيه سفن قليلة رغم أن هذه الجزر تستورد وتصدر عدداً من السلع الغذائية الرئيسية.

وكان الوصول إلى مشارف البلدة بعد مضي (٥٠) دقيقة من السير الحثيث المتواصل في الحافلة الصغيرة..

ووقفت في موقف معين من وسط المدينة التجاري في حي اسمه (باسو) جميع اللافتات فيه بالانكليزية ويبعد عن المطار الذي نزلنا فيه (٣٧) ميلا أي حوالي ستين كيلو مترا. وكان المطر ينهمر مدراراً وبي حاجة إلى طعام وشراب ساخن اذّ كنت قد استيقظت مبكراً قبل الفجر وماطعمت شيئاً في هذا الصباح فدخلت مطعما تديره وتقبض النقود فيه امرأة صينية وتخدم فيه نساء من الفيجيات الأصيلات ذوات الشعر المنفوش أو المنتفش بطبيعته فاخترت من بين ماعرضوه طبقا أسموه البيض بلحم البقر وذلك لأنني لا أتوقع أن اتناول بعده طعاما إلاّ بعد العصر لأن البرنامج في هذه المدينة مزدحم بسبب ضيق الوقت إذّ عليّ أن أعود في الساعة الثانية ظهراً إلى نادي.

جاءت الفيجية بهذا الطبق حافلاً كثيراً يكفي اثنين ومعه الشاي

الوافر فطعامهم في مطاعمهم في فيجي جيد النوع كثير الكم ذلك لأن البلاد لم تدخلها الاشتراكية التي تقيد حرية التجارة وتتدخل في الإستيراد والتصدير.

ورأيت اثنين من الآكلين في المطعم من ذوى اللحي التي لها عارضان الاَّ أنها لحي معتنى بها فعرفت أنهما من المسلمين ورأيتهما ينظران نظرة فيها معنى التعرف على شخص لأن لحيتي تشبه لحى المسلمين في هذه البلاد وان لم تكن اللحي عامة فيهم إلا أنهم متميزون بها إذْ عدد السيخ الذين لايحلقون لحاهم ولاشيئاً من الشعر في ابدانهم قليل جداً في هذه البلاد وإنما أغلب الهنود فيها هم من الهندوكيين ثم يليهم في الكثرة المسلمون.

ونقدت ثمن هذا الافطار الوافر دون أن أستطيع أكله كله وشربت الشاي معه فكان ثمن ذلك كله دولاراً ونصف الدولار أي حوالي ستة ريالات.

الجمعية الإسلامية في فيجي :

معي عنوان الجمعية الإسلامية الرئيسية في هذه الجزر وهي (رابطة مسلمي فيجي) والمكتب الرئيسي لها في هذه المدينة ولها فروع في مدن الجزيرة العاصمة هذه وفي الجزر الأخرى المسكونة من جزر فيجي التي يبلغ عددها ثلثمائة جزيرة أغلبها غير مأهول لصغره أو لعدم صلاحيته للسكنى.

وكان المطر يهطل غزيراً ولم يكن معي ماكان مع أهالي البلاد الذين كانوا قد اعتادوا على السير في المطر.

إذ رأيتهم يسيرون ومع بعضهم مظلات واقية من المطر وآخرون قد لبسوا أغطية من اللدائن الخفيفة تقي الثياب البلل.

فأريت العنوان لهندي هندوكي فقال إنه في (ساما بولا) وهو حي يبعد عن قلب المدينة التجاري هذا الذي أنا فيه بخمسة كيلات ولابد له من (تاكسي).

فخرجت أبتغي موقف سيارات الأجرة فرأيت جماعة من الناس رأوني لا استطيع السير في الشارع المكشوف إلى موقف سيارات الأجرة بسبب المطر فعرضوا أن ينادوا على سيارة أجرة فشكرتهم إلا ان أحدهم بادرني قائلاً: هل أنت عربي او عرب على حد لفظهم فلا يفرقون بين كلمة عربي وكلمة عرب التي تعني اسم الجنس.

فلما أجبت بالايجاب قالوا: العرب أغنياء عندهم بترول كثير فقلت لهم: ليس العرب كلهم كذلك. لأن تهمة الغنى بالنسبة إلى الغريب تعني شيئاً آخر وهو الطمع فيه أو لفت نظر الطامعين فيه.

فانتدب أحدهم وقال: أنت تريد سائقاً مسلماً لأنك مسلم، يا تاكسي فجاء رجل هندي الأصل قاتم السمرة ركبت معه وسألت عن الأجرة وكنت قد سألت عنها القوم من قبل: فقال: ثلاثة دولارات. ثم سألته عما اذا كان مسلماً أو هندوكيا؟ والهندي الذي في مثل مظهره لايكون إلا أحد هذين الرجلين فسكت قليلاً ثم قال: كله واحد او سيم، بالإنكليزية اي سواء وتبين بعد ذلك أنه غير مسلم.

ومضى بسيارته وهو يحدثني في الطريق عن أمور من أموره في هذه البلاد منها أن معدل مايكسبه سائق الأجرة في اليوم هو (٢٥) دولاراً أي حوالي مائة ريال سعودي. وأن الهنود هنا كلهم واحد لايفرق بينهم الدين على حد تعبيره وأراني مسجداً صغيراً على الطريق ومعبداً هندوكيا حتى أوصلني إلى مقر رابطة مسلمي فيجي وقال هذه هي لافتتهم ثم نظر إلى عداد السيارة وقال: إنه لم يسجل إلا دولارين

ونصفاً وليس ثلاثة كما أخبرتك فأعطيته الثلاثة كاملة وشكرته. وكان المطر لايزال يهطل مدراراً.

عبدالعتيق وعبدالقطب :

كان أول ما دخلته في بناية خاصة برابطة المسلمين في فيجي غرفة واسعة بل ربما كانت غرفتين أو ثلاثا جعلت واحدة حافلة بالكتب وقد استقبلنا فيها أخ مسلم كريم من أصل هندي اسمه (عبدالعتيق) وعلى غرابة هذا الاسم لانه إذا كان المراد بالعتيق اسماً من أسماء الله تعالى فإن هذا لايجوز وإن كان المراد بعتيق لقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي كان يعرف به في الجاهلية قبل إسلامه فإن التعبيد لغير الله تعالى لايجوز مع أن اسم أبي بكر هو (عتيق) بدون أل. غير أن غرابة هذا الاسم قد اختفت من ذهني عندما دخل موظف آخر وقدموه قائلين إنه محمد (عبد الكتب) ولم أفهم ذلك فسألت: اهو عبد الكاتب؟ قالوا: لا إنه عبد الكتب ثم تبين بعد ذلك أنه عبد القطب، وهو موظف في الجمعية.

والقطب هنا المراد به قطب الزمان عند الصوفية الذي يقول فيه بعضهم إنه القطب الغوث الفرد الجامع وأكثر ما تتردد مثل هذه الأشياء في كتب المتصوفين مثل طبقات الشعراني والكواكب الدرية في مناقب الصوفية للمناوي.

ويخفف من أثر هذه التسميات أن إخواننا المسلمين من أهل الهند لايعرفون معناها ولايقصدون ماتدل عليه وإنما هي أسماء موروثة عن الأسلاف.

فيسمي الرجل ابنه على اسم والده أوجده أو قريبه دون إرادة للمعنى أو دون معرفة بدلالته مثلما نفعل العرب عندنا في الأسماء

الأعجمية التي هي من أسماء الأنبياء مثل اسحاق وابراهيم وهم لايعرفون معنى اسحاق ولا إبراهيم.



عند المكتبة الإسلامية في مقر رابطة مسلمي فيجي السناتور شيراني (الثاني من اليمين)على يمينه المؤلف فالأخ فضل خان.

اعجبني المقدار الكبير من الكتب في هذه المكتبة فسألت الأخ عبدالعتيق عنها فقال إنها كتب إسلامية للبيع بأسعار ميسرة وأن وظيفته هي مدير الكتاب الإسلامي في الجمعية واغلبها بالإنكليزية وقد أحضروها من الهند وباكستان والولايات المتحدة.

فى مقر رابطة المسلمين

سالت عن الأخ (شير محمد خان شيراني) رئيس رابطة مسلمي فيجي فقالوا: إنه ليس موجوداً في مقر الجمعية وإن الذي موجود الآن

هو الأخ محمد فضل خان سكرتيرها وهو رجل نشيط وعارف بأكثر أمورها.



شعار رابطة مسلمي فيجي.

فجلسنا في مكتبه وحضر الشيخ محيي الدين جنيد من إندونيسيا ومتخرج من الجامعة الإسلامية في ليبيا.

وقال الشيخ جنيد وهو يجيد العربية بطلاقة: إنه وزميله يتعاونان تعاوناً كاملاً مع الشيخ إبراهيم الذي هو من أصل هندي وقد بعثته دار الإفتاء في المملكة العربية السعودية على نفقتها إلى هذه الجزر للدعوة إلى الله.

وقال الأخ الجنيد: إن كل المبعوثين يعملون في مؤسسات ومدارس تابعة للجمعية ثم حضر الأخ (فضل خان) الأمين العام لرابطة مسلمي فيجي.

فدار الحديث عن أوضاع المسلمين في هذه الجزر خاصة وفي منطقة جنوب المحيط الهادىء التي تقع فيها بوجه عام.

ثم حضر الأخ (شير محمد خان شيراني)رئيس الجمعية فعقدنا جلسة محادثات في قاعة الاجتماعات حضرها إلى جانب الرئيس الأمين العام والسكرتير في الإدارة وعدد منهم الأخ محيي الدين جنيد الاندونيسي فتناولت أوضاع المسلمين في هذه البلاد ومايريدون أن يعملوه ومايواجههم من تحديات في سبيل الدعوة إلى الله.

وقد تبين مما قالوه أنهم يكادون يعتبرون من المنسيين في البلاد العربية بالنسبة إلى إخواننا المسلمين في أنحاء العالم الأخرى ومن ذلك أنه لم تصلهم حتى الآن أية مساعدات إلا عشرون ألف دولار من المملكة فأخبرتهم أنه قد عرضت علينا معاملة تعلق بمساعدتهم وأنه كان قد تقرر صرف مائة وخمسين ألف دولار لرابطة المسلمين في فيجي هذه.

فقالوا : إنهم سمعوا عن هذه المساعدة ولكنهم لم يعرفوا بسبب توقفها فوعدتهم بالعمل على إنهائها وارسالها إليهم وقالوا: إن من مشروعاتهم العاجلة بناء مركز إسلامي عام في مدينة سوفا العاصمة وأنهم يحتاجون إلى المزيد من مدرسي اللغة العربية والدين الإسلامي لأنهم غير موجودين في فيجي واستقدامهم من الهند إلى جانب كونه ذا كلفة مالية فإنه لايكون مثل استقدام المدرسين العرب أو الذين درسوا في البلدان العربية.

وقالوا : إن الحكومة لا تضع أية صعوبات أمامهم فيما يتعلق بأمور دينهم وليس هناك موانع على الدعوة الإسلامية من أي نوع.

وقالوا إن الشعب لايعاديهم وليس بين الأكثرية من الهندوكيين وبينهم وهم أقلية عددية إسلامية أي عداء طائفي أو نزاعات دينية وكذلك بقية طوائف الشعب وأكدوا ذلك بقولهم: إن ضعف المسلمين هو منهم أنفسهم فنسبة التعليم بينهم يجب أن تكون أكثر ويجب أن يتعاونوا و يتساندوا فيما بينهم على مايرفع من شأنهم.

وبعد أن شرحت لهم سياسة التضامن الإسلامي التي تسير عليها حكومة المملكة العربية السعودية، والتي تعنى التعاون بين المسلمين على مايفيدهم من دون التدخل في الأمور الداخلية للهيئات أو الجماعات الإسلامية ومن دون أن نبتغي الحاق الضرر بالآخرين الذين يعيشون معهم إلا إذا كان بعضهم يعتبر أن مجرد الرفع من شأن المسلمين يلحق الضرر بهم فإننا لانبالي بهم لأنه ليس من الممكن أن نترك مساعدة إخواننا ونحن قادرون على ذلك من أجل خاطر أحد.

وقالوا : إنه يوجد لهم في الحكومة وزير واحد هو (محمد رمضان) وزير الصحة من ١٥ وزيراً في الحكومة.



في مقر رابطة مسلمي فيجي في سوفا بين السيناتور شيراني في أيمن الصورة والأخ فضل خان.

جولة في مدينة سوفا :

مدينة سوفا هي عاصمة جزر فيجي وهي أكبر مدينة في جزيرة

فيجي الرئيسية التى تدعى باللغة الفيجية المحلية فيتي لافو ومعناها الجزيرة الكبيرة لأن لافو جزيرة وفيتي كبيرة وفيتي هذه هي التي أخذت منها تسمية فيجي الحالية إذ انقلبت من فيتي بلسان الوطنيين إلى فيجي في اللغات العالمية.

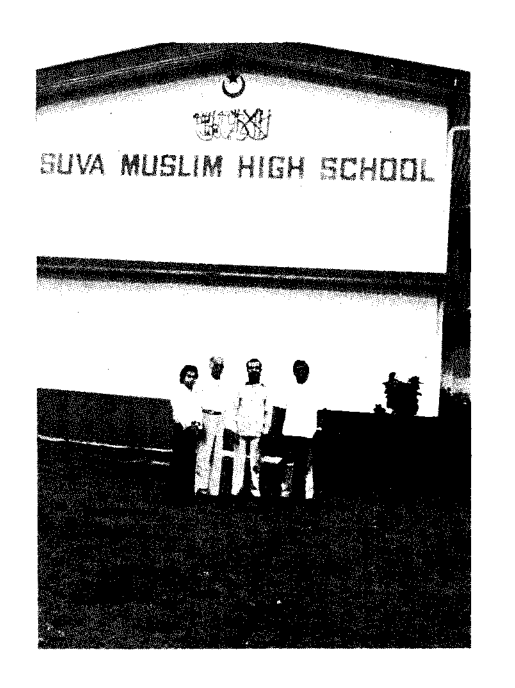
ويبلغ عدد سكان مدينة (سوقا) ١١٨ ألف نسمة من مجموع سكان جزر فيجي الذي يناهز ستمائة ألف نسمة.

وفي مدينة سوفا خمسة عشر الفا من المسلمين ولذلك كان المركز الرئيسي لرابطة مسلمي فيجي فيها إضافة إلى كونها هي العاصمة.

وهذه الجولة تشمل زيارة بعض الأماكن الإسلامية ومشاهدة الأماكن الهامة في المدينة وكانت أولى الوقفات عند أرض تملكها رابطة المسلمين في فيجي وهي أرض متسعة جداً تبلغ مساحتها خمسة وخمسين فداناً.

ويريدون أن يبنوا المركز الإسلامي العام فيها لأنها متسعة ومملوكة لهم وقد زرنا المدرسة التي بنوها فيها ويسمونها (مسلم هاي اسكول وهي مدرسة مدنية تعلم المنهج العام واللغة الانكليزية إلى جانب تعليم مبادىء العربية والدين الإسلامي وكثير من مدرسيها ومدرساتها من غير المسلمين. ولكن قصد بها تيسير التعليم العام مع قسط من المعرفة الإسلامية لأبناء المسلمين.

وتساعدهم حكومة فيجي ببعض المساعدة وبعض رواتب المدرسين على اعتبار أنهم يسهمون في تعليم بعض أبناء الشعب تعليماً عاماً ولذلك يوجد لديهم عدد من الطلاب من غير المسلمين ممن يسكنون في المنطقة يقولون إنهم قبلوهم لكيلا يفقدوا معونة الحكومة التي تحتم عليهم ذلك ولكي يسمعوا ابناء غير المسلمين بعض مايريدون أن يسمعوهم عن



تحت لافتة المدرسة الثانوية الاسلامية في مدينة سوفا عاصمة جزر فيجي.

الإسلام عسى أن يكون ذلك وسيلة لإسلامهم فى المستقبل أو لأن يقاوم في نفوسهم مايبثه اعداء المسلمين عن الإسلام.

وقد رأيناهم بدأوا في بناء إسمنتي بقرب المدرسة يقولون إنهم يريدونه معملاً للتقنية (التكنولوجيا) والعلوم يتعلم فيه طلاب المدرسة التي هي مدرسة ثانوية وليست كلية رغم ماتوحي به تسميتها (هاى اسكول) التي تعني حرفياً المدرسة العالية وان كانت تعني في الاصطلاح المدرسة الثانوية التي هي بعد الإعدادية.

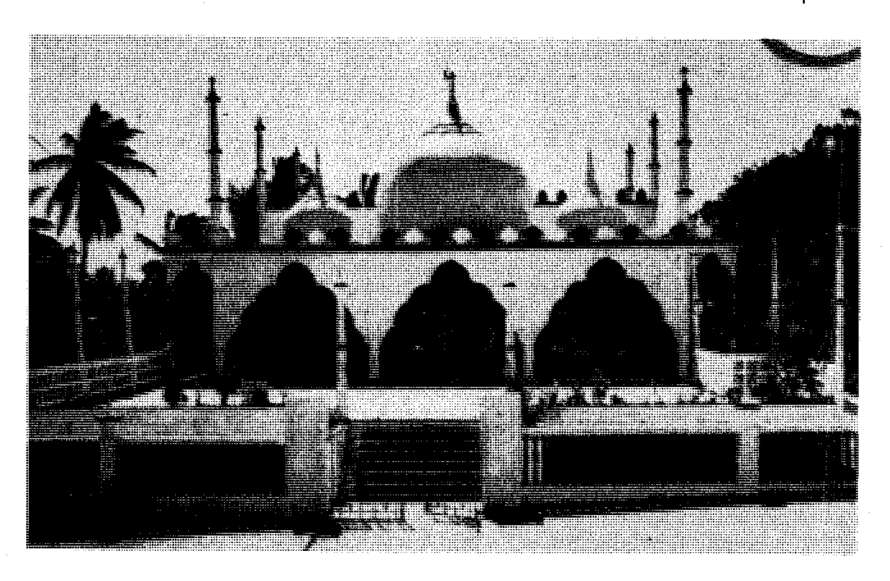
ويقولون إن بناءه يكلفهم ستين ألف دولار فيجي أي مائتين واربعين ألف ريال سعودي. كما أنهم سيقيمون مسجداً عليها يتكلف

بناؤه سبعين ألف دولار فيجي، ولكنهم لم يبدأوا العمل فيه بعد.

ثم ذهبنا في سيارة الأخ (شيراني) رئيس الرابطة التي يقودها بنفسه في الجولة فمررنا بمعبد للقاديانيين يسمونه مسجداً في هذا الحي من العاصمة وهو حي (سامابولا) ثم مررنا بمعبد آخر لهم قد طلوه بطلاء أبيض ملفت للنظر.

وقد علق إخواننا على هذا الموضوع بهذه المناسبة مخبرين بنشاط القاديانيين لأنهم يجدون الدعم من خارج البلاد كما أن النصارى يجدون الدعم أيضاً من الهيئات النصرانية في الخارج أيضاً.

ومررنا بمكتب للبهائية قالوا إنه نشيط أيضاً ولديه عدد من الأعضاء ويقوم بدعاية قوية لهذا المذهب.



جامع سوفا

جامع سوفا :

وكان الهدف الأول من الذهاب هنا في هذا الوقت القصير هو

رؤية المسجد الجامع في مدينة سوفا ويسمونه (جامع مسجد) أي المسجد الجامع.

وقال أحدهم هنا: إن هذا المسجد هو أكبر مسجد في سوفا وقد اعتنى به المسلمون لأن (سوفا) دار الخلافة ونطق بهذه الجملة (دار الخلافة) باللغة العربية ويريد بذلك انها مركز الحكم وقد دخلت هذه الجملة إلى اللغة الأوردية وبعض اللغات الأخرى من العربية بطبيعة الحال إبان كون الحكم للخلافة ورأس السلطة هو الخليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو خليفة أمير المؤمنين وان كان بعضهم يجعل التسمية من خلافة الله في الأرض أخذاً من الآية الكريمة **(قال إني جاعل في الأرض خليفة)**.

بدا المسجد جميلاً جداً معتنى به غاية العناية لم يراع الذين بنوه جانب التوفير في النفقة عندما بنوه بل راعوا جانب الجمال والذوق.

باحاته الخارجية مفروشةبالفسيفساء(السيراميك) بألوان جميلة لم تغيرها عوارض الجو ولا إهمال المنظفين.

وتتقدم المسجد الرئيسي أقواس عربية الشكل لها عدة أركان متناسقة. ونوافذه وأبوابه من زجاج ثمين.

وقد قابلنا فيه إمامه وهو الشيخ بشير أحمد ديوان. وهو شيخ هندي ولكنه يقيم في هذه الجزر منذ أكثر من عشرين سنة.

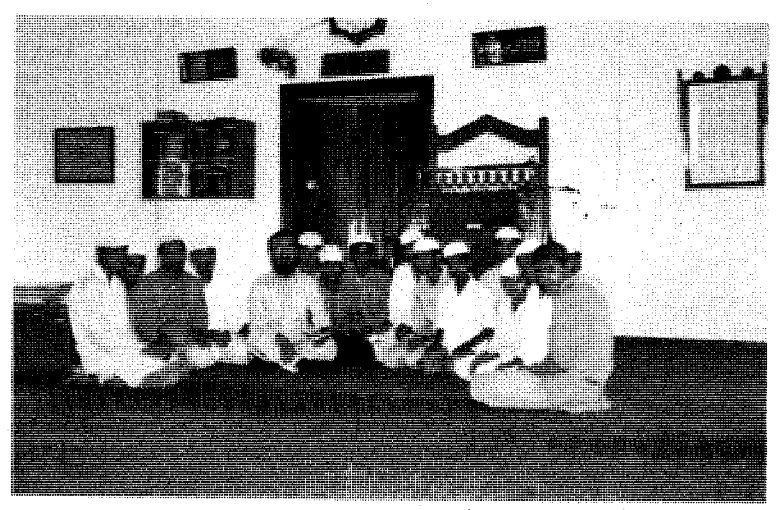
ومن الطريف في الأمر أنه أبى التصوير معنا رغم أنه رحب بنا ولم يمانع في تصوير المحراب ولما كان الوقت ضيقاً لايسمح بايضاح الحكم في هذه المسألة وأن هذا الذي يسمونه تصويراً ليس هو بالتصوير الحقيقي وإنما هو مسك الظل اوتثبيت الشكل الذي ينعكس على صفحة المصورة

كانعكاس الصورة في المرآة. فهو في الحقيقة ليس تصوير صورة جديدة وإنما هو مسك الصورة الحقيقية الموجودة بالفعل.

والنهي عن التصوير ورد في الحديث مقرونا بالتعليل كما في الحديث «**أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون الذين يضاهؤن خلق الله**». وفي الحديث الآخر القدسي «**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة فليخلقوا شعيرة**». وهنا في التصوير الضوئي ليس في الأمر مضاهاة ولاخلق صورة جديدة وإنما هو تثبيت ظل الأصل الحقيقي الذي خلقه الله.

وقد وجدنا في المسجد جماعة من الطلاب قد تحلقوا على الشيخ يسمعون درسه في الدين مما ذكرني بأيام خالية عندما كنت وزملائي نفعل مثل ذلك أثناء تلقي الدروس على مشايخنا في المساجد قبل أن تعرف بلادنا المدارس النظامية.

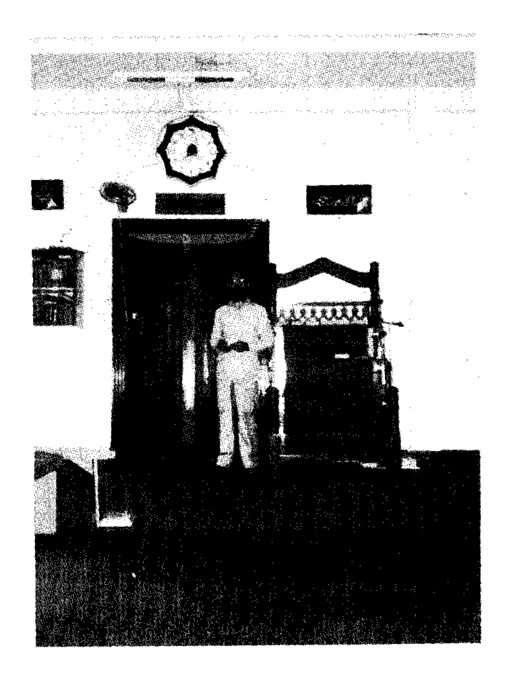
لذلك راقت لي الفكرة عندما اقترح الاخوان أن يلتقطوا صورة لي مع هؤلاء الطلبة فكان ذلك.



مع الطلبة في جامع سوفا

وقال إمام المسجد والإخوة الذين معنا: إن المسجد يمتلىء في يوم الجمعة.

وفيما يتعلق بتاريخ بنائه فقد بنى صغيرا قديماً قبل خمسين سنة وبالتحديد في عام ١٩٢٦م وبناؤه الجديد كان في عام ١٩٦٤م.



المؤلف في محراب جامع سوفا بفيجي

وعندما ودعنا الشيخ الإمام وخرجنا من المسجد تأملته فأعجبني منظر مناراته الدقيقة وقبته الرشيقة وطلاؤه الأبيض ذو الافاريز الخضر. ويقع في حي اسمه (تورك).

في قلب المدينة :

ذهبنا إلى قلب المدينة فاجتزنا نهراً صغيراً في المدينة نفسها والأنهار هنا كثيرة لكثرة الأمطار كما قدمت.

ثم سلكنا شارع فيكتوريا وهو شارع رئيسي في هذه المدينة التي نثرت المنازل في ضواحيها نثراً بين الحشائش والأشجار.

ولمناسبة الحديث عن هذا الشارع المضاف إلى ملكة الانكليز فيكتوريا سألت القوم عن الانكليز أبقي منهم أحد في الجزر بعد الاستقلال؟

فاجابوا : لا، إنهم ذهبوا إلا النادر الذي لاحكم له وذلك لكون البلاد صغيرة ذات اقتصاد ضعيف مجاله ضيق ومن لم يرد منهم الذهاب إلى بلاده في أوربا ذهب إلى البلدين الرئيسيين المجاورين لفيجي وهما استراليا ونيوزلندا إذْ أغلب السكان فيهما هم — في الأصل — من البريطانيين والمجال فيهما أرحب والمستقبل لهم أكثر ضماناً والأهم من ذلك أنهم يشعرون أنهم يعيشون بين قوم من جنسهم لا أن يشعروا بأنهم بين أكثرية من غير جنسهم تتحكم فيهم مع كونهم يشعرون بأنها أدنى مستوى منهم.

عجبت مرة أخرى لهؤلاء الانكليز الذي حكموا من بلاد الله حكماً مباشراً مساحة لم يحكمها أحد غيرهم لامن قبل ولا من بعد حتى قيل فيهم القول المشهور إن مستعمراتهم لا تغيب عنها الشمس ولكنهم أصبحوا في أكثر الأماكن التي كانوا يحكمونها أثراً بعد عين وانمحت حتى آثارهم ماعدا لغتهم بسبب كونها صارت لغة عالمية لمستعمراتهم ولغيرها من البلاد وبسبب كون الولايات المتحدة الأمريكية أقوى دول العالم اقتصادياً تتكلم الانكليزية.

وصار الإنكليز الآن لايملكون إلاّ بلادهم التي لا تكاد تطلع عليها الشمس.

وفي هذا الشارع إلى جهة اليسار عدة مبان حكومية رئيسية ولمناسبة

الحديث عن المباني الحكومية يجدر القول بأن الأخ شيراني رئيس رابطة مسلمي فيجي هو عضو في مجلس الشيوخ أو المجلس النيابي الأعلى كما يسمونه هنا.

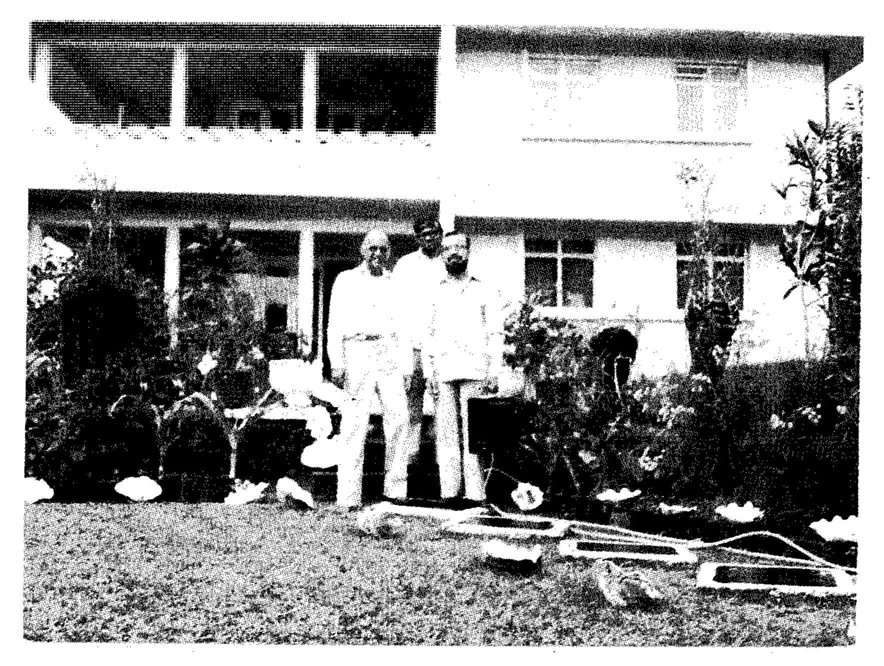
وهو إلى ذلك رجل أعمال أي تاجر كبير له أعمال تجارية ضخمة من ذلك أن له ستا وستين سيارة يؤجرها ويملك عدة حوانيت في سوفا.

فعمله في الميدان الإسلامي هو عمل إسلامي تطوعي وقد مضى عليه في رابطة المسلمين في فيجي حتى الآن ستة عشر عاماً.

وقلب المدينة مزدهر في حوانيته السلع الكمالية والضرورية وأغلب التجارة فيها بأيدي الذين هم من أصل هندي مثلها في ذلك مثل بلدة (نادي) التي سبق ذكرها.

ومررنا بإحدى السفارات في الطريق إلى منزل الأخ شيراني فقال أحد القوم: لماذا لا تفتح المملكة العربية السعودية سفارة في فيجي؟ فحكومة فيجي حريصة على ذلك وهي تحب أن تتعامل مع الدول المعادية للشيوعية. وقال آخر إن المملكة إذا فتحت سفارة فإنها ستجد جنودا من المسلمين يتعاونون معها لم تكن تعرفهم ولن تكون كبعض السفارات التي تبحث عن المتعاونين معها بالمال والاغراءات.

وقال : إن حكومة فيجي رفضت أن يفتح الإتحاد السوفيتي سفارة له في هذه الجزر. ووصلنا منزل الأخ (شير محمد خان الشيراني) رئيس رابطة المسلمين في فيجي ومرافقنا في سيارته ويقع في حي اسمه (هيكلس) والبيت هو ملك خاص للأخ شيراني لأنه ثرى كما قلت. وهو جميل مرتب ينطق داخله بالذوق الرفيع ويحفل بالتحف واللوحات التجميلية ومنها لوحات إسلامية وفيه حديقة صغيرة فيها زهور بهيجة متعددة الألوان والأنواع.



في حديقة بيت رئيس رابطة مسلمي فيجي في سوفا السيناتور شير محمد شيراني

وبعد شرب الشاي وتناول نوع من السمبوسك الحار لأنه صنع لتوه في المنزل خلال جلسة لطيفة في بيت الرئيس عدنا معه إلى المكتب وودعناه لارتباطه في موعد سابق.

وتفقدنا مقر رابطة مسلمي فيجي مرة أخرى والمسجد الملحق به والمدرسة الإسلامية الابتدائية التابعة له.

وفارقناه مسرعين وطلاب المدرسة الابتدائية الإسلامية يحيون ويلوحون بأيديهم بالتحية وكان السائق هذه المرة الأخ (فضل خان) الأمين العام للرابطة وكانت المغادرة

إلى المطار:

وليس بالمطار الذي هبطنا فيه فذلك بعيد كما قدمت ولكن إلى مطار آخر جديد بهذه التسمية واسمه مطار (ناسوري) لكونه يقع في بلدة

تسمى بهذا الاسم.

وهنا سألت إخواني عن السبب في كون المطار الدولي يقع في (نادي) وليس في العاصمة (سوفا)؟ فأجابوا بأن ذلك يرجع إلى أن الذين بنوه هم الأمريكيون والنيوزلنديون إبان الحرب العالمية الثانية واشتهر بذلك واستمرت الحكومة تستعمله وليس بها قدرة على بناء مطار دولي جديد عوضا عنه في العاصمة.

ويبعد مطار (ناسوري) هذا عن العاصمة واحداً وعشرين كيلو متراً. ولن يكون ذهابنا إليه مباشراً بل ستكون هناك وقفة في مكان أو مكانين لأهميتها الإسلامية.

ومررنا ببناء حديث جيد علي يسار الطريق فأشار إليه الأخ فضل باهتمام لأنه مقر الإدارة الحكومية التي يعمل فيها وهي مصلحة شئوون الإسكان وقال الإخوان المرافقون إنه يشغل وظيفة نائب المدير فسررت بذلك ودعوت له بالمزيد من التوفيق.

ثم مرَّ بنا على منزله الخاص ولم يكن الوقت يسمح بتناول الشاي فيه وإنما رأيته من الخارج جيداً مؤلفاً من طابقين تحيط به حديقة فيها أشجار من أشجار الفاكهة المثمرة مثل الباباي والموز وقال إنه يزرع في حديقته أيضاً قليلاً من الخيار والطماطم.

وذكر أنه اشتراه بأربعين ألف دولار فيجي، ويساوي ذلك مائتين وستين ألف ريال سعودي فما أرخصه بالنسبة إلى أقيام البيوت والدارات (الفلل) في بلادنا! إذْ فيه اربع غرف للنوم ومنافع أخرى.

وبمناسبة الحديث عن الحديقة قال: إنه ليست هناك مشكلة في الري فالماء متوفر من الأمطار التي تكون كثرتها في بعض الأحيان أو أكثر الأحيان هي المشكلة في هذه المنطقة لاقلتها.

ووصلنا إلى قرية تسمى (ناسينو) تبعد مسافة خمسة عشر كيلا إلى الشمال من العاصمة ثم اخترقنا نهراً كبيراً هو أكبر الأنهار في فيجي اسمه (ريوا) عليه جسر قديم من الفولاذ ولكنه في حالة جيدة.

والنهر واسع غزير المياه إلا أن ضفافه التي رأيتها ليس عليها إلا أعشاب من الثيل أي ليست عليها زراعة نافعة.

وتقع مدينة (ناسورى) التي نقصدها وهي التي فيها المطار على هذا النهر. فمررنا مع سوقها الرئيسي ورأينا على البعد جامع ناسوري بقبابه البيض المتعددة وقد بنيت على طراز مغولي وطليت افاريز البناء فيه بالطلاء الأخضر وبعد أن تفقدنا المسجد والتقطنا صوراً تذكارية عنده تركناه إلى ريف أخضر ذي اشجار من الموز والأشجار الإستوائية الكبيرة المسماة (بردفروت) أو فاكهة الخبز حسب الترجمة الحرفية.



أمام الجامع في ناسورى مع أحد الدعاة من إندونيسيا

وقد لاحظت عدم وجود السكر الذي تشتهر به هذه الجزر فيما رايته من ريفها اليوم فسألتهم من ذلك فاجابوا أن السبب وفي ذلك هو كثرة المطر وغلبة الرطوبة والندى عليه فقصب السكر يجود في الأماكن التي تكون الرطوبة والأمطار فيها معتدلة وإنما يزرعون هنا الأرز الذي هو غذاء رئيسي عندهم وبخاصة للذين هم من أصل هندي ومع ذلك لايكفيهم ماينتجون منه وإنما يستوردون زيادة عليه من الخارج.

كما يأكل السكان الفيجيون الاصليون أيضاً (الكاسافا) وهو غذاء شائع في إفريقية ويكون على هيئة جذوع ضخمة تنبت تحت الأرض مثلما يكون البطاطس فتستخرج ويعمل منها الدقيق والعصيدة وهو من أكلهم القديم.

وقد يكون هذا أيضاً من الأدلة على أن السكان الاصليين كانوا قد قدموا من إفريقية في الزمن القديم. كما يأكلون (اليام) وهو أيضاً مثل الكاسافا ينبت تحت الأرض إلا أنه افضل منه. لأن الكاسافا هو نشويات خالصة ليس فيه من البروتين شيء.

ويشترك أهالي فيجي كلهم من ذوي الأصل الهندي ومن ذوي الأصل الفيجي الأصيل في كثرة تناول اللحوم في غذائهم.

وصلنا مطار (ناسوري) وكنت مشفقا أن تفوتني الطائرة غير أنهم انهوا كل شيء بسرعة ووزنوني كما فعلوا في طائرة القدوم وعرفت من ذلك أنها طائرة صغيرة لأنها هي التي يؤثر فيها فارق الوزن القليل.

وقد أعلنوا عن تأخر طائرتنا مدة نصف ساعة فكانت هذه فرصة لتأمل هذا المطار ولوحات فيه من ألطفها لوحة تمثل الأغذية التي كان الفيجيون القدماء يتناولونها ومن أهمها اليام الذي تقدم ذكره والفواكه التي تكثر في المنطقة وهي الباباي والموز وجوز الهند.

وقامت الطائرة وهي صغيرة بالفعل إلا أنها أكبر من الأولى اذ تحمل ١٨ راكباً بخلاف الأولى التي لايزيد عدد المقاعد فيها عن ١٤ وفي هذه طياران أحدهما مساعد بخلاف الأولى التي ليس فيها إلا طيار واحد ومع ذلك تطير فوق جبال وعرة ولو حصل له مكروه مفاجيء لذهب الركاب كلهم في وقت قصير.

إضافة إلى أن هذه فيها تكييف للهواء، والأولى ليس فيها إلا مراوح صغيرة. وكان قيامها في الثانية والنصف من بعد الظهر. وعندما نهضت من الأرض بان نهر (ناسوري) كبيراً واسعاً ثم صارت تطير فوق سحاب مطبق لم نر منه أي معلم من معالم الأرض. واستمر هذا السحاب وربما كانت معه رياح واعاصير اذْ صارت الطائرة تضطرب وتقفز وتنخفض مما أشفقت عليها منه وكان عهدي بمثل ذلك بعيداً منذ أن صرنا نستعمل الطائرات الحديثة النفاثة في المواصلات في بلادنا.

وعندما قاربنا الوصول إلى المطار الدولي في نادي وقد تعبنا من هذه الطائرة تدنت إلى السحاب فكانت تقطع أوصاله بمراوحها ولكنه كان يجازيها على ذلك بأن يزيدها اضطراباً على اضطراب ونزلت تحت السحاب الاسود وكان لايزال تحتها قطع من الغيم الأبيض وهو الذي تسميه العامة في بلادنا بالرباب ومنه اشتقت العرب القدماء اسم رباب للمرأة.

وقد تبين لي أن الرباب لايمطر وإنما يكون في الغالب علامة على نزول المطر الغزير من السحاب الذي فوقه.

وعجبت من كوني لم أعرف الفرق بين السحاب والرباب في المطر إلا في هذه الجزيرة البعيدة عن اللغة العربية وأهلها.

وقد وصلنا المطار الدولي في نادي والمطر ينزل وكان إخواني قد

هتفوا باخوانهم في نادى وطلبوا منهم أن يستقبلوني في المطار وان ينظموا برنامجاً لبقية هذا اليوم وليلته فأخبرتهم أني لا أرغب في ذلك وقلت لهم ينبغي أن تكونوا قد اخبرتموني بذلك قبل أن تهتفوا بهم.

لذلك عندما وصلت في المطار وجدت في استقبالي الأخ حاجي جلاب خان رئيس فرع رابطة مسلمي فيجي في تبرون والأخ محمد أيوب رئيس فرع الرابطة في نادي وكنت قد رأيته أمس في المسجد وسلمت عليه ومعهما الأخ شمشير علي وقد أعدوا سيارة خاصة طلبوا مني أن اركب فيها. فسألتهم إلى اين يكون ذلك؟ فقالوا إلى موضع يبعد خمسين ميلاً من نادي ثم إلى برنامج في الليل. وكانت الساعة قد تجاوزت الثالثة وأنا تعب فاعتذرت منهم بذلك وبأنني لم أتناول طعاماً وعليَّ أن أعد التقارير التي سوف اكتبها عن فيجي لانني مسافر إلى مدينة (أوكلاند) في نيوزيلندا غدا.

وقلت لهم : إنني اعرف أن الذهاب لمسافة خمسين ميلاً ثم العودة منه يقتضي وقتاً طويلاً وجهداً كبيراً لأن الطريق إلى تلك الناحية غير مسفلتة. وقد اقتنعا بذلك بصعوبة.

وذهبت مع الأخ شمشير علي للحجز إلى أوكلاند وكنت قد حجزت لها يوم السبت القادم بعد غد إلا أنني استعجلت الذهاب في الغد الجمعة وذلك لكوني اكملت ما أريده من هذه الجزر جزر فيجي.

فقال الأخ شمشير علي: إن مدير شركة طيران الباسفيك هو أخ لنا مسلم واسمه محمد كذا ولا أدري أيريد به مدير مكتبها في المطار أم في غير ذلك إلا أنني عندما وصلت إلى مكتبها في المطار استقبلنا مديرها فيه وحياني بتحية الإسلام فهو مسلم وحجز لي على الطائرة المسافرة في الساعة الثامنة من صباح غد الجمعة.

وقد سافرت بالفعل في يوم الجمعة إلى أوكلاند في نيوزيلندا وذكرت قصة تلك الرحلة ورحلة ثانية إلى نيوزيلندا مع رحلة إلى جزيرة تسمانيا في كتاب (إطلالة على نهاية العالم الجنوبي) الذي نشره النادي الأدبي في مكة المكرمة.



إلى فيجي.. مرة أخرى

يوم الخميس ١٨ جمادى الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣/٣/٣م.

من أوكلاند إلى نادي :

كنا في الساعة الواحدة ظهراً في مطار اوكلاند في نيوزيلندا نستعد للسفر إلى فيجي بعد أن تعطلنا في اوكلاند مدة يومين كاملين بسبب الإعصار الشديد الذي ضرب جزر فيجي وأعمل فيها التخريب واغلق مطارها الدولي ويرافقني في هذه الرحلة الشيخ محمد بن ابراهيم بن قعود بخلاف الرحلة الأولى فكنت فيها وحدي.

وكنا قد وصلنا مدينة اوكلاند في الثامنة من صباح الثلاثاء الماضي على أمل أن نغادرها إلى فيجي في التاسعة غير أن أخبار الإعصار الذي كان قد بدأ أوقفت الطيران إليها وصرفت حتى الطائرات التي كانت في الجو عن النزول فيها إلى بلدان أخرى.

فبقينا في يومين ضائعين في (اوكلاند) آسفين لضياعهما لأن ذلك سيكون على حساب المدة التي نستطيع أن نقضيها في جزر جنوب المحيط الهادئ إضافة إلى أن ذلك قد تسبب في إلغاء جميع الحجز الذي كان على تذاكرنا للرحلات كلها في تلك الجزر حتى العودة إلى مدينة (برزبن) في شرق استراليا.

وقفنا أمام موظف لطيف في مكتب الشركة النيوزيلندية فكان من الأشياء اللطيفة في هذا المطار أنهم كتبوا على السلم الكهربائي المتحرك فيه عبارة تقول: إن إدارة المطار غير مسئولة عما يحدث لثياب الذي يستعمل هذا السلم أو ماقد يصيب جسمه من جروح نتيجة لاستعمال هذا السلم.

وفي المطار كان للجلود النيوزيلندية الشهيرة ركن كبير لأن

المسافرين قد اعتادوا على شرائها من نيوزيلندا وهي جلود نوع من الضأن ذات شعر أبيض ناعم تدبغ دباغة خاصة لا تضر بالشعر فتكون جميلة دفيئة مريحة للجالس عليها.

وقد صنفوها هنا إلى أربع درجات وضعوا علامة على كل درجة عدداً من الأنجم فالجلد الذي عليه أربع نجوم هو أغلاها وسعره (٤٧) دولاراً نيوزيلندياً وأرخصها ذو النجمتين وثمنه (٢٧) دولاراً. وثمن الجلد هذا لايزيد على ثمن الخروف المعتاد أي الذي ليس له جلد فاخر بكثير.

قامت الطائرة النيوزيلندية في الثانية وعشر دقائق ظهراً قاصدة (نادي) وهي من طراز بوينج ٧٣٧ ولم تمتلىء مقاعدها رغم التوقف عن السفر إلى فيجي في اليومين الماضيين وكل مقاعدها من الدرجة السياحية.

فوق جزيرة فيجي :

جزيرة فيجي (فيتي لافو) وفيتي باللغة الوطنية للجزر هي التي أصبحت على لسان العالم الآن (فيجي)

وبعد ثلاث ساعات كاملة من الطيران كانت الطائرة تحوم فوق نادي وآثار الفيضان الذي سببه الإعصار واضحة ظاهرة في بعض شطآن البحر والأنهار وفي بعض الجزر الصغيرة في البحر التي غطتها المياه وانحسرت عن اطرافها.

والشيء الذي عجبت له سرعة الغيوم في الجو سرعة مخيفة والطائرة تحوم فوق الجزيرة ولم أر في حياتي سرعة لقطع السحب في الجو كالتي أراها الآن وليس ذلك وهما مرجعه إلى أننا نقابل الغيوم فتتضاعف سرعتها بسبب سرعة الطائرة لأن الطائرة تحوم في اتجاهات متعددة

وليست مقتصرة على اتجاه واحد. فجعلت أسأل نفسي عما إذا كان ذلك من بقايا أثر الاعصار؟ وقد لاحظت أن قائد الطائرة كان يتلافى الاصطدام بهذه السحب السوداء الكثيفة غير المطبقة في السماء. فيبعد عنها ثم يعود إلى التحويم أو التهويم في سماء هذه الجزيرة التي شهدت ذلك الاعصار الأليم.

عندما قربت الطائرة من أرض الجزيرة رأينا آثار الفيضان وبقايا المياه الكثيرة في الحقول الخضر، وفي أماكن متعددة من الأرض.

وقد اضطر القائد إلى أن يدخل في سحاب منخفض ممطر اهتزت له الطائرة بعنف مما جعلنا نوجس خيفة من ذلك بتأثير ماسمعناه عن الإعصار من الأخبار وقد لبثنا فترة لانرى من الطائرة شيئاً.

فأبعد الطيار عن سماء الجزيرة وجعل يطير فترة فوق البحر وهو يتلافى الدخول في السحاب المنخفض الذي يكاد يتصل بالبحر المظلم في رأي العين.

وغابت عنا الجزيرة التي كنا نطير فوقها وزاد تأثر الطائرة من سرعة احتكاكها بهذه السحب المسرعة سرعة مزعجة.

ثم قربنا من البر فوق نهر أحمر المياه التي هي مياه الفيضان مفعما بها فهالنا مارأيناه من المساكن المحطمة والمتناثرة كاللعب والحقول التي تجاورها غارقة في مياه الفيضان.

في مطار نادي :

أسرعت الطائرة قاصدة المطار هابطة هبوطاً شديداً عنيفاً متأرجحا وبدت سقوف المستودعات وأماكن إصلاح الطائرات في المطار وقد تطاير أكثرها عنها ولم يكد يسلم من الإعصار أي منها.

كما رأينـا البيوت التي في الجبال المطلة على المطار قد دمر أكثرها. ثم هبطت الطائرة على أرض خشنة أو هكذا شعرنا ولا أدري أذلك من أرض المطـار أم مـن الطـائـرة وخـرج الـركـاب من الطائرة إلى الدهليز المتـحـرك الموصل إلى مبنى المطار ولم نلاحظ في الجو شيئاً غير معتاد إلا أن أكثر أرض المطار غارقة مع فرشها في المياه المتخلفة عن الإعصار رغم ارتفاعها القليل وذلك بفعل الرياح الشديدة.

وقد توقف ضابط الجوازات عند جوازي مدعياً بأن الأقطار التي ذكر فيهـا أنـه صـالـح للـسـفـر إليهـا وهـي القارات الست ونيوزيلندا لا تشمل (فـيـجـي) لأنهـا ليست في قارة من هذه القارات إلا أن رئيسه جاء إليه وأمـره بالختم على الجواز لأنني أحمل تأشيرة دخول سياسية إلى فيجي من الـسـفـارة الـبـر يـطـانية في جدة. وكانت المشكلة في المطار أن سيارات الأجـرة قـلـيـلـة بـل قـال أحـد الأشـخـاص إنه من الصعب الحصول على (تـاكـسـي) بـسـبـب قـلـة الـوقـود لأن الـكـهـرباء منقطعة و يصعب ضخ (البنزين) من المحطات بدونها.

و بـعـد انتظار ممل ذهب أكثره في الوقوف على أرض رطبة وقد لوث الوحل أحذيتنا في الوقوف عند صراف البنك داخل المطار جاءت سيارة أجـرة لأحـد الأشخاص وعرض علينا السائق الركوب معه في (تاكسي) مـشترك فقبلنا ذلك وشكرنا ثم اعطيناه ما أرضاه عندما وصلنا إلى فندق (قيت وي) الـقـريـب من المطار وهو الفندق التي نزلته في المرة الأولى بعض الوقت.

الحديقة التي تحطمت :

وجـدت الـفـنـدق قـد عـمـه الخـراب وقـد تحـطـمـت أشجاره النضره و بـعـضـهـا فـيـه ثـمـره كما تـسـاقـطـت أشجار الزينة فيه وذوت ازهارها

وبعضها قد انحنى تحت جذوع أشجار كبيرة ساقطة فوقه وكأنما هي تحتضر.

وحتى شجرة النارجيل الكبيرة التي تشبه النخلة العربية وهي التي وجدت القمرية في المرة السالفة تنوح فوقها قد حطمها الإعصار فصار رأسها على الأرض وبقي جزء من جذعها واقفا فانعكس الأمر فيها كما ينعكس في كثير من الأمور فيصير الذنب رأسا والرأس ذنبا، ولا أدري ما فعل الله بتلك القمرية (الثكلى) وحق لها إن سلمت من الاعصار — أن تنوح على شجرتها كما كانت تنوح على شجنها.

وبعض أشجار الفاكهة مثل (ابو كافو) و(البابای) الذي لم ينضج على أشجارها التي صرعتها الرياح، ولم يفعلوا في الحديقة أي شيء لأن الخراب والدمار أكثر من ذلك حتي جذوع الأشجار التي تعوق الطريق لم يحركوها.

وهناك أكواخ للزينة في حديقة الفندق وأصحابها قد اقاموها على مثال الأكواخ البدائية القديمة التي كانت موجودة في جزرهم قبل وصول الأوروبيين إليها قد تحطمت أيضاً فانقلب جمالها إلى قبح واستحالت أشكالها المنسقة إلى تشويه غير أنه لن يؤثر في الفندق لأن التشويه والخراب عام في كل مكان.

ومنها أكواخ أقاموها بجانب بركة السباحة حتى يستظل السابحون بظلها عن الشمس اذا تعبوا من السباحة وهي كلها من الأخشاب والقش لا تبعد كثيراً عن الأكواخ الإفريقية التي كانت تصنع للأغنياء والزعماء الإفريقيين.

أما البركة فقد زايلها صفاؤها حين تكدر ماؤها مما نقلت الرياح إليها من الشوائب ومن المياه التي مرت على الأقذار وسقطت فيها بعض

الأخشاب وأغصان الأشجار ومع ذلك رأيت بعض النزلاء وخدم الفندق يغترفون الماء منها بالأواني و يضعونه في غرف الفندق لأن ماءها هو الماء الوحيد المتوفر لهم لأن انابيب المياه قد جرفها الفيضان ولأن انقطاع الكهرباء قد جعل المياه الموجودة في خزان الفندق الأرضي تستعصي عليهم.

ولم نجد في الفندق الذي كان مرتباً جميلاً أي شيء من أسباب الراحة وأي شيء تسألهم عنه من ذلك الآن يقولون إن السبب الإعصار. والأدهى من ذلك أنه لايوجد ماء بارد أصلا في الفندق بسبب انقطاع الكهرباء وحتى الماء المعتاد مع أنه ساخن لايستطيع المرء شربه لأنه غير نظيف.

هذا إلى كون الرطوبة عالية مع الحر الشديد وحتى خطوط الهاتف قد انقطعت ولم يبق إلا واحد يعمل في إدارة الفندق.

وعلي أية حال فكل شيء قد تغير في الفندق إلا ابتسامات العاملات الفيجيات فيه لم تتغير رغم الصعاب وهي ابتسامات يمكن القول بأنها هي الشيء الوحيد الجميل فيهن اذا استثنينا براءة التفكير عندهن وعدم التعقيد في النظر إلى الأمور.

وقد لفت نظري فيهن هذه المرة مارأيته في المرة الماضية من وجود شوارب خفيفة في وجوه المسنات أو المتوسطات في العمر منهن.

ومشكلة الليل؟

والمشكلة الكبيرة كانت عند حلول الظلام فالكهرباء غير موجودة وهذا في حد ذاته مزعج وإن كان يمكن تلافي ذلك بإيقاد شمعة في الغرفة وتلمس الحيطان خارجها لأننا جربنا السير بالشمعة في خارج الغرفة فإذا به متعب لأن اي حركة في الهواء تجعلها ترقص واحياناً

تجعلها تميل على يدك لتقبلها بلسانها الحار.

ولكن هناك مشكلات أخرى منها أنه لايمكن الصبر على غلق النافذة في الغرفة ونحن في الطابق الأرضي وقد طلبت مني الخادمة إغلاق الغرفة في الليل لأنه ليس في النافذة شباك من الحديد يقي من قد يتسورون الحائط وقد يدخلون منها وبخاصة أن الفندق مظلم وهي تفتح على حديقة كبيرة يسهل تسورها والوصول إليها من الخارج.

وهناك أيضاً مشكلة البعوض ولسعه فالغرف كلها مصممة على أساس تكييف الهواء على اعتبار أنها تغلق في الليل.

وقد تظاهر الحر والرطوبة والبعوض على إطالة الليل. والأهم من ذلك كله عندي هو أنني حرمت الكتابة في الليل فنور الشمعة ضئيل وقربها حار في هذا الجو الحار.

فقصدنا المطعم لنسأله عما إذا كان يوجد عنده شراب بارد فقال إنه لايوجد وجاء بالعشاء نزراً على ضوء الشموع وجاء معه الوسواس بأن كل ما يقدم العشاء فيه من صحون وأوان هو غير نظيف لأن الماء النظيف غير موجود فسألتهم عن الليمون لاقطع به الوسواس أعصره على الطعام فقالوا إنه غير موجود لديهم.

وكان الشاي هو الشراب الموجود عندهم ولكن الأكثار من شربه في المساء يطرد النوم في هذا الليل الذي يحتاج المرء فيه إلى مايهدئه، وبخاصة أن لدينا برنامجاً من العمل الحافل في صباح الغد لأن مدة بقائنا في فيجي محدودة.

يوم الجمعة ١٩ جمادى الأولى ١٤٠٣هـ/ ٤ مارس ١٩٨٣م.

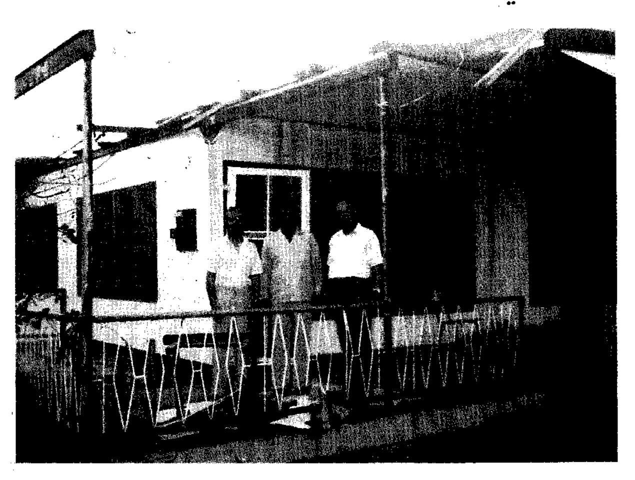
آثار الإعصار أيضاً :

حضر إلينا هذا الصباح الأخ (محمد ايوب) وهو أحد العاملين في فرع رابطة مسلمي فيجي في نادي وهو رجل نشيط وسريع الحركات هندي أصله من البنجاب.

واخذنا بسيارته ليرينا مافعله الإعصار بالمسجد الرئيسي وغيره من ممتلكات المسلمين.

كان أول مارأيناه عند مغادرة الفندق اعمدة الهاتف ساقطة على الأرض، وأسلاكها مقطعة بل مبعثرة وبعض البيوت الرثة مثل بيوت الفقراء المقامة من الأخشاب والصفيح فضلاً عن القش قد حطمها الاعصار تحطيماً.

وقد وقفنا عند بيت مضيفنا وهو ميسور الحال ولذلك كان بناء بيته جيداً إلا أنه لم يسلم من الخراب لذلك رأينا المظلات المحيطة به والسقوف الإضافية قد تحطمت أيضاً وأشجار الزينة والأشجار النافعة في حديقته قد تحطمت كذلك ومنها بعض أشجار الباباي اللينة التي يظن أنها لا تتحطم لأنها لينة تنحني للعواصف.



في بيت الأخ محمد أيوب وآثار الاعصار فيه وهو يقف بين المؤلف على يمينه والشيخ محمد بن قعود على يساره

قال الأخ محمد أيوب لقد مضت عليَّ منذ عرفت الدنيا في هذه الجزيرة اثنتان واربعون سنة ولم أر مثل هذه الإعصار شدة وعنفا لقد كانت الجزيرة تصاب بأعاصير في أوقات متفاوتة ولكنها لم تكن في قوة هذا ولا في شدة تدميره.

وقد لاحظنا أن المنازل القوية التي تبنى من الاسمنت قد تطايرت سقوفها وتأثرت لأن اغلبها من الصفيح وأما الجدران الاسمنتية فلم تتأثر.

والأعجب من ذلك أن الأشجار الضخمة قد تكسرت فروع كثيرة منها مع أنها ضخمة الجذوع قوية الفروع.



تحت الأشجار الضخمة التى كسرها الاعصار

ومن المآسي التي حدثت أن بعض الأشجار الكبيرة رأيناها ساقطة علي منازل قريبة منها فحطمتها.

ومن المناظر الغريبة أيضاً أن بعض أشجار النارجيل غير الطويلة لم تسقط على الأرض وانما تحطمت عسبها ــ جمع عسيب ــ وتكسرت فروعها مع كونها خضراً لينة وتفرقت أعذاقها التي تحمل طلعها.

جامع نادى :

وهو المسجد الذي زرته وصليت فيه الظهر في المرة السابقة ولكن منظره الآن قد تغير فقد خرب الإعصار سقوف أروقته، وزج بكميات كبيرة من المياه داخل المسجد نفسه فأفسدت فرشه وأثاثه، ولم يكن أحد ــ بطبيعة الحال ــ يستطيع أن يتحرك فضلاً عن أن يستطيع أن يمنع ذلك عن المسجد في وقت الإعصار لأن هم الجميع كان النجاة بأنفسهم، والمحافظة على حياة أسرهم وضعفائهم.

وقد اخرجوا فرشه الآن لتجف في الشمس ومن الطريف في الأمر اننا بينما كنا نتفقد مرافق المسجد فتحوا لنا غرفة لم أرها من قبل فرأيت فيها قدوراً كبيرة وأواني كثيرة وقالوا: إنهم أعدوها للضيوف الذين يحتاجون إلى الإقامة في المسجد مثل جماعة التبليغ الذي ينزلون في المساجد و يطبخون طعامهم بأيديهم وغرفة أخرى للنوم لهؤلاء وأمثالهم.



الشيخ ابن قعود والأخ محمد أيوب في الطابق الثاني من جامع نادى الذى خرب الإعصار سقفه

وهذا المسجد كما تدل عليه لافتته اسمه (جامع نادى) و بالانكليزية (نادى جامع مسك) وفيه أيضاً مقر فرع رابطة مسلمي فيجي في نادي.

وقد لاحظنا أن الضرر لم يقتصر على المسجد نفسه. وإنما لحق بالطريق المؤدية إليه التي كانت ردئية قبل الإعصار بسبب ضعف الإمكانات فزادها الإعصار سوأً بما أحدثه من سيول جرفت الأرض، ومستنقعات سببت الأوحال.

و بينما كنا نتفقد المسجد حضرت سيارة حكومية قوية (جيب) معها طعام توزع منه على المتضررين الذين لايجدون نقوداً للطعام بسبب توقف العمل ولايجدون وسيلة ينتقلون عليها للبحث عن الطعام.

المدرسة الثانوية الجديدة :

رأيتهم قد بنوا بعدي بناء جديداً لمدرسة ثانوية جديدة وهو بالأسمنت المسلح القوي الذي لم يتضرر من الإعصار مما حملهم على أن يقولوا لنا بفخر: إن موظفي الحكومة من المسيحيين عندما رأو المدرسة وهم يحاولون الاطلاع على أضرار الاعصار تعجبوا وقالوا: لماذا لم تتضرر مدرستكم ايها المسلمون؟ سمعتهم يقولون هذا وهم جماعة كثيرة التفوا حولنا.

وأخبرونا أن أساس بناء هذه المدرسة كان تبرعاً تلقوه من المملكة العربية السعودية قدره عشرون الف دولار أضافوا إليه ما استطاعوا جمعه، واستدانوا الباقي من (البنك) على أمل أن تصلهم تبرعات أخرى من الخارج يسددون منها هذا القرض.

وقد شرعوا في بناء القسم التقنى (التكنولوجي) في المدرسة الجديدة ووقف البناء عند السقف انتظاراً للتبرعات.

وقد اخبرونا أن في المدرسة الآن مائتين وثمانين تلميذاً مابين طالب



رواق المدرسة الإسلامية الجديدة القريبة من جامع نادي

وطالبة وأنهم يسعون إلى توسعة المدرسة بحيث تستوعب باقي أولاد المسلمين الساكنين في المنطقة وعددهم حوالي اربعمائة فلا يضطرون للالتحاق بمدارس الكفار.

إلى بلدة نادى :

والقصد من هذه الزيارة إطلاع زميلي الشيخ محمد بن قعود عليها وإلا فإنني قد رأيتها من قبل فسرنا مع شوارعها التي أصبحت حافلة بالنفايات مما جرفته السيول ومما أخرجه الناس من بيوتهم لم تستطع البلدية أن تعمل على إبعاده بسبب الإعصار.

وقد زاد من كمية النفايات واختلط بها ماكسرته الرياح العاتية من أغصان الأشجار وأوراق النبات.

وأراد الأخ محمد أيوب أن يشتري وقوداً للسيارة من إحدى المحطات

فاعتذروا بعدم الكهرباء ولم يقبلوا أن يرفعوه بأيديهم ولكنه ذهب إلى محطة أخرى يملكها أحد المسلمين فأمر عاملاً عنده أن يرفع الوقود الذي يكفيه بعض المسافة بيده.

وقابلنا شخصاً ثرياً من المسلمين كان قد اعتاد على أن يستضيف المسلمين ويكرمهم في بيته ــ كما اخبرونا ــ فسلم علينا واعتذر قائلاً: إنني أتشرف بدعوتكم إلى بيتي ولكنه الآن قد عمه الخراب فسجاده كله رطب ورائحته عفنة.

هذا وقد مررنا بالنهر الصغير الذي رأيته في المرة السابقة صافي المياه يسبح فيه الاطفال وقد علاه الكدر وتكدست على ضفافه اغصان الأشجار الصغيرة المحطمة التي حملها المطر منها أشجار الموز جائية لم ترفع.

وعدنا إلى بيت الأخ (محمد أيوب) في ضواحي البلدة مابين قلب المدينة والمطار الدولي وقال وهو يرينا مافعله الإعصار إن هذه الأضرار يحتاج إصلاحها إلى عشرين الف دولار.

وقد أجلسنا في غرفة الاستقبال على مائدة للطعام متحركة بحيث يستطيع من يريد الاغتراف من أي نوع من أنواع الطعام أوالأخذ منه أن يدير المائدة فيكون ذلك النوع الذي يريده أمامه من دون أن يضطر إلى تقريبه بيده.

وهذا مظهر واحد من مظاهر استعداد الأخ محمد ايوب للاستضافة. وهناك مظهر ثان وهو أنه جعل نافذة مابين الغرفة هذه التي فيها مائدة الطعام والمطبخ كما يكون في المطاعم حتى يسهل نقل الطعام إلى المائدة فلا يمر بالأبواب.

وفي غرفة الطعام نفسها حوض لغسيل الأيدي بعد الطعام لأن من

عادة أهل الهند التي لايتركها حتى المثقفون منهم أن يتناولوا الطعام بأيديهم وليس ذلك فحسب وإنما يعمد أحدهم إلى خلط الطعام الذي يضعه في طبقه الخاص وهرسه بأصابعه قبل أن يتناوله بيده.

وعادة جعل حوض الغسيل في غرفة الطعام نفسها مما لانستسيغه نحن، لأن من ينتهي من الأكل يغسل يديه وفمه أمام الناس وقد يكون فيهم من لم ينته من الأكل فيتقزز من ذلك.

وكان ماء الشرب ساخناً لأن الأمر هكذا في كل البلدة بسبب الإعصار. وبيت الأخ محمد أيوب واضح من داخله أنه بيت لأحد المسلمين ذوي الحرص على الظهور بالمظهر الإسلامي المتميز. ومن ذلك أنني احصيت فيه حوالي عشرين لوحة عربية تحمل عبارات وجملاً إسلامية مثل الشهادتين وآيات قرآنية كريمة إلى جانب خارطة للعالم الإسلامي ولافتة مكتوب عليها هذين البيتين من قصيدة مشهورة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وهما:

بلغ العلى بكماله   كشف الدجي بجماله

حسنت جميع خصاله   صلوا عليه وآله

وقال الأخ محمد أيوب وهو لايزال يبدي ويعيد القول فيما فعله الاعصار ببيته: ربما كنت قد فعلت ذنباً عاقبني الله عليه بهذا الذي حدث لبيتي. فقلنا له: إن مالحق بيتك أهون ممالحق ببيوت أخرى كثيرة.

توقيت نيوزيلندا وتوقيت فيجي :

كنا ننظر في ساعاتنا استعداداً لموعد حددوه لصلاة الجمعة اليوم فلفت نظري أن توقيت فيجي متقدم على توقيت نيوزيلندا ساعة واحدة

بمعنى أن الشمس تغرب عن فيجي قبل نيوزيلندا مع انها تقع فيباديء الأمر جهة الشمال الشرقي من نيوزيلندا.

مسجد المطار :



صورة التقطها المؤلف لمسجد المطار في فيجي

ذهبنا لأداء صلاة الجمعة في مسجد المطار وهذا مظهر آخر من مظاهر احترام المسلمين وقوة نفوذهم في هذه البلاد رغم قلتهم النسبية بين سكانها.

فمسجد المطار ليس بقربه بيوت سكنية وإنما بنوه من أجل المسلمين الذي يعملون في المطار ولمن تدركهم صلاة الجمعة وهم في المنطقة.

رأينا هذا المسجد من بعيد بقبابه الثلاث ومنارتيه الدقيقتين لأنه مطلي بطلاء ابيض ناصع وقبيل الوصول إليه لاحت لنا كتابة بالحروف العربية الواضحة وبمداد أسود قاتم وهي (**بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله**

إلا الله محمد رسول الله، نصر من الله وفتح قريب).

وعلى الجانب الآخر من المسجد كتب اسمه بالعربية (المسجد المطار) هكذا بادخال «أل» التعريفة على كلمة المسجد وهي لاتجتمع مع الاضافة ولكن مجرد وجود هذه الكتابة العربية على هذا البيت الكريم في هذه الجزيرة النائية مكسب كبير.

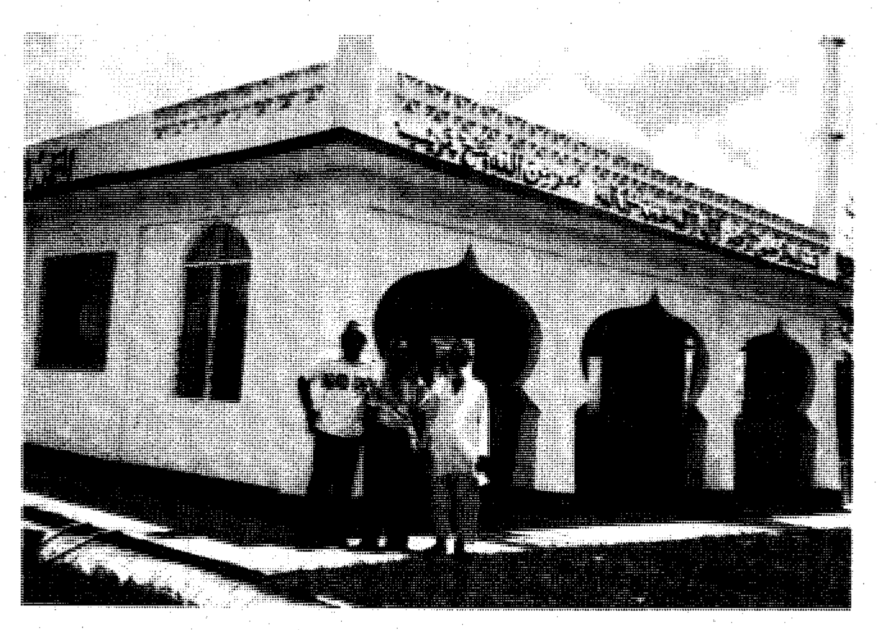
استقبلنا الإخوة الذين حضروا للصلاة فيه بترحاب كبير وإن كان عددهم قليلاً بسبب صعوبة المواصلات في هذه الظروف والاَّ فإن المسجد كما قالوا يمتلىء يوم الجمعة بالمصلين في العادة.

وقد تفقدت المسجد فلم أر الإعصار فعل في بنائه شيئاً وانما كسر زجاج النوافذ وزج بالمياه إلى داخل المسجد فأفسد الفرش وجعل الصلاة في داخله غير ممكنة فصلينا في رواق في مؤخرة المسجد وقد اخبرنا هؤلاء الإخوة أن أرضه منحة من الحكومة كما أعطت الحكومة للمسحيين أرض كنيسة صغيرة غير بعيدة من هذا المسجد.

ولم يحضر الخطيب فأمنا الشيخ محمد بن قعود وخطب بالعربية خطبة بليغة لم يفهمها غيره إلا أنا ولم يطلب أحد منهم ترجمة معناها. وكانوا في ثلاثة صفوف قصيرة وأذن للصلاة مؤذن غير الراتب بصوت رقيق يرقق الصاد حتى تصير سيناً كما يرقق اللام في موضع التفخيم.

بعد الصلاة مباشرة افترقت انا وزميلي الشيخ ابن قعود فسافر هو ومحمد أيوب إلى مدينة (سوفا) العاصمة لأنه لم يرها من قبل على أن يعود في المساء.

أما أنا فقد بقيت في الفندق أسود أوراقي في غير ارتياح بسبب الحر والرطوبة وانعدام الشراب البارد.



المؤلف بين آخوين من المصلين في مسجد المطار

يوم السبت ٢٠ جمادي الأولى ١٤٠٣هـ ٥ مارس ١٩٨٣م.

إلى سامبتو:

وهي ضاحية أو إن شئت قلت: هي قرية سكنية من تلك القرى والتجمعات السكنية العديدة التي لا تصل إلى أن تسمى بالقرية السكنية ذات الانفراد بالمرافق والأرباض، لأن البيوت منثورة نثراً في منطقة نادى هذه التي فيها المطار الدولي وبلدة نادي نفسها.

وتبعد ضاحية (سامبتو) هذه عشرة كيلات عن فندقنا.

وكان الذهاب إليها مع طلوع الشمس في السادسة والنصف على سيارة لأخينا إمام الدين أحد الإخوة المسلمين النشطين في العمل الإسلامي وهو من أصل هندي. ومع طريق غير الطريق الذي سلكناه امس إلى (نادي). والجامع بين الطريقين هو آثار الدمار الكبير الذي أحدثه الإعصار في الجهتين كلتيهما.

واخترق الطريق حقلا لقصب السكر أتلفه الإعصار وبجانبه وغير بعيد منه بيوت مدمرة قد استعاض أهلها عنها بخيام نصبوها إلى جانبها.



المؤلف يقف بجانب أشجار ضخمة حطمها الإعصار

ورأينا في المنطقة معبداً للهندوكيين دمره الاعصار تماما لأنه من الخشب والزنك، ومعابد الهندوكيين في منطقة نادي قليلة رغم كونهم أكثر من المسلمين عدداً. ويبلغون في جزر فيجي كلها ٤٠٪.

مسجد سامبتو:

قبل الوصول إلى هذه الضاحية التي هي مرتفعة بطبيعتها بنـــوا مسجدها في مكان مرتفع منها فبدا أبيض الطلاء ماعدا قبته التي صبغت بلون اخضر جميل وعلى الطراز المغولي التي تتميز به معظم المساجد المبنية في العصور الحديثة في الهند. وله أربع منارات صغيرة لم يضره الإعصار بشيء لأنه مبني بناء مسلحاً قوياً.



مسجد سامبتو

ولقد أخبرني بعض المسلمين المقيمين حوله أنهم لجأوا إليه للاحتماء به من الإعصار فراراً بأنفسهم.

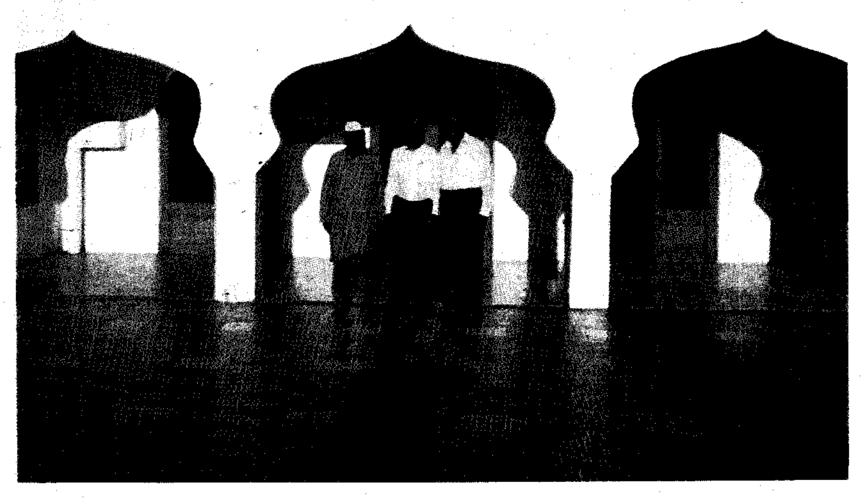
وهذا المسجد هو مشروع واحد من منطقة أسموها إسلامية تبلغ مساحتها خمسين الف متر مربع منحتها الحكومة للمسلمين في هذه الضاحية حتى يقيموا عليها مايحتاجون إليه من مشروعات فأقاموا هذا المسجد ومدرسة إسلامية وبيتاً لإمام المسجد ومدرس علوم الدين في المدرسة هو الشيخ محمد ابراهيم من أهل الهند ومبعوث من رئاسة الإفتاء والدعوة في المملكة إلى جزر فيجي.

وقد دمر الإعصار سقف بيته واتلفت المياه بعض كتبه كما فعل الإعصار قريبا من ذلك بمنزل لحدثاء العهد بالإسلام من الفيجيين الاصليين كانوا قد بنوه لهم بين المسجد والمدرسة حتى يعلموهم في المدرسة ويوفروا لهم السكن والطعام من أجل أن يعملوا بعد ذلك على

إلحاقهم بأحد المعاهد والجامعات في البلدان الإسلامية عسى أن ينفع الله بهم قومهم من سكان فيجي الأصليين الذين يقل فيهم المسلمون.

وهذه الأرض تقع في منطقة ندية بالغة الخضرة أنيقة المنظر ربما كان ذلك بسبب ارتفاعها النسبي تقابلها من جهة الشمال جبال شاهقة خضر.

وكان معنا في الجولة الأخ (إمام الدين) وهو يعمل في التجارة أو (رجل أعمال) كما يعبر عن ذلك عوام الكتاب والشيخ محمد ابراهيم مبعوث من رئاسة الإفتاء والدعوة و يعمل الأخ (إمام الدين) في العلاقات الخارجية في (رابطة مسلمي فيجي).



في مسجد سامبتو المؤلف بين الشيخ محمد ابراهيم والأخ إمام الدين

ولذلك فإن كل هذه الأبنية والمشروعات قامت عليها الرابطة المذكورة. وقد نوهوا هنا بأن هذه المدرسة هي المدرسة العربية الوحيدة

في (فيجي) لأن المدارس الإسلامية الأخرى تدرس العلوم التطبيقية ومبادىء الدين الإسلامي ولذلك تعترف الحكومة بشهاداتها بخلاف هذه المدرسة ولكن شهاداتها معترف بها في بعض البلدان الإسلامية فقد ارسلت خمسة من طلابها إلى الرياض وعشرة إلى المدينة المنورة وثلاثة إلى ماليزيا لاستكمال دراستهم.

الهدؤ الذي يعقب العاصفة :

لم نشهد العاصفة في فيجي لأننا وصلناها بعد أن انصرفت عنها إلى جزيرة تونقا في جنوب المحيط الهادىء غير أننا لم نشهد جوا هادئاً جميلاً وشمساً مشرقة صافية منذ وصولنا كما شهدناها في هذا الصباح الجميل.

ولولا الدمار والخراب الذي تركه الإعصار في كل مكان لما شعر المرء من هذه المنطقة أنها قد شهدت نهاية إعصار شديد منذ عهد غير بعيد.

ولكن هكذا الدنيا كما قال الشاعر:

شدة بعد رخاء ورخاء بعد شدة

وذهب بنا الأخ (إمام الدين) إلى بيته لتناول طعام الإفطار فرأينا من قسوة الإعصار هنا مالم نره يوم أمس من ذلك أنه قد حطم اعمدة عالية دقيقة مرفوعة عليها أسلاك الكهرباء وهي من الاسمنت المسلح ولولا أنني رأيت ذلك بنفسي لما صدقته وقد رايتها قد انكسرت من اوساطها ووقعت على الأرض في أكثر من موضع ولكن قضبان التسليح الحديدية لا تزال تمسك بأجزائها وإن كانت معوجة ساقطة على الأرض.

وقال (إمام الدين) : إن البلاد لم تشهد مثل عتو هذا الاعصار منذ عام ١٩٣٠م.



جانب من بيت إمام الدين والأشجار التى حطمها الإعصار.

وبيت الأخ إمام الدين لم يدمره الإعصار لقوته ولكنه أتلف بعض النوافذ وأشياء في الحديقة ومن لطيف ما استمتعنا برؤيته في بيته خزانة في غرفة الجلوس مليئة بالتحف التي هي من بيئتهم مثل انواع من الأصداف والزهور المحلية وتماثيل لببغاوات.

وقد استمتعنا بطعام الافطار الذي قدمه الأخ إمام الدين لاننا نثق بنظافته أكثر مما نثق بنظافة طعام الفندق وآنيته في ظل الظروف السائدة التي من أهمها نقص المياه النظيفة.

ثم عدنا قاصدين الجنوب الغربي حيث فندقنا قبيل التاسعة على أن نغادره في التاسعة.

إلى مدينة لتوكا :

تبعد مدينة (لتوكا) عن فندقنا بمسافة أربعة وعشرين كيلو مترا جهة

الجنوب منه وهي مدينة مهمة لأنها ثانية المدن في فيجي و يبلغ عدد سكانها خمسة وعشرين ألف نسمة وتأتي (نادي) في المرتبة الثالثة بعدها من حيث عدد السكان والرابعة هي سنقاتوكا.

ومدينة (لتوكا) هذه يقطنها ستة الآف مسلم كما أخبرونا فهي المدينة الأولى في فيجي من حيث نسبة السكان المسلمين فيها وفيها مؤسسات هامة مثل الميناء الرئيسي لجزر فيجي وشركة الكهرباء.

ذهبنا إليها في التاسعة فسرنا مع طريق ساحلي وكان الحديث ولايزال عن الإعصار فقال مرافقنا وهو هذه المرة الأخ محمد أيوب: إن سرعة الإعصار كانت مائة وأربعين كيلو متراً في الساعة، وقال إن مجيء إعصار إلى الجزيرة يكون محتملاً كل عام مابين شهري اكتوبر إلى مارس لكنه يكون أحيانا بعيداً عن الجزيرة وأحيانا يكون ضعيفاً.

وقد رفعوا هذا الطريق الساحلي عن أرض الساحل لكيلا تصل إليه مياه المد الشديد ودعموه من جهة البحر بدعائم من الحجارة.

وقد شاهدنا الدمار على شاطيء البحر أكثر منه في الداخل، وربما كان ذلك بسبب مياه المد الذي سببه الإعصار.

واخترقنا ريفا خالياً من السكان مما يعطي انطباعاً بان جزر فيجي لاتشكو من ضيق في أرضها بالنسبة إلى سكانها وهذا صحيح لاسيما اذا قارناها بجزر مشابهة في الظروف وحيث يكون السكان الذين هم من أصل هندي حوالي نصف مواطنيها مثل مورشيوس وترينداد لنجد أن فيجي أفسح أرضاً وأقل سكانا.

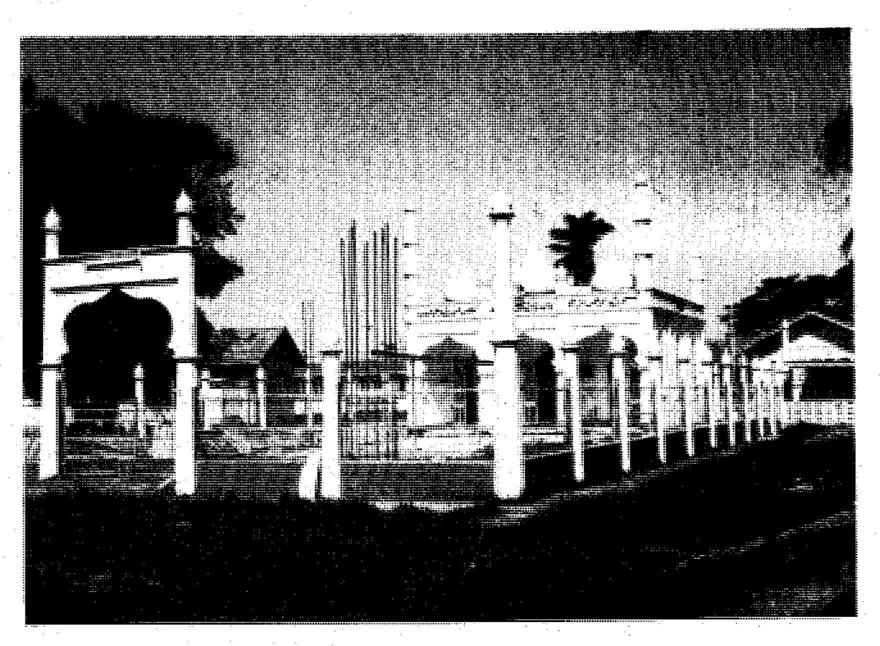
وعندما مررنا بحقول من قصب السكر المدمر قال لنا الأخ محمد ايوب إن قصب السكر ومحاضن الدجاج هي أكثر المشروعات الزراعية

خسارة هذا العام لأن الدجاج مات بسبب الإعصار.

وصلنا المدينة في العاشرة إلا ربعاً فرأينا مسجدها ابيض ناصع البياض عليه الكتابة العربية الواضحة الشهادتان والآية الكريمة **(نصر من الله وفتح قريب)** وهذه عادة لهم في تحلية المساجد بكتابة عربية واحدة. وأثر الإعصار في المدينة كلها أقل منه في الأجزاء الأخرى التي رأيناها.

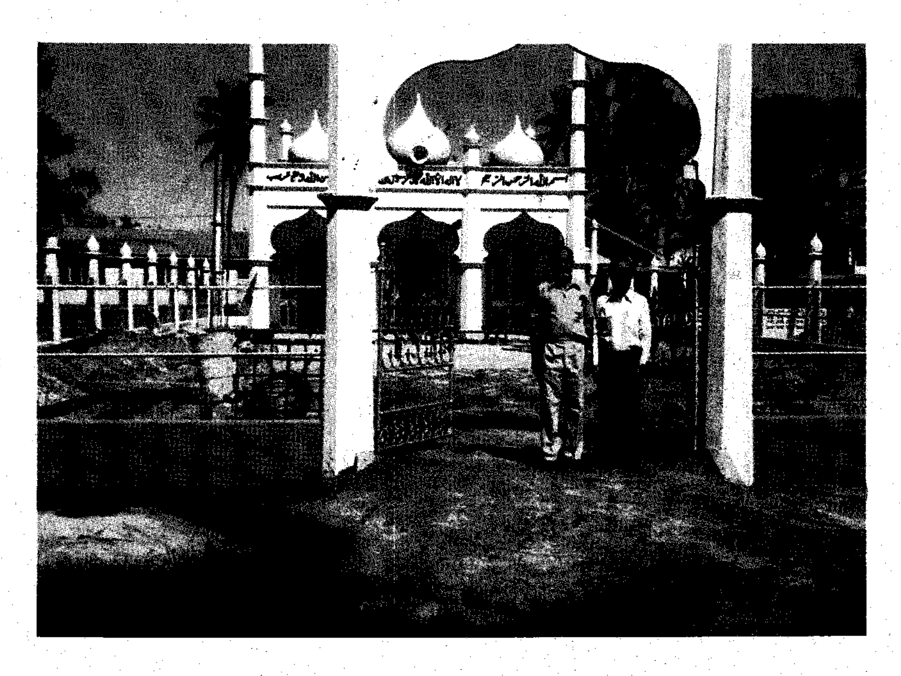
والمسجد مجهز بما يلزمه من المرافق ومن ذلك المراوح الكهربائية والفرش الجيدة وحتى الجانب الجمالي فيه راعوه في بنائه ومن ذلك الزجاج الملون البديع في نوافذه.

وسوره الذي يحيط بفنائه الخارجي مثل سور مسجد (مولو مولو) الذي تقدم ذكره محاط بأعمدة على هيئة منارات صغيرة أعلاها ماكان منها في الأركان.



منظر عام لمسجد لتوكا وسوره الاخضر ومناراته المتعددة

وبجانب المسجد مدرسة مهنية للمسلمين ابتدائية ومدرسة ثانوية خاصة بالبنات وكلها في أبنية جيدة وقد كتب على مدرسة البنات اسمها بالانكليزية (لتوكا مسلم هاي سكول) اي: المدرسة الثانوية الإسلامية ومدرسة البنات هذه هي أول مدرسة للبنات قامت رابطة مسلمي فيجي ببنائها في كل أنحاء الجزيرة، والهدف منها توفير التعليم المدني لبنات المسلمين في جو تمكن السيطرة عليه.



المؤلف عند المدخل الخارجي لمسجد لتوكا مع أحد الأخوة المسلمين في لتوكا

وأفنية المدارس الخارجية مفروشة بأشجار العمبة (المانقو) والنارجيل والباباي وهو الوحيد الذي رأيناه قد تأثر بالإعصار في هذه المدينة ماعدا اشجاراً معدودة من أشجار النارجيل السامقة قد كسر الإعصار بعض فروعها ولم تسقط.

ثم انتقلنا إلى ضاحية من المدينة جميلة ذات رواب وذلك لزيارة



المؤلف واقف قرب المدرسة الإسلامية في لتوكا.

مدرسة ثانوية للبنين تابعة لرابطة مسلمي فيجي وهي واحدة من مدارس ست عشرة أقامتها الجمعية يصح أن يقال في وصفها إنها مدارس مسلمين ولكن لايكون الوصف دقيقاً إذا قلنا إنها مدارس إسلامية لأنهم أنشأوها في الأصل ليتعلم فيها ابناء المسلمين المنهج الرسمي الحكومي إلى جانب التربية الإسلامية غير أن تدريس المواد الإسلامية ليس كافياً الآن وذلك بسبب صعوبة وجود العدد الكافي من المدرسين الكفاة لهذه المواد.



المدرسة الإسلامية في لتوكا.

وقد شاهدنا هذه المدرسة في ضواحي مدينة (لتوكا) هذه فوجدناها مبنية بناء حديثاً قوياً بالاسمنت المسلح من طابقين وسط مساحة ريفية واسعة في جو دراسي مناسب.

ثم عدنا إلى وسط المدينة فوجدناها أحسن تنظيماً من نادي.

ومررنا بسوق تجاري فيها فعرفنا مرافقونا على تاجر مسلم اسمه (حاجي رمضان) قالوا إنه تبرع وحده لرابطة مسلمي فيجي بعشرة الآف دولار فيجي ويساوي ذلك ثمانية وثلاثين الف ريال تقريباً.

كما مررنا بميناء المدينة ورأينا اكواما من الخشب الذي تنتجه أرض فيجي وهو معد للتصدير بحيث تنقله البواخر من هناك إلى أنحاء العالم. وقالوا لنا إنه من نوع جيد وبهذه المناسبة قالوا لنا أيضاً: إن من منتجات فيجي السكر والذهب والفضة.

فيتي :

(فيتي) هي الكلمة التي حرفت عنها فيجي المتداولة حالياً وأما (فيتي) المعنية في هذا العنوان فإنها محل على شاطيء البحر قالوا: إنه أول موضع نزل فيه الفيجيون القدماء الذين هم أول سكان فيجي الأصلاء قدوما إلى هذه الجزر.

وقدومهم فيما قالوا كان من شرق إفريقية وقد وصلوا إلى جزر فيجي هذه البعيدة عن طريق مدغشقر أو طريق اندونيسيا بعد أن أقاموا هناك فترة من الزمن وهذا كله افتراضي ليس له سند دقيق من المراجع التاريخية ومع ذلك أقاموا في هذا المكان نقطة سياحية بنوا فيها بيتاً فيجيا تقليديا مما كان يستعمله السكان القدماء من أهل فيجي قبل وصول الأوروبيين الذين جاؤا معهم بالهنود الآسيويين حتى أصبحوا يؤلفون الآن حوالي نصف السكان في الجزر.

وفي هذا المنزل بعض ملابسهم التقليدية والحلي التي كانوا يتحلون بها في القديم.



شاطىء في فيجي عليه المنازل التقليدية

جنة حارة :

عند الوصول إلى المنطقة الريفية التي تسبق فندقنا نظر الأخ محمد أيوب إلى الجبال الخضر والروابي الريفية الجميلة في هذه المنطقة من شاطيء البحر فأعجبه ذلك لأنها جزيرته وقال (فيجي جنة) وكان قد مسني الحر والرطوبة فيها منذ وصلناها قبل امس. فأجبته: نعم إنها جنة (حارة).

وقد دفعنا ما استحقه الفندق علينا مسرعين لأن موعد الخروج إلى المطار قد قرب ومن ثم أخذنا الأخ محمد أيوب إلى بيته لتناول طعام الغداء وقد كان غداء دسماً حاراً حرارة الجو وحرارة البهار فتساوت

حرارة الداخل والخارج كما كان يقول المتطببون الأقدمون وسأله أحد الحضور مداعباً: أهذا غداء فيجي أو هندي فابتسم دون أن يجيب وفسروا ذلك لنا بأنه متزوج من اثنتين إحداهما هندية الأصل مثله والثانية فيجية أصلية مثل بقية السكان غير الهنود في الجزيرة.

مغادرة فيجي :

خرجنا مع إخواننا الكرام هؤلاء وتبين أنه قد بقى في الوقت بقية قبل أن تقوم الطائرة فكان الانتظار في المطار ضربا من العذاب لأن الكهرباء منقطعة عنه كما انقطعت عن غيره والحر والرطوبة كانا بالغين.

وقد كثر المودعون منهم ولم يتركونا إلا عند ركوب الطائرة جزاهم الله خيراً.



أحوال فيجي



موقعها :

تقع جزر فيجي في جنوب المحيط الهادىء إلى الشمال الشرقي من نيوزيلنداأو إلى الشرق من أستراليا.

ولذلك يقول المسلمون من أهل فيجي إننا أول المسلمين الذين تشرق عليهم الشمس و يعنون ذلك بالنسبة إلى العالم القديم أو بالنسبة إلى مكة المكرمة حيث تقع فيجي إلى الشرق الجنوبي منها.

وإلا فإن موضوع الشرق والغرب أمر نسبي فهم أول من تطلع عليهم الشمس من المسلمين بالنسبة إلى العالم القديم ــ وربما يكونون آخر من تغرب عنهم الشمس بالنسبة للموجودين في شرق الولايات المتحدة وشرق القارة الأمريكية.

وقولهم هذا يذكرني بقول إخوة لنا مسلمين يسكنون في مدينة (كرايست تشيرتش) في الجزيرة الجنوبية من نيوزيلندا حين يقولون إن مسجدنا الذي نقوم على تأسيسه الآن هو أقرب المساجد طراً إلى القطب الجنوبي أو نقول إنه آخر مساجد الدنيا جهة الجنوب من الأرض.

والشيء الحقيقي الذي يقوله أهل فيجي من المسلمين وغيرهم أن جزر فيجي تعتبر بوابة اليوم الجديد وذلك أنها تقع على خط الطول الشمالي ١٨٠ وقريباً منها جهة الشرق يقع خط الطول الدولي الذي يتغير عنده اليوم الاسبوعي بالنسبة لمن يصل إليه لذلك يتغير اليوم بالنسبة إلى من يأتي فيجي من الشرق فيضيع عليه يوم واحد، ومن يأتيها من الغرب يكسب يوماً واحداً أو هكذا يبدو كما سبق ذكر ذلك في اليوميات.

وتقع فيجي كما قلنا في جنوب المحيط الهاديء وتتناثر جزرها البالغ عددها ثلثمائة واثنتين وثلاثين جزيرة في مساحة واسعة من مياه المحيط تبلغ ارض الجزر سبعة عشر الفا وخمسمائة كيلو متر مربع تحت خطي العرض ١٥ و٢٢ جنوب خط الاستواء.

وتبعد نحو الفين وثمانمائة وخمسة كيلو مترات إلى الشمال الشرقي من مدينة سيدني الأسترالية.

وهي تقع في طريق المواصلات البحرية الرئيسية مابين القارة الاسترالية ونيوزيلندا وبين أمريكا الشمالية كما أنها أيضاً تعتبر محطة جوية هامة للطائرات مابين أمريكا واستراليا.

السكان :

يبلغ سكان جزر فيجي ستمائة وخمسة وعشرين الف نسمة نصفهم تقريباً من أصل هندي وحوالي ٤٥٪ من السكان الفيجيين الأصلاء والباقي وهم ٥٪ يتألفون من عدة عناصر منهم الصينيون والأوربيون وسكان جزر المحيط الهاديء المجاورة.

وأكثر المدن سكاناً هي العاصمة (سوفا) حيث يقطنها خمسة وستون الف نسمة تليها (لتوكا) وسكانها خمسة وعشرون الف نسمة وتأتي بعدها (نادى) ويبلغ متوسط الزيادة للسكان ١٫٨٪ وتبلغ نسبة المسلمين في جزر فيجي ١٠٪ من مجموع السكان.

والسكان الأصليون بفيجي يمكن أن يسموا بالفيجيين فقط لأنهم يكادون يكونون عنصراً مستقلاً بذاته وان كان فيه شبه من بعض العناصر السكانية الأخرى في جزر جنوب المحيط الهاديء.

وتقول خرافاتهم : إن زعيما من زعمائهم قاد اوائلهم في سفن قدمت

من الجنوب الشرقي لأندونيسيا وإنهم استقروا في هذه الجزر ولكنهم بطبيعة الحال لايذكرون من أين كانوا قد جاؤا إلى تلك الجزر التي غادروها مثل كثير من القصص والأساطير الشعبية.

إلا أن المصطلح عليه علمياً الآن بأنهم من شعب خليط من عنصرين من عناصر السكان جنوب المحيط يسمى أحدهما: البولينين ويسمى الثاني: الميلانين.

على أن الملاحظات السريعة لمن يكون مثلي قد زار أنحاء العالم كله تقريبا يلفت نظره شيئان أحدهما قرابة في المنظر مابين هؤلاء السكان الاصليين وطائفة من سكان شرقي إفريقية من الصوماليين مثلا أو بعض الأحباش لولا أن الفيجيين أطول قامات من الأحباش كما أنهم أغلظ أجساماً من الصوماليين في العادة ويتميزون بشعر كثيف جداً وغزير على قصره فتراه فوق رؤسهم كأنه التاج المعقود فهل كانوا من أصل إفريقي جاء إلى الجزر القريبة ممايعرف باندونيسيا اليوم واستقر بها فترة ثم انطلق من هناك إلى حزر فيجي؟ وقد يستدل على مجئيهم بما يوجد من الشبه بين سكان المنطقة التي قدموا منها إلى فيجي. وبين الإفريقيين وذلك مثل سكان جزيرة غينيا الجديدة التي يتبع الجزء المغربي منهااندونيسيا ويسمونه إريان الغربية واستقل الشرقي منها باسم (بابوا غينيا الجديدة) بعد ان كان مستعمرة تديرها استراليا.

فسكانها لايبعدون عن سكان افريقية بكثير وكذلك الحال بالنسبة إلى سكان الجزر القريبة من غينيا الجديدة مثل جزر سلمون وجزر (وانا واتو) كما سيأتي بيان ذلك عند الكلام على تلك الجزر في اليوميات.

واذا كان لايعرف صحة قدومهم من افريقية من عدم ذلك فلا يمكن القول بطبيعة الحال عن تاريخ ذلك القدوم.

وإنما جرؤ بعض الباحثين على القول بأن قدومهم من الجزر التي تقع إلى الجنوب الشرقي من اندونيسيا فزعم أن ذلك كان خلال القرن السادس الميلادي أي في زمن بعثة نبيا محمد صلى الله عليه وسلم.

إلا أن قولاً سمعته من أحد الإخوة المسلمين من أهل فيجي قد يؤثر اذا صح في هذا الزعم وهو أن سكان أهل فيجي الأصلاء كانوا عندما وصلهم الاوربيون يختنون أبناءهم مما قد يستدل به على أنهم كانوا من ذوي الأصول الإسلامية التي اضاعوها كما فعل مثل ذلك أهل مدغشقر وأوضحته في كتاب «مدغشقر : بلاد المسلمين الضائعين»(١).

والفيجيون الأصلاء بسطاء التفكير أو هكذا يبدون للسائح الاجنبي وهم يحبون النكتة والمرح ولذلك تجد الابتسامات حاضرة على الشفاه وبخاصة ابتسامات النساء اللاتي يسارعن إلى الحديث مع الرجل الغريب وكأنه قريب.

ومن العجيب الملفت للنظر أنني لاحظت وجود شوارب خفيفة في وجوه كثير منهن وبخاصة من المسنات فتبدو الواحدة منهن بشاربها الخفيف الذي يشبه شارب الشاب ووجهها المتغضن وشعرها الغزير القصير المعقد الذي يبدو على رأسها من البعد كأنه شيء محمول تبدو غريبة المنظر لاسيا مع لونها البني أوالآبنوسي إضافة إلى أن نساء أهل فيجي الأصلاء لم ينلن نصيباً كبيراً من الجمال.

أما نساء الهنود المهاجرين إلى فيجي فقد ابتعدن عما تتحلى به المرأة الهندية التي لاتزال في القارة الهندية من البعد عن المزح مع الرجال الأجانب والمسارعة إلى التحدث مع الغرباء فضلاً عن الابتسام لهم فهن

---

(١) طبع أكثر من مرة وكان نشره في النادي الأدبي في الرياض للمرة الأولى في عام ١٤٠٠هـ.

هنا في فيجي فيما قاله لنا أصحابنا أكثر محافظة من الفيجيات الأصيلات إلا أن الذي يلاحظه الغريب أمثالنا أنهن قد اصابتهن عدوى المرح والابتسام السريع سواء للقريب أو للبعيد وإن كنا لانعرف ما وراء ذلك.

وقد ازدادت الوان الهنود سمرة في هذا الجو البحري الرطب حتى وصلت إلى حد السواد على بعض الوجوه وبخاصة وجوه الهنود الذين كانوا في الأصل من سكان جنوب الهند وكانت ألوانهم هناك سوداء فزادتهم فيجي سواداً إلى سوادهم.

والأهم من ذلك أن طبيعة القوم الفيجيين الأصلاء في المسالمة وعدم الرغبة في النزاع والخصام ربما كانت قد أثرت على مواطنيهم الذين قدموا من الهند بحيث اصبحوا لا توجد فيهم اضطرابات طائفية أو منازعات مذهبية خطيرة كالتي توجد بين بني قومهم في الهند نفسها.

حتى إن بعض الهنود لايعرفون الولايات التي قدم منها أجدادهم أول ماقدموا من الهند ويقولون نحن فيجيون وهذا كافٍ.

وكان اكتشاف جزر فيجي من الأوروبيين بطريق المصادفة كما هي العادة في كثير من الاكتشافات.

وأول من اكتشفها الهولندي (ابل تاسمان) في عام ١٦٤٣م. ثم كان التعريف الواضح بها من الكابتن جيمس كوك مكتشف استراليا الذي أبحر إليها بقصد اكتشافها وجال خلال جزرها في عام ١٧٧٤م.

وقادت هذه الاكتشافات إلى الاستعمار البريطاني الذي استمر حتى عام ١٩٧٠م حيث اصبحت فيجي دولة مستقلة.

وماذا عن العرب المسلمين؟

قد يرد سؤال على الذهن وقد ذكرنا اكتشاف هذه الجزر من قبل الأوروبيين الذين كانوا قد وصلوا إلى هذه المنطقة كما وصلوا إلى غيرها من الأماكن المجهولة في التاريخ القديم بعضهم كان الدافع له إلى ذلك المغامرة بطلب المال أو الشهرة وبعضهم كان الدافع له إلى ذلك العلم والمعرفة بالدرجة الأولى.

وهذا السؤال هو: ماذا عن العرب والمسلمين هل اكتشفوا فيجي أو بالتعبير الصحيح الذي كان يسير عليه أسلافنا العرب في كتبهم الجغرافية ورحلاتهم هل عرفوا فيجي؟

فلم يكونوا يسمون بلاد الله التي يصلون إليها بلاداً مكتشفة ولايدعون عملهم معرفتها اكتشافاً وهذا من باب التواضع ومعرفة الفضل لأهله فالبلاد غالباً ماتكون مسكونة ولذلك يكون اكتشافها إن صح أنه لابد من الاكتشاف قد تم على أيدي أهلها الذين يقيمون فيها. وليس لمن يقدم إليهم إلا أنه عرفهم وذلك أيضاً مرجعه إلى توفيق من الله سبحانه وتعالى في الأساس فعمل العباد هو فعل للأسباب والمسبب هو الخالق سبحانه واذاً لماذا دعوى الاكتشاف ولم التعاظم والتفاخر على حساب الشعوب الأخرى؟

على أننا لانستطيع أن نقول إن العرب والمسلمين قد وصلوا إلى هذه الجزر لأنه ليست لدينا أدلة واضحة على ذلك، ولانستطيع أن ننفي ذلك لأن قولنا يكون بمثابة الشهادة على النفي وهي لاتصح إلا إذا كانت في معرض الإثبات.

وإنما نجد شاهداً على كونهم قد يكونون وصلوا إليها ولكنهم لم يقيموا فيها لأن لديهم في بلدانهم ماهو أقرب وافضل للإقامة ولم ينوهوا بذلك لأنهم لم يروا أنه فخر يستحق الذكر.

ولدينا شهادةعلى مثل ذلك في القارة الأسترالية فقد تقرر عند الأوروبيين ثم عند الناس اجمعين أن مكتشفها هو الكابتن الإنكليزي (جيمس كوك) غير أن المعروف للجميع أن شواطيء استراليا الشمالية قريبة جدا من الجزر الإندونيسية وأنه كانت في الجزرالإندونيسية وبخاصة في (جاوا) ممالك وسلطنات إسلامية قديمة بعضها زاره ورآه ابن بطوطة منذ حوالي سبعمائة سنة.

فهل يعقل أن لا يكون الاندونيسيون وصلوا إلى شواطيء استراليا؟ وأنهم لم يعرفوا بوجودها مع قربها من جزرهم وسهولة الاتصال بها من وجود جزر صغيرة تصلح محطات للراحة ومواصلة السفر في المسافة غير البعيدة التي تفصل بين استراليا وجزر إندونيسياواذا كان هذا دليلا عقلياً يحتاج إلى برهان ملموس فإننا نستأنس بما أورده الجاحظ في كتاب الحيوان عما سماه بالثور الهندي وقال: إن شيخه المفكر المعروف أبا اسحاق النظام قد روى أن الثور الهندي يعود ولده إلى جوف أمه بعد ولادته و يفعل ذلك عدة مرات بأن يخرج من بطن أمه ليرعى أو يرضع ثم يعود إلى جوف أمه.

وقد استنكر الجاحظ ذلك او استكثره على عقل شيخه النظام ولكننا الآن نتخيل أن الذي حدث النظام بهذا الأمر حدثه بما رآه أو سمعه عن (الكنقرو) حيوان أستراليا الذي لايوجد في غيرها من قارات العالم فهو الذي يخرج ولده من جوف أمه ثم يعود إلى كيس في بطنها يغادره عدة مرات للرعى أو الرضاع ثم يعود إليه.

وهذا أمر غدا من البدهيات عند علماء الحيوان وقد شاهدته بنفسي في أستراليا.

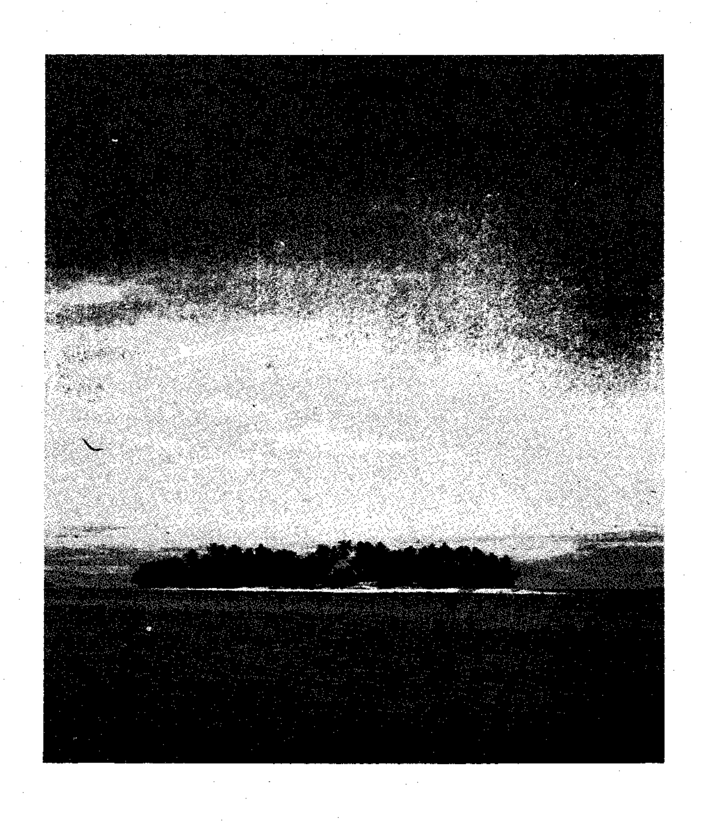
ألا يكون هذا دليلا على أن العرب أو المسلمين كانوا قد وصلوا إلى

القارة الأسترالية ولكنهم لم يسجلوا ذلك على اعتبار أنها أرض من الأرض التي لم يكن فيها مايستهوى التجار من ثروة ظاهرة إلى جانب المخاطر من سكانها المتوحشين وحيواناتها المفترسة؟

وإذا كان هذا الأمر صحيحاً بالنسبة للقارة الاسترالية ألا يكون صحيحاً بالنسبة إلى (جزر فيجي)؟

و يبلغ عدد الجزر التي فيها سكان ثابتون في الإقامة حوالي مائة جز يرة فقط.

وبقية الجزر وعددها مائتان واثنتان وثلاثون تتخذ قواعد لصيد الأسماك وللزراعة الحقلية.



إحدى جزر فيجي الصغيرة

وأكبر الجزر هي (فيتي لافو) وهي التي فيها العاصمة وفيها مدينة نـاندي والمطار الدولي وبها سميت الجزر كلها اذْ حرف لفظ فيتي إلى (فيجي) فأصبح بعد ذلك هو الاسم العالمي للجزر كما تقدم.

وتبلغ مساحة جزيرة (فيتي لافو) عشرة الآف واربعمائة وتسعة وعشرين كيلو متراً مربعاً. وتبلغ الجزيرة التي تليها في الكبر واسمها (فانوا لافو) خمسة الآف وخمسمائة وستة وخمسين كيلو مترمربع.

النظام السياسي :

النظام السياسي في فيجي تمثيلي ديمقراطي على النمط الإنكليزي. والحكومة بحكم تكوينها معادية للشيوعية ومتمسكة بالنظام الغربي الرأسمالي.

من أهم مظاهر ذلك عدم السماح بافتتاح سفارة للإتحاد السوفييتي في فيجي.

وهي عضو في الكمونولث البريطاني وتعتبر ملكة بريطانيا رئيسة للدولة يمثلها الحاكم العام في فيجي مثل النظام السائد في جارتيها أستراليا ونيوزيلندا.

ويتألف المجلس النيابي في فيجي (البرلمان) من اثنين وخمسين عضوا منهم اثنان وعشرون للمواطنين من أصل هندي وفيهم المسلمون واثنان وعشرون للمواطنين من أصل فيجي أصيل وثمانية للأجناس الأخرى.

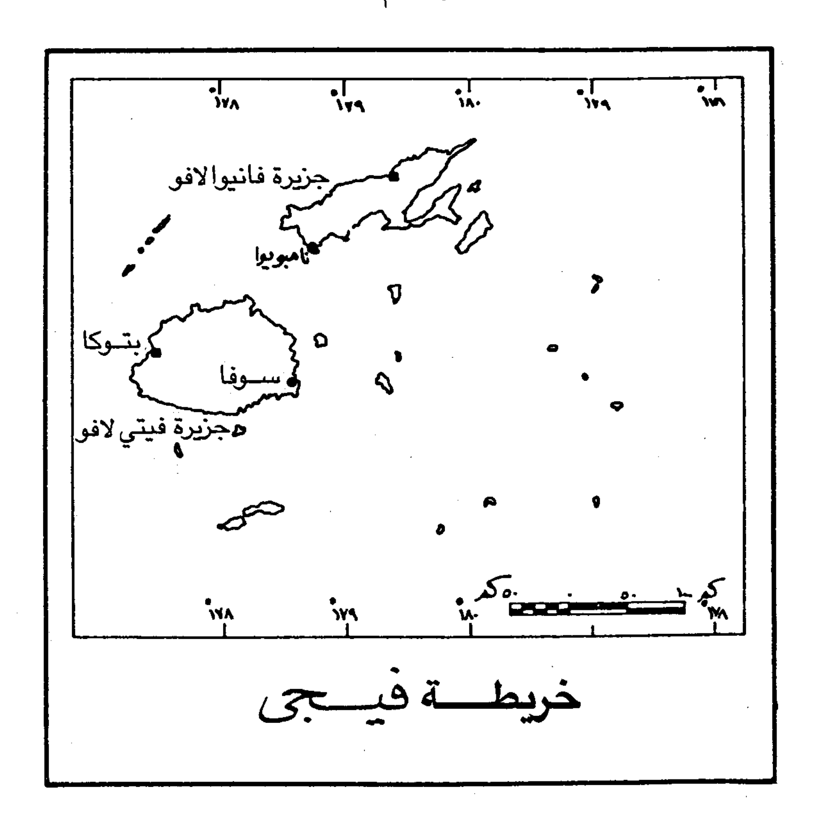
والحزبان السياسيان الرئيسان هما حزب الاتحاد وأكثر اعضائه من الفيجيين الأصلاء وهو الذي يحكم البلاد منذ الاستقلال في عام ١٩٧٠م.

والثاني : حزب الاتحاد الوطني وهو حزب المعارضة، وأكثر الأعضاء الرئيسيين فيه من أصل هندي.

وحكومة فيجي معادية للشيوعية كما تقدم ومن مظاهر ذلك أمران أولهما: عدم السماح بافتتاح سفارة للإتحاد السوفييتي في فيجي والثاني هو السماح بعقد المؤتمرات المعادية للشيوعية فيها.

فقد عقد مؤتمر رابطة الشعوب الآسيوية المناهضة للشيوعية التاسع والعشرين بنادي في جزر فيجي في الفترة من ٥ ــ ١٠ ذي الحجة ١٤٠٣هـ. الموافق ١٢ ــ ١٧ سبتمبر ١٩٨٣م وحضر المؤتمر ممثلون من الدول الإسلامية الآتية: البحرين ولبنان وباكستان والمملكة العربية السعودية وتركيا والأردن وماليزيا واندونيسيا.

ولقد ترأس السيناتور م.ك. شيراني رئيس رابطة المسلمين بفيجي هذا المؤتمر وكسب سمعة طيبة للإسلام باستضافة هذا المؤتمر.



خريطة فيجي

المسلمون في فيجي



وصول المسلمين إلى فيجي :

المسلمون في فيجي معظمهم إن لم يكونوا كلهم من أصل هندي ولذلك لابد من معرفة الزمن الذي وصل فيه الهنود إلى هذه الجزر من أجل أن نعرف تاريخ دخول الإسلام إليها.

في عام ١٨٨٠م بدأت الشركة الأسترالية الإستعمارية في زراعة قصب السكر في الجزر لإنتاج السكر وتنقيته واستقدمت لهذا الغرض عمالاً من الهند بعقود موثقة وملزمة لمدة خمس سنوات وهي شركة بريطانية.

وذلك إبان الاستعمار البريطاني للهند. وكان استقدام هؤلاء العمال مابين عامي ١٨٧٩م وعام ١٩١٧م وكان بين أولئك العمال الهنود طائفة من المسلمين فكانوا أول المسلمين الذين استقروا في الجزيرة.

ويقدر أن مجموع الهنود الذين قدموا في تلك المدة لهذا الغرض كان حوالي ٦٢ ألف عامل ١٤٪ منهم من المسلمين و٨٦٪ من الهندوكيين وقد بقي حوالي الثلثين منهم في جزر فيجي واصبحوا بمثابة المهاجرين المقيمين فيها.

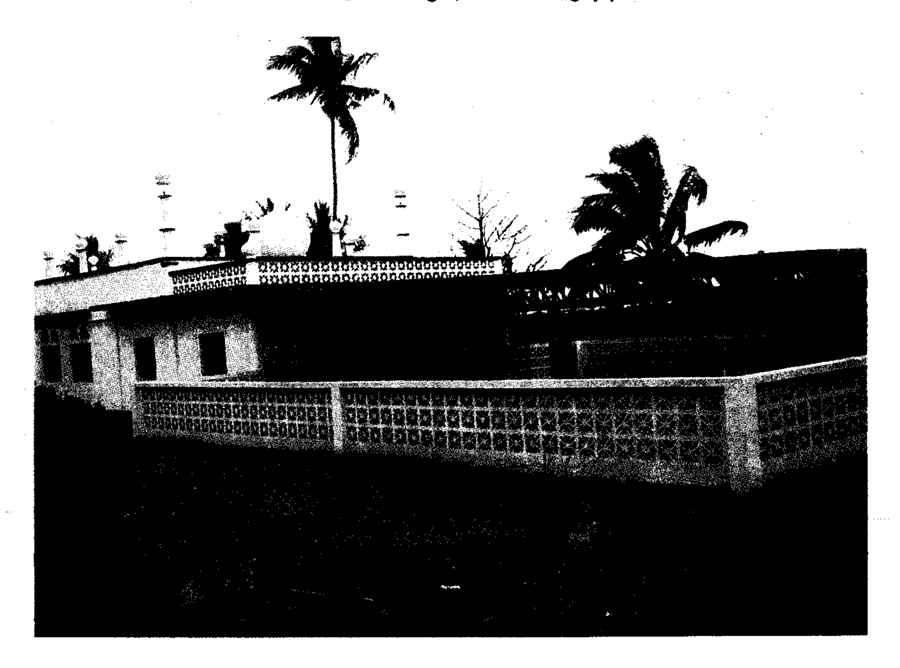
أما الوضع الاجتماعي والاقتصادي للمسلمين بالمقارنة مع الجماعات الأخرى فأغلب المسلمين ليسوا من الأغنياء وتمارس قلة منهم التجارة والحرف.

إن رابطة مسلمي فيجي التي تأسست سنة ١٩٢٦م هي المنظمة الإسلامية الوحيدة ولها فروع في جميع أنحاء البلاد وتعمل جميعها على رفاهية المسلمين وخدمة الإسلام بمعاونة منظماتها الفرعية مثل (فيجي

زنانة) أي رابطة النساء الإسلامية وجمعية فيجي الإسلامية للرياضة ورابطة الشباب المسلم بفيجي.

ولرابطة مسلمي فيجي فروع في الأماكن التالية:

سوفا.. ناسينو.. ريوا... تيلو/ليدونى... راكى راكى.. فاروا.. باراوايا.. لتوكا... ميتهجونيا... سامبتو.. نادى.



مسجد راكي راكي لفرع رابطة مسلمي فيجي

وتقوم هذه الفروع بإدارة المدارس الإبتدائية والثانوية الإسلامية ومسجد الجماعة ومدرسة تدريب الشباب المسلمين.

وجدير بالذكر أن هنالك طلابا غير مسلمين يدرسون مع الطلاب المسلمين في مدارسهم التي يمولها آباؤهم المسلمون وهذه المدارس مهدت الطريق أمام إدخال الطلاب غير المسلمين في حظيرة الإسلام وقد سبق ذكر شيء من ذلك في اليوميات.

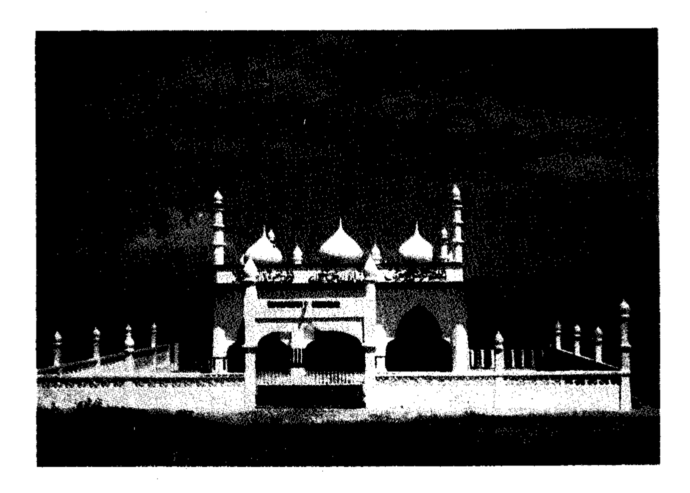
ويمتاز الإخوة المسلمون في فيجي بما امتاز به الإخوة المسلمون من أهل الهند في مهاجرهم فهم اينما حلوا سارعوا إلى بناء المساجد وافتتاح المدارس الإسلامية والكتاتيب وتعليم أولادهم مبادىء الإسلام وقراءة القرآن الكريم.



مسجد فاروا في منطقة المسلمين الريفية ويبعد حوالي خمسين كيلو متراً عن مدينة نادي.

فلا يوجد مكان به تجمع للمسلمين في فيجي من حي أو قر ية مهمة الا و يوجد فيه مسجد أو مدرسة، حتى إنهم يبنون بعض المساجد في أماكن ليس فيها تجمع سكاني للمسلمين وإنما يكون المسلمون بعيدين عنها أو لمن يمر بها من المسلمين فيصلي فيها كما في مسجد (مولومولو) الذي ذكرناه في اليوميات.

و يقدم المسلمون التبرعات لبناء المساجد رغم كون أغلبهم ليسوا من طبقة الأثر ياء وإنما هم فلاحون وعمال وتجار.



مسجد ميافانيا في منطقة للمسلمين في الريف خارج مدينة نادي

بل إن العجيب أنهم يساعدون غيرهم من المسلمين بالمال لبناء المساجد حتى في خارج فيجي كما فعلوا مثل ذلك للمسلمين في نيوكلدونيا وللمسلمين في نيوزيلندا قبل أن تصلهم المساعدات المالية السعودية.



مسجد كوزونوفيا

ويتبع المسلمون في الفروع مذهب الإمام أبي حنيفة لأنه المذهب الشائع في أكثر البلاد الهندية وبخاصة في شمال الهند كما يتبع بعضهم

الشافعي لأن أوائلهم جاؤا إلى هذه الجزر من جنوب الهند الذي يسود فيه مذهب الإمام الشافعي في الفروع.

الجمعيات الإسلامية :

عندما شعر أوائل المسلمين بأن تفرقهم وعدم اجتماعهم في مكان واحد سينشأ عنه نقص المعلومات الإسلامية لديهم ولدى أولادهم بل ربما عرض أولادهم إلى الضياع كما حدث في بعض مهاجر المسلمين بدأوا يؤسسون الجمعيات الإسلامية في مختلف المدن والقرى وقامت أول جمعية إسلامية في فيجي باسم جمعية الهداية الإسلامية في عام ١٩١٥م ثم جمعية إشاعة الإسلام سنة ١٩١٦م والجمعية الإسلامية سنة ١٩١٩م، وكلها أسست للقيام بخدمة الإسلام والمسلمين وبذلت جهودها حسب إمكاناتها ولكن الأثر العظيم للاهتمام بالنواحي الدينية قد كان في سنة ١٩٣٦ حيث انشئت رابطة مسلمي فيجي.

فقد تكونت الرابطة واتخذت خطوة إيجابية في التنسيق بين الجمعيات الإسلامية الموجودة في الأماكن المختلفة.

وفي سنة ١٩٤٠م صارت الرابطة الممثل الرئيسي لمسلمي فيجي وانضمت إليها المنظمات الأخرى فاصبحت فروعاً لها ومن هنا بدأت الرابطة ترعى نشاط المسلمين وعرفت لدى الدوائر الرسمية بأنها المتحدثة الرسمية في شئون المسلمين ولهذا كانت الحكومة ولا تزال تراجع الرابطة في الشئون التي تتعلق بالمسلمين والآن يوجد لها ١٩ فرعاً في جميع انحاء فيجي.

أهداف الرابطة :

١ ــ المحافظة على تعاليم الإسلام.

٢ ــ حماية المسلمين والمحافظة على دينهم ووضعهم الاجتماعي وتعليمهم.

٣ ــ تمكين المسلمين لتطوير حياتهم وثقافتهم وتمكينهم من الحصول على حقوقهم بين الأجناس التي تعيش في فيجي ومشاركتهم في العمل على تقدم البلاد.

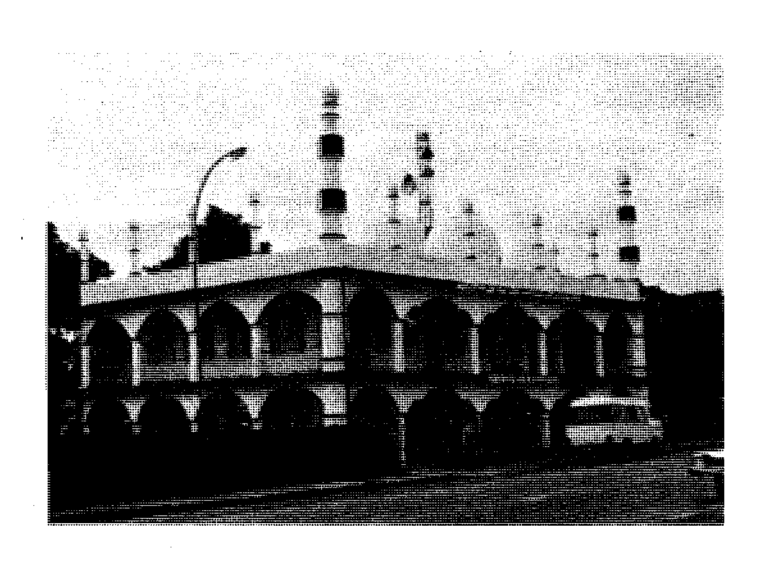
٤ ــ تأسيس مدارس خاصة لأطفال المسلمين.

٥ ــ حفظ الوحدة بين المسلمين وتنمية العلاقات الطيبة بين الجميع.

٦ ــ تمثيل المسلمين في كل أمر يهمهم.

٧ ــ تأسيس فروع جديده للرابطة والاهتمام بمدارس الرابطة المنتشرة في البلاد ورفع مستواها التعليمي والاهتمام بمنظمات الشباب والمنظمات النسائية المسلمة.

ومن أهم ماتهدف إليه الرابطة كما تقدم هو المحافظة على النواحي الثقافية العصرية والإسلامية وذلك بتأسيس مدارس عصرية لجميع المراحل ومدارس إسلامية لتعليم القرآن والدين وقد أسست الرابطة أول مدرسة ثانوية لها في بلدة لتوكا ولها الآن ١٦ مدرسة ابتدائية و٧ مدارس ثانوية و٢٠ مسجداً ومدرستان دينيتان ومركز إسلامي لتعليم الدين وإعداد ائمة المساجد والمدرسين الدينيين على مستوى مناسب.



مسجد سيقاتوكا

هذا وقد تم افتتاح مركز للتعليم الإسلامي في سامبتو قرب مطار نادي على بعد ٣ أميال من المطار وذلك في ٢ فبراير ١٩٧٠م و يأمل كثير من الزعماء المسلمين في المنطقة أن يصير هذا المركز نواة لجامعة إسلامية لمنطقة جنوب المحيط الهاديء كلها ويمكن أن تتحقق أحلامهم اذا تم تنفيذ ما شرعوا فيه من المشاريع في هذا الصدد مع العلم بأن هذا المركز هو أول مركز إسلامي في المنطقة كلها بني للتعليم الإسلامي واللغة العربية دون التعليم العصري.

وقد تخرج أول فوج من طلابه في عام ١٤٠٢هـ دعاة وأئمة مساجد ومدرسين للدين اختير منهم ١٥ طالباً بمنح دراسية في المملكة العربية السعودية ليواصلوا دراستهم الدينية والعربية في كل من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض.

وفي الوقت الحاضر قررت إدارة المركز توسيع نشاطها وذلك بالحاق فوج من أبناء المسلمين يختار من نوميا وأستراليا وجزر فيجي يبلغ عددهم خمسين طالباً وكذلك عشرون من الأيتام وثلاثون من أبناء المسلمين الجدد.

مع العلم بأنه قد اعتنق الإسلام في الشهور القليلة الماضية قبل وصولنا فيجي عدد من المواطنين الفيجيين والهندوكيين من الجزر يبلغ عشرين فرداً أقاموا فترة في المركز للسكن والتعليم المجاني كما أن المركز يزودهم بقدر من العلوم الدينية والعربية ليكونوا أنموذجاً صالحاً في مستقبل حياتهم الاجتماعية والدينية.

مقاومة الرابطة للفرق الهدامة مثل القاديانية والبهائية

وجدير بالذكر أن رابطة مسلمي فيجي قد كافحت بجهودها المثمرة

لمقاومة الفرق الهدامة من القاديانية والبهائية وقد استدعت من باكستان عدداً من العلماء من إدارة ختم النبوة مثل الشيخ لال حسين اختر وغيره من العلماء ليفندوا دعاوي المتنبئي القادياني حتى قد استطاعت حصرهم ومحاصرة نشاطهم وجعله محدود الأثر.

الاحتياجات العامة والمشاريع ومستقبل المسلمين :

إن مستوى التعليم العصري لدى المسلمين ضعيف بالنسبة للآخرين نظراً لإمكاناتهم في مدارسهم ولكونهم لايقبلون على المدارس غير الإسلامية ويحتاجون بشكل عام إلى تحسين أوضاع مدارس الرابطة بتزويدها بلوازم عصرية والمساعدة على إنشاء مدارس مهنية.

وتفكر الرابطة أيضاً في إنشاء محلات تجارية وإنمائية في الأرض التي تملكها في (سوفا) العاصمة وتبلغ مساحتها ٥٥ فدانا تقع في قلب العاصمة وفي حالة تنفيذ مشاريعها كلها أو بعضها فإنها ستكون في حالة يمكن لها تقديم خدمة إسلامية أفضل وتسعي الرابطة لتنفيذ مشاريعها في الحصول على مساعدات خارجية من الدول الإسلامية وخاصة من المملكة العربية السعودية، والتكاليف المقدرة لمشاريعها كلها هي كالآتي:ـــ

التكلفة بالدولار	نوع المشروع	جهـــة
فيجي		
٢٢٠٠٠٠	مدرسة ثانوية للبنات مع قسم داخلي لها ومكتبة	سامبيتو
٢٢٠٠٠٠	مدرسة ثانوية للبنات مع قسم داخلي لها ومكتبة	بـــــا
١٠٠٠٠٠	توسيع المدرسة الثانوية للبنات العاملة حالياً في	لتوكا
١٥٠٠٠٠	دار وبنات المسلمات الجديدات من السكان الأصليين	
٧٠٠٠٠٠	مركز تجاري وشقق ومكاتب للايجار في العاصمة لتكون مورداً ثابتاً للرابطة	

١٠٠٠	مساكن مدرسين لاساتذة مركز التعليم الإسلامي	(سامبتو)
١١٠	مساكن للطالبة الوافدين والمحليين إلى المركز	(سامبتو)
٨٠٠٠٠	مساكن مدرسين	(ناندي)
٦٠٠٠٠	مدرسة ابتدائية عصرية تقام على ارض حصلتها الرابطة في (ناندي)	
٢٠٠٠٠٠	**مطبعة عربية وانجليزية لطبع كتيبات إسلامية ومقررات المدارس وإصدار مجلة إسلامية وجريدة يومية تعالج قضايا إسلامية وشؤن المسلمين علماً بأن جميع الجرائد التي تصدر في فيجي تملكها مؤسسات يهودية أو مسيحية أو هندوكية واذا اراد المسلمون نشر خبر أو مقالة عن شوئنهم فلا تنشرها تلك الجرائد إلا بمبالغ كبيرة ولهذا لابد للمسلمين من جريدة يومية تتحدث عن شئونهم إذا أراد المسلمون أن يعيشوا جماعة متحركة نشطة لها حقوقها وواجباتها بسماتها المميزة ورابطة فيجي تسعى جاهدة للحصول على مطبعة عصرية بقسميها العربي والإنكليزي وقد جمعت لها محلياً عشرين ألف دولار ولكن لتكلفتها الباهظة توقفت عن إنجاز المشروع.**	

الجمعيات الإسلامية الأخرى التي تعمل بمفردها :

توجد في فيجي جمعيات أخرى عددها ست جمعيات وجميعها مسجلة في الدوائر الرسمية ولكن أغلبها من ناحية العمل والنشاط الإسلامي ليست على المستوى المطلوب.

ومدارس المسلمين الإبتدائية والثانوية مستقلة ولكن أحوال تلك المدارس من الناحية الدينية والتعليمية ضعيفة والسبب الرئيسي لذلك قلة

المعلمين في مجال التعليم الإسلامي كما أن الحالة المادية لتلك المدارس ضعيفة ولذلك فإن كثيراً من طلبة المسلمين الذين يبلغ عددهم ١٧ ألف طالب وطالبة يذهبون إلى المدارس التبشيرية والهندوكية والقاديانية ولاينتظم في المدارس الإسلامية إلا ٦آلاف طالب فقط وذلك لأن المسلمين لايستطيعون جلب المدرسين الأكفاء على حسابهم الخاص بسبب التكاليف الباهظة التي لايمكنهم تغطيتها إلا بمساعدة من الدول الإسلامية وبهذه المساعدة يمكن لمسلمي فيجي تحسين مستوى مدارسهم إن شاء الله عز وجل.

الحزب الإسلامي السياسي :

كان رئيسه حفيظ راجا الذي توفي قبل عهد قريب واتباعه نحو ألف شخص وحزب راجا هذا يهتم بالمطالبة بحقوق المسلمين السياسية وكان يؤيد الحزب الحاكم وبموته مات حزبه أيضاً وبعد وفاته لم يقم واحد مقامه بإعادة نشاطات الحزب.

إلا أن رابطة مسلمي فيجي بدأت تطالب بحقوقها السياسية ومازالت المناقشات جارية في هذا الصدد حتى إن رئيس الوزراء ألقى خطبة في أحد اجتماعات الحزب الحاكم قال فيها: يجب على المسلمين الوقوف مع الحزب الحاكم، والظروف ملائمة بالنسبة للمسلمين والانتخابات العامة ستجرى في العام القادم والاحزاب السياسية منقسمة على نفسها والمسلمون هم القوة الحاسمة بين الأحزاب فالجانب الذي يؤيده المسلمون سيفوز في الأنتخابات ولذلك كل يحاول جر المسلمين إلى جانبه.

القاديانية والأحمدية :

في الأحصاءات أن في فيجي ٢٦٢٦ أحمدياً وقاديانياً ولكنهم يزعمون أن عددهم يصل إلى ٧٠٠٠ ألف وعلى كل فإن الفاديانية نشطة في حركاتها وتتلقى المساعدات المالية والمعنوية من الخارج وهي

أي القاديانية تسلك في نشر سمومها الطرق الآتية: أولاً يجندون الشباب والشابات من الداخل والخارج للعمل في الدوائر الرسمية والمدارس وفي أماكن حساسة مثل الأندية الرياضية والثقافية.

وللقاديانية والأحمدية في فيجي معبدان ومدرسة إبتدائية واحدة وأماكن أخرى غير نشطة.

البهائية :

نشأت فرقة البهائية في فيجي بتكوين جمعية على اسمها عام ١٩٥٨م وفي بداية الأمر انضم إليها ستة من الشباب المثقفين ومنهم مدرس واحد يدعى ادريس ثم ترك الرجل عمله في المدرسة وخصص جميع أوقاته لخدمة البهائية حتى اصبحت البهائية في الجزر قوية كثيرة النفوذ في الدوائر الرسمية ولها نشاطات كبيرة في القرى النائية.

ولها منشورات في شكل وريقات يوزعونها في الجامع والأندية الرياضية وتدعى رئيسة الفرقة السيدة مدام رباني وهي من أمريكا قد قامت بزيارة المنطقة في الشهر الماضي وقد اهتمت بها المجلات والصحف المحلية كثيراً ونشرت بعض المقالات عن البهائية وعما تقوم بها من خدمات إنسانية كما يزعمون.

الإرساليات التنصيرية :

أول بعثة تنصيرية وصلت فيجي كانت عام ١٨٣٠م وهي مؤلفة من رجلين من أهالي تاهيتي (TAHITI) يدعيان (CARGIL) و (CROSS) وهما من الجمعية التبشيرية اللندنية.

وتمركزا بداية أونيتا (ONEITA) وهناك استطاعا تحويل مجموعة صغيرة من السكان إلى المسيحية وبعد خمس سنوات جاءت إرسالية ويسلين(WESLEEN) التي كان في ضمنها مندوبان من طرف الملك جورج من مملكة تونقا TONQA .

وصلت هذه الإرسالية إلى بلدة ليكابا وهاتان البعثتان قامتا بترجمة انجيل متى إلى اللغة الفيجية وبعد طبع الإنجيل بمدة وجيزة بالمطبعة التي جلبتها بعثة ويسلين معها استطاعت البعثتان تحويل مجموعات من السكان إلى المسيحية وفي عام ١٨٣٨م جاءت بعثة أخرى تضم جون هنت وتوم هكر يحملان معها مطبعة أخرى وهناك قامت بتدريب شباب المنطقة على أعمال الطبع.

وفي بداية الأمر لم تكن الدعوة التنصيرية ناجحة وذلك لرفض رؤساء القبائل الدين الجديد وذلك أن الفيجيين وجدوا في الدين الجديد أشياء غريبة بعيدة عن اعتقاداتهم التي توارثوها عن الأباء وذلك بأنهم كانوا يؤمنون بإله واحد يرزقهم ويهديهم إذا انحازوا عن الطريق المستقيم وحينما اجبروا لقبول الدين الجديد وقبول التثليت كبديل لإله واحد ولم يكن هذا الأمر سهلاً لهم ولكن للمنصرين سفن حربية وجيش مسلح بأنواع من الأسلحة النارية وإذا خالفوا قول المبشرين فقد تمطر السماء عليهم بوابل من العقاب.

ومع هذا كله كان المؤيدون لدين الأباء غالبين على غيرهم ومرت سنوات وسنوات على هذا المنوال وفي النهاية اضطروا تحت تأثير المبشرين وتحت اغرائهم المادي وبشتى الطرق والوسائل للإذعان لهم وذلك بفضل ما كان يملكه المبشرون من إمكانيات مادية ومعنوية، فكان المبشرون يجلبون إليهم الأدوية والملابس ويفتحون لهم المدارس والمعاهد ودربوا منهم الأساتذة المهنيين وكل هذا كان يفيدهم في معركة الحياة ولهذا قد استجاب الجميع واستقرت الديانة المسيحية بين الوطنيين حتى أصبحوا كلهم من المسيحيين.

وبعد الاستقلال نشط التنصير بشكل لم يكن له مثيل في الأعوام

الماضية وبنيت الكنائس بأموال الوطنيين وبث الدعاة من بين المواطنين يحملون الأناجيل ويحثون إخوانهم على التمسك بالمسيحية.

وفي الآونة الأخيرة بدأ يجولون بين البيوت بدون تفريق بين الأديان وكذلك تجدهم في الأسواق والمجتمعات يدعون الناس إلى المسيحية ويقول المسلمون: إن هذه الظاهرة لم تكن مألوفة لهم إنما استحدثها دعاة النصرانية بعد مجييء الوفود الإسلامية والمبعوثين للدعوة من البلدان الإسلامية.

واليهود؟

واليهود في جزر فيجي لايوجدون بين السكان المقيمين وإنما يوجد يهود قدموا من استراليا ونيوزيلندا وأسهموا في الصحافة والتجارة وإن كان ذلك على قلة وبتأثير محدود.

ولا توجد سفارة لليهود في فيجي وإنما كلفوا سفارتهم في نيوزيلندا ملاحظة مصالح اليهود في هذه الجزر.

وعلى ذكر اليهود يصح أن يرد إلى الذهن ذكر العرب وعما إذا كان يوجد أحد منهم من المقيمين في فيجي؟ والجواب: أنهم لايوجدون هنا ماعدا بعض التجار الذين يسهمون مع شركات أجنبية في استغلال المشروعات الاقتصادية هنا وبعضهم من السعوديين ولكنهم لايأتون إلى البلاد إلا في زيارات خاطفة ولمدد محددة متباعدة وهذا عكس ما عليه الحال في (نيوكلدونيا) التي لا تبعد عن فيجي كثيراً وإن لم تكن مجاورة فها فهناك ألوف من العرب من المغرب العربي الكبير بسبب كون البلاد مستعمرة فرنسية وفرنسا كانت مسيطرة على المغرب العربي وسوف يأتي الحديث عنهم في الكلام على (نيوكلدونيا).

حالة المسلمين الاقتصادية :

يمكن اعتبار المسلمين في فيجي في حالة متوسطة قد تميل إلى أقل من المتوسط في بعض الأحيان وأكثرهم مزارعون في مزارع قصب السكر وغيرها وفيهم عمال وموظفون في الدولة.

ومنهم أناس وصلوا إلى مناصب عليا في الدولة مثل محمد رمضان وزير الصحة وهو الوزير المسلم الوحيد في حكومة فيجي المؤلفة من خمسة عشر وزيراً ومنهم مندوب سام أي برتبة أعلى من مرتبة السفير وهو الأخ (فايز محمد خان) المندوب السامي لفيجي في استراليا.

إضافة إلى ماتقدم ذكره عن الأخ (شيراني) رئيس رابطة مسلمي فيجي وانه عضو في مجلس الشيوخ.

و يقولون : إنه لا توجد في فيجي سفارة لدولة مسلمة ولاسفارة لدولة عربية ولذلك لايوجد تمثيل عربي في فيجي ماعدا كون السفير المصري في استراليا يعتبر سفيراً غير مقيم لمصر في فيجي.

هذا مع أن عدد السفارات الاجنبية في فيجي يبلغ عشراً.

و يقول زعماء المسلمين في فيجي: إنه لا توجد معاكسات من المسئولين والمواطنين للمسلمين بصفتهم مسلمين بمعنى أنه لا توجد قيود من الجميع أو حتى مجرد محاولة الحد من نشاط المسلمين الديني في البلاد.

و بالتالي فإنه لا توجد اضطرابات طائفية بين الهنادك والمسلمين في فيجي مثلما توجد في الهند نفسها.

ولذلك كان زعماء المسلمين يكررون لنا القول بأن المسلمين إنما أوتوا من عند أنفسهم بالتقصير في التعليم كما أوتوا من قلة الإمكانات المتاحة لهم إلى ذلك.

وقالوا : إن أصعب المذاهب مقاومة على المسلمين هي الحركات الضالة التي تظهر بمظهر الإسلامية وأهمها الفاديانية ثم البهائية لأنها تلبس الحق بالباطل وتسعى إلى إفساد عقائد المسلمين وتضليلهم.

أما الأديان الأخرى فإن المسلمين يعرفون أهلها و بذلك لايخشى عليهم من انجرافهم نحوها.

مستقبل الدعوة الإسلامية :

يقول إخواننا المسلمون في فيجي: إن مستقبل الدعوة الإسلامية في الجزر مشرق اذا قام المسلمون بواجب الدعوة وآزرهم إخوانهم ببعض الإمكانات غير المتوفرة لديهم مثل المساعدة على التعليم والقيام بجولات الدعوة إلى الله.

و يقولون : إن السكان الفيجيين الأصلاء يعتبرون الآن من الناحية الشكلية من المسيحيين غير أن أكثرهم لايعتقدون بالمسيحية ومن المعتقد أنهم سوف يسلمون إذا وجدوا الدعاة المخلصين الذين يتسمون بالحكمة والموعظة الحسنة ولكن لابد من توفير بعض الأشياء التى تلزم للمسلم الجديد مثل التعليم الإسلامي بمعنى الإرشاد إلى ماينبغي للمسلم أن يفعله، ومثل تقديم بعض الإعانات التي يستطيع بها المسلم الجديد أن يعيش فترة حتى يكيف نفسه للحياة في المجتمع الإسلامي و يقولون: إنهم لايعرفون الآن من المسلمين من أصل فيجي إلا عدداً لايزيد على مائة شخص وهذا قليل جداً ولكن بعضهم أخذوا برسم خطة لتربية أبناء الفيجيين الأصلاء في مدارس إسلامية مع كفاية معيشهم وإقامتهم والحصول لهم على منح دراسية لإكمال تعليمهم في البلدان الإسلامية كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

والحاصل أن مستقبل الدعوة هنا يعتمد على مايبذله المسلمون من

أهـل فـيـجـي ومـن خـارج فيجي **(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون).**

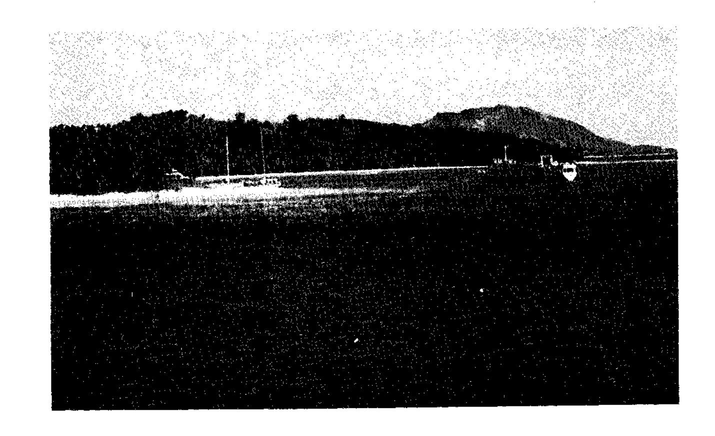
الموارد الاقتصادية :

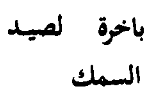
يعـتمد دخل فيجي على المحصولات الزراعية التي أهمها السكر وجوز الهند والأخشاب.

كما تـقـوم بـصـيـد الأسـمـاك وتـصـديـرها وهي صناعة ربما يكون لها مستقبل جيد.



صيد السمك بالسنارة في فيجي





باخرة لصيد السمك

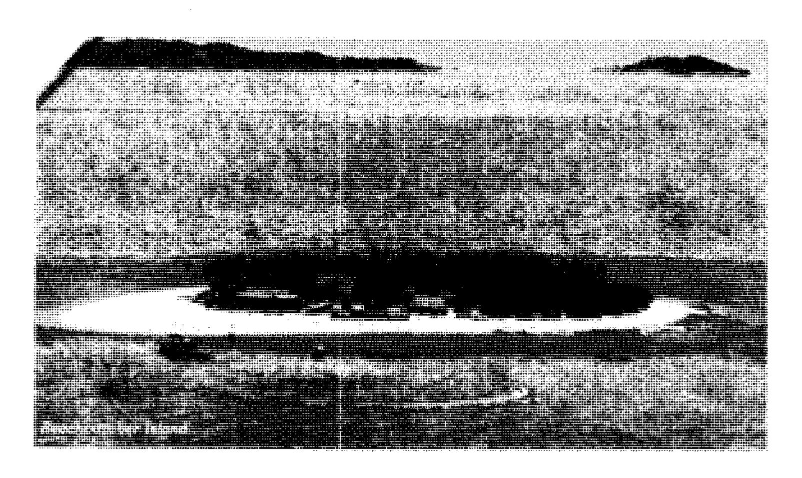
وتتيح فيجي بمياهها الكثيرة وقنواتها المفتوحة على المحيط وشاطئها ذى الرمال البيضاء بحافاتها الصخرية التي تحيط بها أشجار النخيل تتيح فرصة عظيمة لصيد الأسماك لاتتوفر في منطقة أخرى غيرها.

ولم يتم بعد اكتشاف واستغلال مصايد الأسماك في فيجي بمعرفة صيادي السمك البارعين من البلدان الأجنبية مثل اليابان ونيوزيلندا والولايات المتحدة حيث يتزايد اهتمام هؤلاء بالحصول على حق الصيد داخل المنطقة الاقتصادية في فيجي وطولها ٢٠٠ ميل، ولكن لم يتم القيام بمسح شامل لمياه فيجي، وإن كانت تتردد القصص المثيرة عن الأحجام الضخمة لبعض أنواع الاسماك التي أوزانها بين ٦٠٠ رطل، و١٨٠ رطلا.

ولاشك في أنه لو استعملت الطرق والوسائل التقنية الحديثة لصيد الأسماك في مياه فيجي لفاقت النتيجة كل التوقعات المتفائلة.

وتعتبر السياحة مورداً اقتصادياً مهماً لجزر فيجي فجوها دفيء بل حار في أكثر فصول السنة وشواطئها صالحة للسباحة طوال العام فيها.

وجزرها متنوعة مابين جزر مرجانية صغيرة إلى جزر مرجانية غضة



تحيط بها شواطيء رملية ذهبية اللون بالإضافة إلى جزر أخرى كبيرة ذات أنهار تتدفق بهدوء من الجبال بإتجاه البحر. و يقطن هذه الجزر شعب يعتبر من أكثر شعوب العالم ترحيبا بالغريب ومعرفة بمعاملته.

فيتي لافو :

تعتبر هذه الجزيرة أكبر جزيرة في المجموعة كلها وهي الجزيرة الرئيسية إذ يبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب خمسة وثمانين (٨٥) كيلو متراً ومن الشرق إلى الغرب مائة وخمسين (١٥٠) كيلو متراً وتقع المراكز السياحية الرئيسية مثل نادى وسوفا العاصمة والسواحل المرجانية على هذه الجزيرة أي «فيتى لافو».

سوڤا :

تقع سوفا عاصمة دولة فيجي على الساحل الشرقي من الجزيرة وتشتهر باسواقها زاهية الألوان وبمينائها البحرى، و يعتبر السفر على الطريق المحيط بفيتى لافو متعة للعين إذ يمر هذا الطريق عبر نباتات مختلفة وبالقرى الفيجية والخلجان الصغيرة المظللة بأشجار النارجيل ومختلف المنتجعات والفنادق.

الساحل المرجاني :

يمتد هذا الساحل على امتداد مائة (١٠٠) كيلو متر بمحاذاة الساحل الجنوبي لفيتي لافو وتوجد بهذا الساحل الجنوبي تشكيلة متنوعة من مرافق السكنى في دولة فيجي كلها. كما تتوافر في السوق الحرة المقامة في مدينة سيجاتوكا محلات تجارية متنوعة كما يوجد مركز ثقافي جديد وسوق مفتوح في «ديوبا».

فانوا لافو :

وهي ثانية الجزر في الحجم في المجموعة وتقع إلى الشمال الشرقي

من جزيرة «فيتي لافو» ومدنها الرئيسية هي «لاباسا» و«سافو سافو»..
والمكان المثالي لقضاء إجازة هادئة في جزيرة «فيتي لافو» ومنتجات
الجزر الصغيرة المجاورة أيضاً وقضاء وقت في الاسترخاء المريح.

ويأتي السياح إلى «فيجي» من نيوزيلندا التي هي تعتبر بلاداً باردة
طيلة العام كما يأتون من القارة الاسترالية التي يشتد البرد في نصفها
الجنوبي في فصل الشتاء حتى يفضل القادرون من سكانه أن يقضوا
إجازاتهم في بلاد دفيئة ذات شواطيء صالحة للسباحة فيذهبون إلى
فيجي التي يجدون فيها إلى جانب ذلك الفنادق الرخيصة والأسعار
المعتدلة والسلع المستوردة المعفاة من الرسوم.

اللغة :

اللغة الرسمية في فيجي هي الإنكليزية، وتستعمل في جميع المدارس
العالية واللغة الأوردية موجودة وكانت مستعملة بكثرة بين الهنود إلا أن
الجيل الجديد أخذ ينساها أو يتناساها حيث انقطعت الصلة التي كانت
قوية بين المتكلمين بها الذين هم من أصل هندي وبين الوطن الأصلي
في القارة الهندية. وقد حلت الانكليزية محلها.

كما أن اللغة الفيجية القديمة لا تزال موجودة ولكنها ضعيفة وآخذة
في الانقراض لعدم استطاعتها مواكبة التطور المدني والاصطلاحات
والآداب ولأنها لم تكن في الأصل لغة مكتوبة ذات ثقافة مدونة متميزة.

ومع أن اللغة الإنكليزية هي اللغة الرسمية في البلاد كما تقدم فإنه
يستحسن أن يحاول الزائر إتقان بعض الكلمات الفيجية الأصل لتسهيل
إيجاد الصداقات. وقد يفيد الزائر مثل هذه الكلمات البسيطة الآتية:

مرحبا = بولا.
شكرا = ڤيناكا
إلى اللقاء = موتيه.
صباح الخير = ساى أندرا.

اللغة العربية في فيجي :

قدمنا في اليوميات أن كثيراً من المساجد في فيجي قد كتبت عليها عبارات باللغة العربية فضلاً عن الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة.

ولكنه وصل إلى علمنا حديثاً ماعجبنا له وأعجبنا به ألا وهو كون حكومة فيجي قررت اعتبار اللغة العربية لغة ثانية رسمية لمن أراد من أهل فيجي وذلك أنهم يقررون أنه لابد من أن يتعلم الطالب لغة أجنبية فتقدم عدد من المسلمين إلى الحكومة طالبين أن تكون العربية إحدى اللغات المعترف بها لمن اراد دراستها فأجابت الحكومة بالموافقة وصدر القرار الرسمي بذلك إلا أن المشكلة هي عدم وجود العدد الكافي من المدرسين لتدريس اللغة العربية.

فقد تلقينا بعد مغادرتنا فيجي بفترة كتاباً من الأخ (السناتور) ش م شبراني رئيس رابطة مسلمي فيجي يقول فيه مانصه : لقد وافقت وزارة التربية بحكومة فيجي على إدخال اللغة العربية في مدارس فيجي، وبلاشك أنها فرصة طيبة لنا لتعليم القرآن الكريم للمسلمين وغير المسلمين ولكي نعد الترتيبات اللازمة لهذا العمل فإننا نحتاج بصورة عاجلة إلى مدرسين (عربي إنكليزي) وكتب منهجية والتفاصيل الضرورية للمنهج. وكذلك نخطط لنشر وطباعة الكتب الدراسية الرئيسية في فيجي ولذا نأمل أن تساعدونا في هذا الموضوع اهـ.

ولاشك أن هذه فرصة ثمينة للأمة العربية جمعاء وعليها ممثلة في إحدى المؤسسات العامة كالجامعة العربية أن تبادر بالاستجابة لهذا الطلب فتنتهز الفرصة لانتشار العربية أوعلى الأقل لتعليم العربية في هذه البلاد النائية لأن ذلك سيكون مقدمة لانتشار العربية والإسلام بشكل أوسع في المنطقة كلها كما يؤمل ذلك.

فهل يستجيب العرب لذلك؟ الله أعلم!

اللباس :

اللباس التقليدي القديم في (فيجي) أصبح قليل الظهور الآن وذلك أمر له مايبرره إذْ نصف السكان من الهنود الذين لايهمهم أمره وإنما يلبسون اللباس الإفرنجي في الغالب ولكنه المخفف بالنظر إلى الحروالرطوبة في بلادهم فقل أن ترى فيهم من يزيد لباسه على السروال المعتاد (البنطلون) والقميص الخفيف.

وأما السكان الأصليون فإن كثيراً من رجالهم قد أصبحوا يلبسون كذلك ماعدا قلة منهم حافظوا على شيء من اللباس القديم المتمثل في فوطة سميكة تلف على وسط الجسم وتنزل إلى قرب الركبة وتكون مشدودة جداً في بعض الأحيان وتبلغ سماكتها أن تجعلك تظن أنها من الجلد وبخاصة أنهم يجعلون أسفلها على هيئة المثلثات فيما يقرب من شكل الشرفات العربية على الحيطان وفوقها قميص معتاد قصير الكم وتحاول الحكومة الابقاء على شكل من هذا اللباس ابتغاء للطابع الغريب للجزر لذلك لايزال يرتديه بعض الموظفين في المطار ومحلات السياحة.

وأما النساء فإنه ليس لديهن لباس خاص بهن وإنما لباسهن قميص طويل تحته فوطة طويلة ليست مشدودة ولذلك يمكن القول بأن لباسهن

لباس محتشم أو على الأقل لباس لايهتم بالإغراء.

وبعض اللآتي تركن هذا اللباس الوطني يلبسن أثواباً كالأوربية إلا أنها طويلة مما ينسجم مع مظهر الاحتشام عندهن.

إلى «نيوكلدونيا»

أوباتش
كوماك
بواندیمیة
كون
هوايبلو
تيبو
بوراي
ياتي
نوميا
كوتو
اوفيا
شيبينيه
ج. ليفو
تاديتو
ج. ماره

خريطة نيوكلدونيا

يوم السبت ٢٠ جمادى الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣/٣/٥م.

من نادي إلى نوميا :

قامت طائرة الشركة الفرنسية المسماة (يوتا) اختصاراً وهي شركة عرفتها كثيراً في إفريقية الغربية من مطار (نادى) في فيجي قاصدة مدينة (نوميا) عاصمة (نيوكلدونيا) في الساعة الثانية والربع ظهراً وهي من طراز بوينج ٧٣٧ النفاث الصغير بالنسبة إلى طائرات بوينج الكبيرة وهو طراز ناجح في النقل للمسافات القصيرة والمتوسطة.

وكان أول مالاحظناه من الأمر الرسمي في الطائرة أن الإعلان فيها كان بالفرنسية أولاً وهو أمر لم نسمعه طيلة رحلتي التي بدأت من الفلبين وانتهت بأستراليا ونيوزيلندا وذلك أن (نيوكلدونيا) مستعمرة فرنسية وبعد الفرنسية أعلنوا ذلك بالإنكليزية متأنية غير سليمة المخارج وأعلنوا أن مدة الطيران ستكون ساعتين إلا خمس دقائق.

هذا ماكان من أمر لغة الإعلان في الطائرة وهو أمر ليس بذي أهمية وإنما الأهم منه مالاحظناه من الذوق الرفيع، والخدمة الجيدة، والطعام السخي الذي لم نلاحظه على طائرات المستعمرات الإنكليزية السابقة.

وشيء آخر مهم وهو أن ركاب الطائرة أكثرهم ذاهبون إلى (نيوكلدونيا) من مناطق أخرى ليس من بينها فيجي التي اعتقد أنه لم يركب في الطائرة منها معنا إلا أثنان أو ثلاثة. وإنما هم من مستعمرات فرنسية أخرى في جنوب المحيط الهاديء وأكثر من فيهم جماعة من أهل (تاهيتي) ومن بينهم طائفة كبيرة من الفتيات اللآتي عليهن مسحة من جمال غريب لم أره أصيلاً في غيرهن من أهل هذه المنطقة من المحيط

الهادىء التي يقل الجمال في أهلها وبخاصة منهم سكان المستعمرات الإنكليزية السابقة.

وقد يقول قائل: ما للاستعمار والجمال؟ وأجيبه بأن ذلك راجع إلى طبيعة المستعمرين فالإنكليز قلما يختلطون بالسكان الأصلاء من السود ومن في حكمهم ولذلك تجد عدد المهجنين المختلطين في مستعمراتهم قليلا جداً على حين أن الفرنسيين على العكس من ذلك إضافة إلى الذوق العام الذي يتلقاه الناس من الحكام وبخاصة منهم المتعلمين في المدارس والتربية العامة فالفرنسيون أرقى في هذا الموضوع من الإنكليز بكثير.

كما أن الفرنسيين أكثر إنسانية ـ إن صح التعبير من الإنكليز فهم أقل تعصبا للعنصر، وأقل عداء للمتعلمين من الشعوب الأخرى ولغتهم أرقى من اللغة الإنكليزية في ميدان الشعر والفن والثقافة القديمة وربما كان هذا هو السبب في استمرار الصلات الودية بين فرنسا وبين مستعمراتها بعد الاستقلال أكثر مما هو بين الإنكليز ومستعمراتهم السابقة على أن أهالي ناهيتي ليس السبب في جمالهم بالنسبة إلى أهل فيجي مجرد كونها مستعمرة فرنسية وإنما لموقع البلاد الجنوبي نسبيا دخل في ذلك.

وهؤلاء القادمون من (تاهيتي) التي هي مستعمرة فرنسية أيضاً رأيت عليهم شيئاً عجيباً لم أره على تلك الهيئة من قبل وهو أنهم قد تقلدوا قلائد من الزهور كثيرة واطواقا أخرى ثقيلة عجيبة من خيوط خفيفة من خيوط الزينة حتى رأيت فتاة تجاهد وهي تريد النهوض من مقعدها لكثرة ما أثقلها ذلك وقد كلمتها مداعباً بالإنكليزية أريد الاستفسار عن هذه الأطواق ومن الذين طوقهم بها ولكنها لم تفهمها وإنما كلمتني بالفرنسية التي لا أفهمها.

وأكثر الذين في الطائرة من الركاب يختلفون اختلافاً كبيراً عن أهالي فيجي فهم أكثر منهم جمالاً وأكثر وجاهة وفيهم عدد قليل من الأوروبيين الذين يبين عليهم أنهم ممن عاشوا في مناطق حارة رطبة ورجلاً وأسرته يظهر انهم من أصل جزائري فلم يتغيروا إلا بقليل من السمرة واذكر أن الرجل وطفله كانوا يكررون النظر التّي ربما كانوا مستغربين من دون أن أكلمهم لأنني لست من جيران المقعد.

أكل أكلا لمّاً :

ولكن كان جاري في المقعد جلفا من أجلاف المحيط الهاديء كثيف الروح غليظ الجسم قليل العلم والأدب ذلك أنه كان يضع ذراعه الغليظة الخشنة على ذراع المقعد فيحرمني من الإتكاء عليه ومقعدي كان بجانب الممر في وسط الطائرة لأنها كلها درجة سياحية وليس فيها أولى سألته عن بلده فقال: (أليس) ولم أفهم منه شيئا وهو لايعرف إلا كلمات من الإنكليزية قال إنه تعلمها لأنه عمل قليلاً في (هاواي) ولكنه لايستطيع استعمالها وكنت أود أن أسأله عن هذه الاطواق التي في عنقه هو أيضاً منها طوق غليظ وفي عنق صاحب له بجانبه كذلك. وكلاهما غليظ البدن يرتدي فوطة حمراء اللون قريبة الشبه من الفوط التي يلبسها أهالي فيجي إلا أنها أقصر قليلاً فهي تقف عند الركبة وقميص خشن قصير الكمين.

وعندما استوت الطائرة في الجو كان المضيفون فيها وهم فتاتان إحداهما يشبه لونها لون سكان جنوب الجزيرة العربية والأخرى كأنما هي إفريقية وماهما من إفريقية بقريب ولكنه الموقع الجغرافي لبعض جزائر المحيط الهاديء الإستوائية الذي يصبغ السكان بالسواد وشاب أصفر تبين فيا بعد أنه فيتنامي الأصل وهاجر أهله إلى (نيوكلدونيا) حينا كانت البلدان مستعمرتين فرنسيتين.

أخذ المضيفون يبدأون أولاً بتقديم الشراب البارد يسألون الركاب الذين امتلأت بهم مقاعد الطائرة كلها عما يلزمهم شربه كما تفعل الشركات الأخرى بركاب الدرجة الأولى مع أنه ليس في هذه الطائرة درجة أولى.

وكنت على غاية من الظمأ أتمنى أن أروى ماءاً بارداً لم أذقه منذ يومين لانقطاع الماء والكهرباء عن فيجي بسبب الإعصار أو (الهريكان) ومعناها الإعصار العظيم بالإنكليزية فقلت للمضيف إنني أشعر بالعطش وأرجو أن تعطيني ماءً بارداً بدلاً من الشراب إذا كان معكم ماء ليس من فيجي.

فقال : بكل تأكيد نحن لانحمل الماء من فيجي ولانثق بنظافته وسوف أحضر لك ماء معدنياً بارداً الآن فاطلب شرابك الآخر فقلت: إنه عصير البرتقال فاعطاني إياه، وأوقف عمله ليحضر لي كأساً من ماء معدني مختوم بارد لا أنسى لذته وتحققت من صحة المثل المضروب للذة الماء البارد على الظمأ كما قال الشاعر:

حديثك أشهى فاعلمي لو أناله   على القلب من برد الشراب على الظَّما

ثم أخذ المضيفون يضعون أمام الركاب موائد الغداء فيها مالذ وطاب وتنوع من المآكل وكل ذلك نظافته ظاهرة، ووفق ذوق رفيع.

وكانوا يسألون الراكب عن الخمر التي يفضلها مع الغداء فلما رفضت ذلك سألني جارى الهادئي نسبة إلى المحيط الهاديء والا فإنه ليس هادئا: لماذا لم آخذ الخمر؟ فاجبته بأنني مسلم ولايجوز للمسلم أن يشرب الخمر.

ولم يفهم ذلك وربما لم يكن قد سمع بالإسلام من قِبل أو لم يفهم

مني ذلك. ولذلك قال لي أأنت مريض؟ فقلت: لا. وذكرني هذا براكب كان جاري عندما ركبنا من (أوكلاند) في شمال نيوزيلندا إلى فيجي ولم يشرب الخمر فسألته: أراك عفت الخمر فهل أنت مسلم؟ فقال: لا ولكن في بطني مرضاً يمنعني منها فلماذا لا تشربها أنت كذلك؟ فأفهمته بأنني لست مريضاً ولله الحمد وإنما أنا مسلم وقد فهم مني ما أردت قوله لأنه يعرف الإنكليزية.

كنا قد تناولنا طعام الغداء في الثانية عشرة في بيت الأخ محمد أيوب في نادي ولذلك لم آكل من الطعام إلا شيئاً قليلاً. وتوقفت عن الأكل فرأيت جاري الذي يسمى نفسه (الأليس) نسبة إلى (أليس) وهم جنس من سكان المحيط الهادىء في منطقة الشمال من (تاهيتي) معروفون بالفرنسية بهذا الاسم فأخذت قطعة جبن مغلفة، وقلت له: أتريد هذه؟ ففرح بذلك فرحاً شديداً وأكلها بسرعة كما أتى على جميع الطعام الذي في مائدته بسرعة عجيبة وأخذ ينظر الي فاعطيته قطعة من الكعك اللين (الكيك) ملفوفة لم أمسها فازدردها ثم أخذ ينظر الي مائدتي فأعطيته كل مالم أمسه حتى الخبزة كاملة مع الزبدة فاكل كل ذلك ولم يكف عن النظر الي وكنت قد لمست الطبق الرئيسي الذي هو قطع من لحم البقر وبعض (المكرونة) فأشار إليها وقال تأكلها الا تريد أن تأكلها؟ فقلت: لا فتناولها بيده وكنس كل مافي المائدة إلى بطنه إضافة إلى مافي مائدته مع أن المائدة لايستطيع الرجل الذي في حالة معتادة أن يأكل مافيها كله لأنها وجبة سخية فيها اللحم والجبن ونوعان من الخبز والحلوى و(الكيك) والسلطة.

ولما وصلت إلى (نيوكلدونيا) وحدثت أصحابي بعد ذلك عن أمر هذا الرجل ضحكوا من ذلك وقالوا إن هؤلاء (الأليسين) مشهورون بكثرة الأكل ولهم في ذلك قصص عجيبة منها أن المرء منهم يأكل

ثلاث دجاجات وصحنا من الأرز في العشاء وأنهم في جزيرة نائية حتى روي أنهم سافروا مرة على سفينة فأكلوا مافيها من الطعام بسرعة ولما لم يجدوا مايأكلون بعد ذلك وهم في البحر أكلوا قائد السفينة بحيث لم يستطيعوا بعد ذلك أن يوجهوها إلى البر إلا بصعوبة وهي حكاية مشهورة.

وصرت في الطائرة أشعر بارتياح لم أشعر به منذ أيام لأن الجو فيها مكيف بارد والماء بارد نظيف وهذا أمر فقدناه في فيجي بسبب الإعصار.

في مطار نوميا :

لم أشاهد من الأرض عند تدني الطائرة إلاَّ جبالاً بعيدة عالية قد جللتها الأشجار الخضر وبقربها مياه لم أتبين أبحرية هي أم نهرية وذلك لأنني كنت في وسط الطائرة محاذياً للجهة التي تسترها جناحاها.

وقد حطت الطائرة في المطار في الساعة الرابعة والربع بتوقيت فيجي ويوافق ذلك الخامسة والربع بتوقيت نوميا المتأخر ساعة واحدة عن توقيت فيجي وعندما وصلنا إلى (نيوكلدونيا) لم نكن نشعر بأي خوف من جهة تأشيرة الدخول لأنني أحمل تأشيرة (دبلوماسية) من السفارة الفرنسية في جدة لدخول الأرض الفرنسية ولكن لم يذكر فيها اسم (نيوكلدونيا) وظننتها كافية كما كفت تأشيرة مثلها من قبل لدخول جزيرة فرنسية أخرى هي (رينيون) في البحر الزنجي المسمى بالمحيط الهندي ولكن تبين من كلام إخواننا في (نيوكلدونيا) فيما بعد أنه لابد من تأشيرة خاصة لهذه لأن لها أنظمة في الدخول خاصة.

ولهذا السبب دقق ضابط الجوازات في جوازي ثم ذهب إلى رئيسه فحضر معه وسألنا بلطف عن المدة التي سنقضيها هنا؟ فأخبرناه أنها

يومان نغادر بعدهما إلى (واناواتو) أو جزر (نيو هبر يدز) كما كانت تسمى من قبل فابتسم وختم على جواز ينا.

ولم ينس أن يتبعنا بعد ذلك ليطمئن على أن كل شيء على مايرام حسبما أظهره أو ليعرف إلى أين نذهب وكأنهم لم يروا سعوديين قبلنا.

ولكننا ذهبنا بعد الجمرك الذي لم يفتشنا إلى مكتب للاستعلامات عليه فتاة فرنسية طلبنا منها أن تعطينا عنوان فندق في وسط المدينة (نوميا) وأن يكون سعره متوسطاً لايزيد على أربعين دولاراً أمريكيا فاعطتنا ذلك مع الابتسامة.

وقالت لنا الفتاة : إن أجرة (التأكسي) غالية تكلف خمسة وعشرين دولاراً وأجرة الحافلة الصغيرة لا تكلف إلا سبعة دولارات فاخذنا الحافلة وقطعنا التذكرة من مكتب في خارج مبنى المطار صغير فطلب منا أن نصرف نقوداً فرنسية كنا نحملها وكنا ظننا انها هي العملة في هذه الجزر الفرنسية ولكن تبين أن لمنطقة المستعمرات الفرنسية في جنوب المحيط الهادىء عملة خاصة هي الفرنك الذى يسمونه (فرنك الباسفيك) كما أن للمستعمرات الفرنسية في غرب إفريقية فرنكا خاصاً اسمه (الفرنك الإفريقي) فصرفت الفرنكات الفرنسية كل واحد بعشرين من هذه الفرنكات (الباسيفيكية) وعلى هذا يكون الريال السعودي يساوي اربعين فرنكا منها وقبض المكتب ثمن تذكرة الحافلة إلى الفندق ألفي فرنك منها لكل شخص.

إلى مدينة نوميا :

كنا ننتظر أن تسير الحافلة وكنا نجيل البصر فيما حولنا من المنطقة التي تحيط بمبنى المطار فنجدها نظيفة جميلة فيها زهور ملونة منسقة افتقدنا رؤيتها في فيجي وكلها في ذوق جميل عجيب وظهر أن الذين عملوا في

هذا المطار الصغير لهذه المستعمرة الصغيرة لم يبالوا في سبيل الذوق وإضفاء الجمال عليها أن ينفقوا ما انفقوه من مال اللهم إلا إذا كانت موارد المستعمرة تسمح بذلك وقد تبين فيما بعد أن الأمرين كليهما صحيحان.

وقد شعرت براحة نفسية لهذا الأمر ولكون الجو أبرد بكثير منه في فيجي بل إن المرء ليعجب من الفروق الظاهرة في هذا الأمر مابين الجزيرتين مع أنهما لايبتعدان كثيراً في الموقع بالنسبة إلى خطوط العرض التي لها التأثير الكبير على الوضع الجغرافي بالنسبة إلى الحر والبرد.

سارت حافلة صغيرة نظيفة يقودها شاب أسود اللون سواداً غير حالك كأنما هو من السودانيين وما هو منهم وقد بدت منازل مقامة في ربى قريبة من المطار بيضاء الطلاء مسطحة السقوف وهذا أمر غريب بل من الغرابة بمكان لأن البلاد المطيرة تكون السقوف فيها في العادة مسنمة حتى تنزلق عنها مياه الأمطار ولا أدري سبب ذلك إلا أن يكون الذين بنوها وهم في الأغلب من المستعمرين الفرنسيين ومن كانوا يتبعونهم كالجزائريين أو غيرهم من العاملين القادمين من بلاد غير غزيرة الأمطار كاقطار البحر الأبيض المتوسط.

ثم صار الطريق يسير في ريف مهذب أقل كثافة في الخضرة الطبيعية من فيجي ولكنه أكثر عمارة بالزراعة وهو إلى ذلك خلاف السير في فيجي اذ السير هنا في جهة اليمين خلاف فيجي التي تأخذ السيارات فيها جهة اليسار وفقاً للطريقة الإنكليزية.

ومن المناظر الملفتة للنظر هنا منظر مروحة هوائية نظيفة تسحب مياه الشرب من هذه الأرض الريفية وتصب في خزان أبيض جميل لأن المنطقة خلوية ليس فيها بيوت متصلة، وارض حمراء اللون كالأرض الإستوائية المطيرة.

ثم أصبح الريف أرضاً عذراء ليس فيها زراعة وعلى يسار الطريق جبال عالية أظهر ما فيها أشجار من أشجار الغابات.

ثم اتسعت الأرض وتنحت الجبال وظهرت مزارع فيها الأبقار والمواشي ولكن بأعداد غير كبيرة ولاشاملة فتلك المزارع غير متصلة وقد علمت فيما بعد أنها كلها للمستعمرين الفرنسيين أومن يتبعونهم من البيض وليس للسكان الأصلاء الذين يسمونهم السود فيها شيء.

ومن الغريب أنه في هذا الطريق مابين المطار إلى المدينة وهو يبلغ سبعين إكيلو مترا تعدد لون الأرض وتبين فيما بعد ذلك أن ألوان الناس متعددة ربما مثل هذا التعدد في لون التربة أو أكثر.

ثم أخذ الطريق الجيد يسير محاذيا لساحل البحر وكنا نرى منه أخواراً أي خلجان متعددة تنهض منها تلال جبلية خضر.



شاطىء في نيوكلدونيا

ومررنا فوق جسرين على خليجين من تلك الخلجان ولا تزال المساحات خالية من العمارة والبيوت مما يدل على أن الجزيرة بل المستعمرة كلها (نيوكلدونيا) لا تعاني من ازدحام في السكان.

ومما يثير الإعجاب هنا كثرة اللوحات الارشادية على الطرق وماتفرع منها وهي تبين القرى والأماكن التي تتجه إليها أو الواقعة بالقرب منها واتجاهاتها وأبعادها بالكيلو مترات مما لم أر له مثيلا إلا في البلدان المتقدمة في ميدان المواصلات كالولايات المتحدة الأمريكية.

وقبل الدخول إلى المدينة بقليل وصلنا إلى ماذكرنا بالولايات المتحدة الامريكية وهو بوابات على الطريق تأخذ من السيارات الداخلة رسم الدخول إلى المدينة أو استعمال طريق المطار كما هو معمول به في أمريكا.

في مدينة نوميا :

سارت الحافلة تتبع في نظرنا لوحات إرشادية تقول بالفرنسية: إلى (سنتر فيل) اي: قلب المدينة. فدخلنا المدينة مع طريق على يمينه الميناء ويفضي إلى شوارع جيدة الزفلتة غير أنها ليست واسعة بالمفهوم الذي اصبحنا نعرف به الشوارع الواسعة في بلادنا.

ونزلنا في الفندق الذي حجزنا فيه واسمه لبيروس. من اسم قائد بحري فرنسي.

تمشية بعد العصر :

طاب الجو وكان طيبا منذ وصلنا هذه البلاد الجميلة بأهلها وتنسيقها وأكثر الأشياء فيها لاسيا بعد جو فيجي الحار الرطب الذي عدم في فنادقه التكييف والماء البارد لأن الكهرباء منقطعة.

و يكفي أن تعلم هنا أن الفندق ليس فيه مراوح ولا مكيفات هواء ومع ذلك لم نشعر في الغرفة بالحر فضلاً عن خارج الفندق الذي يطرد فيه الهواء.

وفي السير على الأقدام في بلد يحله المرء لأول مرة متعة مابعدها متعة لكثير من الناس وأنا منهم.

فكان أول انطباع كوناه أننا عندما خرجنا من فيجي ودخلنا إلى (نيوكلدونيا) كأنما انتقلنا إلى عالم آخر رغم قرب المسافة الجغرافية النسبية وتشابه الظروف الجو ية والمناخية.

فجزر فيجي الآن يقتصر الناس فيها على عنصر ين هما العنصر الفيجي الأصلي والعنصر الهندي المهاجر. أما هنا فإن الناس أجناس منهم الفرنسيون أو الأور بيون الذين أقاموا في المنطقة كثيراً فأصبحت ألوانهم لا تبعد عن ألواننا نحن العرب وإن كانت الصفرة في شعورهم تنم عن أصلهم الإفرنجي العر يق، وهؤلاء الإفرنج أو البيض لايوجد منهم أناس في فيجي من المقيمين إقامة دائمة أي من المواطنين الدائمين فيها أما هنا فإن عددهم كبير.

وهنالك الجنس الهجين الذي ولد مابين السكان الأصلاء الذين يسميهم الناس هنا بالسود وهم سود بالفعل و يصدق عليهم هذا الوصف ولكن سوادهم غير حالك و يعرف من مظاهرهم أنهم غيرإفر يقيين. وهؤلاء عددهم ليس قليلاً ولكنه أقل من عدد البيض.

وهنالك السكان الأصليون ممن يصح أن نسميهم بالجنس الهادئي لأنهم أولاً هم سكان جزائر المحيط الهاديء الأصلاء ولأنهم ثانياً هادئون بطبيعتهم ومسالون ربما أكثر من غيرهم من كثير ممن لونهم السواد.



مواطن من أهل نيوكلدونيا الأصلاء في لباس احتفالي تقليدي

و يرى المرء بعض النسوة السود فيكاد يخيل إليه أنهن من الفيجيات إلا أنه يرى اذا أمعن النظر فرقا واضحاً بين الفريقين رغم تاج الشعر الكثيف غير المجعد أو غير الطويل على رؤس الفريقين.

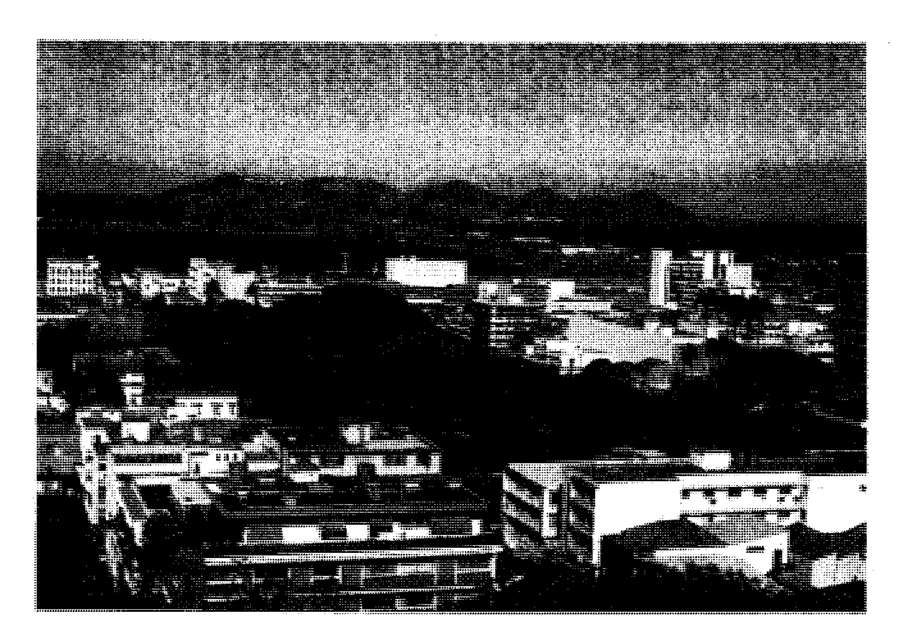
وإذا كان لابد من المقارنة وغالبا مايكون الأمر كذلك بالنسبة للغريب الذي تلتقط عينه بحكم غربته كل ماتقع عليه أكثر مماتفعل عين الذي ألفت عينه المناظر حتى أصبحت لاتلفت نظرها إذا كان الأمر كذلك فإن هؤلاء (الكلدونيات) ــ وهذا اسم أوروبي أجنبي ــ هن أكثر أناقة وصحة وأرشق أجساماً من الفيجيات.

بل في بعضهن طلاوة وعلى وجوههن ملاحة غريبة، ولايستطيع المرء اذا رآهن إلا أن يتذكر الإفريقيات الغربيات إذا كان مثلي قد زار تلك المنطقة وبخاصة منطقة مالي وشمال نيجيريا لولا الفارق الظاهر

في الشعر الذي يكون نزراً قصيراً جعداً في إفريقية وهو هنا قصير ولكنه ليس بذي القصر البالغ. أما الألوان فإنها هي أو قريبة منها إلا أن السواد الحالك قليل.

وسرنا في شوارع قلب المدينة التجاري الذي فيه فندقنا فكان أجمل مارأيته حديقة في قلب المدينة واسعة فيها أشجار من أشجار الظل الضخمة وحشائشها خضرة نضرة تتناثر فيها مقاعد خشبية صفر للجلوس كثيرة قد شغلها طائفة من الجالسين وفي أنحاء منها اناس يمارسون انواعاً من الرياضة بعضها شبيه بلعبة (الغولف) وهم رجال من الجنس الهاديء المشار إليه ليس على وجوههم ولا في اشكالهم أي شيء من وجاهة فضلاً عن النضارة التي لو وجدت لسترها اللون الداكن.

وأكثر مايميزهم شعورهم المنفوشة فوق رؤوسهم وغلظ ظاهر مع قصر نسبي في قاماتهم وهذه الحديقة الكبيرة التي تحل من وسط المدينة مكاناً



جانب من مدينة نوميا

متميزاً قد امتدت حتى صارت تصب فيها عدة شوارع خارجة من عدة اتجاهات فتقف عندها ولا تنفذ منها ولذلك لا تدخلها السيارات إلا ماكان من طريق مخصص لسيارات الأجرة في ركن واحد من اركانها فهي أشبه ماتكون بالحديقة والميدان غير أنه ليس فيها فراغ غير مشغول بأعشاب أو أشجار ورأيت طائفة من الناس مستلقين ومنبطحين فيها في جلسات استرخاء.

والذي عجبت له أن من نمر به من القوم ينظرون الينا مع أنه ليس في ألواننا ولا في أشكالنا مانظن أنه يلفت النظر في هذه البلاد التي يسكن فيها طائفة كبيرة من البيض ومن سكان حوض البحر الأبيض المتوسط الذين لسنا بالغرباء عنهم.

ولكن ربما كان مرجع ذلك إلى قلة الغرباء عندهم أو إلى طريقة السير وكثرة التطلع إلى مايراه القادم الغريب.

ولكن القوم على غاية من الأدب والتهذيب وهم أقل فضولاً من أهل فيجي الذين كثيراً ما يبادرونك فيسألونك عن بلدك وعن مصدرك وموردك وعن عملك ومقصدك ولقد رأيت ممن يسميهم الفرنسيون والإنكليز (الكريول) بمعنى المختلطين وهم الذين اختلطوا من أجناس شتى بينها الجنس الأسود فوجدتهم كما رأيتهم في جزائر البحر الزنجي أكثر وجاهة من الأجناس الأصلية النقية من السود وأكثر جمالاً منهم.

وبيوت المدينة تغلب عليها النظافة والوجاهة وحسن الطلاء والغريب أن أكثر سقوفها مسطحة مع أنها مطيرة كما سبق.

وفي أطراف هذا القلب التجاري من المدينة تكثر الحدائق والأماكن التي ليس فيها إلا حدائق أو اشجار كثرة ملفتة للنظر وهي ليست مجرد بقع خضراء أو مشجرة فقط كما هو عليه الحال في فيجي وأكثر

المستعمرات البريطانية التي لم يكن البريطانيون ينوون استيطانها والبقاء طويلاً فيها، وإنما هي حدائق منسقة ومعتنى بها على كثرتها وفي أكثرها أنواع من الزهور الجميلة المختلفة الألوان. مما يدل على أن القائمين عليها من ذوى الذوق الرفيع ومن أولى من الفرنسيين في حاسة الذوق الجميل؟

ولقد كدت أقول هنا ماقلته في بلاد قليلة جداً: إن هذه البلدة يصح أن يقال فيها إنها الحدائق فيها المدينة وليست المدينة فيها حدائق.

فالمساحات التي تشغلها الحدائق ربما تعادل عشرة أضعاف المساحات التي تشغلها البيوت. وطبيعي أن المحافظة على الحدائق هنا بل اتخاذها هو أيسر منه في بلادنا عشرات المرات لأن السقي هنا من السماء وإنما على البلدية والقائمين على أمر هذه الحدائق أن يرسموها و يغرسوها أو أن ينسقوها تنسيقاً إذا كان أصلها غابات أو أشجاراً طبيعية و يعتنون بها بعد ذلك العناية اللازمة التي ليس منها سقيها وإرواءها.

وقد وجدنا الشوارع التي في أطراف وسط المدينة واسعة معتنى بها عناية بالغة لايمكن أن تصل إلى بعضها شوارع فيجي مما جعلها تبدو كالمدن الكبيرة الغنية مع أنها ليست كبيرة.

كافي دوباري :

حتى في هذه المدينة البعيدة عن باريس التي هي في الواقع يمكن أن تكون أبعد مكان فوق الأرض عنها على الأطلاق بمعنى أنها إذا طلعت الشمس في أزمان الاعتدال على أحد المكانين كانت في نفس الوقت تغيب عن الآخر وجدنا مقهاة باريس أو (كافى دو باري) كما هو مكتوب عليها بالفرنسية.

وهي (مقهاة) نظيفة نظافة مقاهي باريس الكثيرة المتعددة إلا أنها

ليست واسعة كسعتها وروادها ليسوا كروادها وأكثر الرواد فيها هم من الفرنسيين المقيمين أو البيض الذين يعملون معهم وصادف أن رأينا منهم أعداداً من جنود البحرية الفرنسية.

وتقع في اسفل فندق اسمه فندق باريس في قلب هذه المدينة الفاخر إذا كنت فيه لاتحس فرقا من حيث المظهر والأبنية حتى بالنسبة إلى مجاري المياه التي تجري بالنفايات وأوراق الأشجار من المدينة إلى البحر والتي تكون أسفل الأرصفة ممايلي الشارع تحمل تلك النفايات إلى نهر السين هي هنا موجودة.

وشربنا شاياً في مقهاة باريس قيمته مائة وخمسون فرنكا ويساوي ذلك أكثر قليلاً من الدولار الواحد.

ليل نوميا :

اليوم هو السبت وليله الذي يسفر عن صباح الأحد هو ليل السهر في أكثر البلدان التي تحب اللهو أو تضطر إليه لتغرق في تلك الليلة أحزان الاسبوع كله، وماهي بمستطيعة ذلك إلا في الخيال.

ونحن الذين لم يكن لدينا عمل في هذه الليلة طاب لنا أن نسير في شوارع هذه المدينة التي نجهلها كما تجهلنا وما من أحد يعرفنا فيها ونحن لانبالي بأن يعرفنا أحد لأننا لن نفعل مانخفيه ولكن هكذا الواقع الذي حكيناه.

وجدنا في الجولة أن الحانات في المدينة كثيرة جداً ربما لا تبعد كثرتها فيها عن كثرتها في باريس وهي في هذه الليلة مفتوحة كما يكون الأمر فيها هناك.

كما أن المحلات التي لا تفتح إلاّ في الليل البهيم مفتوحة أيضاً ولكن روادها قليل.

وأذكر أننا وقفنا نتأمل لافتة محل منها لم ندر أنه كذلك فإذا برجل واقف على بابه يقول: هلما إلى الدخول فقلنا لاندخل حتى نعلم من باطنه ماتعلمه من ظاهره فقال: عليكم أن يدفع كل واحد ألف فرنك و يدخل ولايمكن الدخول بدون تذكرة فإذا دفع الشخص ودخل تكون تلك التذكرة ثمناً لكأسين من الشراب الذي يريد له ولصاحبته يختار من أنواع الشراب الموجود عندنا مايريد.

قلنا : وماذا يعمل الناس في الداخل؟ قال: يرقصون حتى يشبعوا رقصا وإذا اراد (السنقل) أي الوحيد ــ أن يتعرف إلى آخر وكان حظه حسناً وتصرفه متقنا كان له أن يجد من يؤنس وحشته و يزيل وحدته فقلنا له: الوحدة خير من جليس السؤ.

وتركناه غير آسفين وهو يظهر الأسف لذلك أيضاً فالقوم مؤدبون في تصرفاتهم وليسوا كالبائعين في البلاد المتخلفة الذين إذا لم تشتر منهم مايريدون فإنهم يعتبرونك كأنما حرمتهم من حق كان لهم عندك.

وتركنا ذلك المكان فمررنا بمكان كتب عليه بالفرنسية ماهو قريب من الإنكليزية (بريفت بار) اي: حانة خاصة فرآنا الرجل الواقف ببابها أيضاً يصد الداخلين الواغلين ــ والواغل في اللغة العربية الفصيحة هو المتطفل الذي يشارك القوم شرابهم دون أن يدفع شيئاً، فنادانا قائلاً: أتريدون أن تشتروا تذكرة إنها رخيصة إنها بخمسمائة فرنك وهو تخول حاملها أن يطلب لنفسه كأساً من الشراب الذي يريده وتركنا هذا كما تركنا ماكان قبله.

ولذ لنا السير في جو معتدل في شوارع هذه المدينة حتى أبعدنا عن موقع الفندق ورأينا جماعة من النساء ومعهن رجل واحد فسألنا عن موقع الفندق ثم تكلم أحدنا لصاحبه بالعربية فانبرت إحدى النساء تقول:

عرب عرب، أنا عرب مثلكم تقول ذلك بانكليزية ضعيفة.

فقلنا لها : أتعرفين العربية؟ فأجابت لا، أنا لا أعرفها مثل هذه التي معي أيضاً هي لاتعرف العربية ولا الإنكليزية وإنما تقتصر معرفتها على الفرنسية مع أنها من العرب.

ولم تكن إنكليزيتها تسعفها بالحديث الصعب ولكن سألتها عن السبب في وجودها مع صويحباتها ورجلهن هنا في هذا الليل؟ فأجابت بالإشارة مالم تستطع أن تقوله بالعبارة وهو أننا ننتظر سيارة ذاهبة إلى المحل البعيد الذي نسكن فيه ولم تستطيع أن تعرف معنى ذلك حتى تذكرت أنا الكلمة بالفرنسية وهي (لاقار) بمعنى المحطة فقالت: وي وي، لاقار، لاقار.

وتركناها وهي تتكلم مع صاحبتها مندهشة ولكن عينها وعيون صاحباتها لم تتركنا حتى غيبنا شارع من هذه الشوارع المضاءة.

وظهر أن هؤلاء النسوة هن من نسل العرب الذين هاجروا أو هجروا من الشمال الإفريقي إلى هذه الجزر (نيوكلدونيا) وكانت ثقافتهم العربية قليلة فولد أبناؤهم لايعرفون من العربية شيئاً ولايعرفون من الدين الإسلامي إلا أنه غير المسيحية التي يدين بها الفرنسيون.

والقوم هنا مؤدبون قليلو الفضول حتى السود الذين يفترض أنهم أقل ثقافة وأكثر فقراً وبالتالي أقل أخذاً بآداب المدنية الحديثة هم مؤدبون أيضاً وما رأيت احداً منهم ضايقنا في هذه الجولة على المدينة اللهم إلا ماكان من بعض السكارى الذين يحملهم سكرهم على ذلك ولكنك ما أن تتجاهل الواحد منهم وتصرف عنه نظرك حتى ينصرف عنك أو يتركك فلا يلحق بك.

ولذلك يشعر السائر هنا بالأمان أكثر مما يشعر به في أمكنة مماثلة من ديار أخرى في هذه الساعات من الليل أو هذا هو ماشعرنا به نحن.

وعندما عدنا إلى الفندق بعد هذه الجولة الليلية كانت امرأة فيتنامية في منتصف العمر هي التي كانت قد أسكتتنا هذا الظهر وحيدة في مكتب الاستقبال. وحدثتنا أنها فيتنامية مهاجرة منذ زمن إلى هذه البلاد، وأن عدد الفيتناميين فيها يبلغ عشرة الآف و بعضهم جاؤا إليها لاجئين بعد استيلاء الشيوعيين على بلادهم وقد رأيت منهم أمرأة تحمل طفلها بيديها وعليها مظاهر الفقر والمسكنة فلما وضعت نقداً صغيراً في يد الطفل فرحوا بذلك وأعظموه.

يوم الأحد ١٤٠٣/٥/٢١هـ ١٩٨٣/٣/٦م.

في المركز الإسلامي :

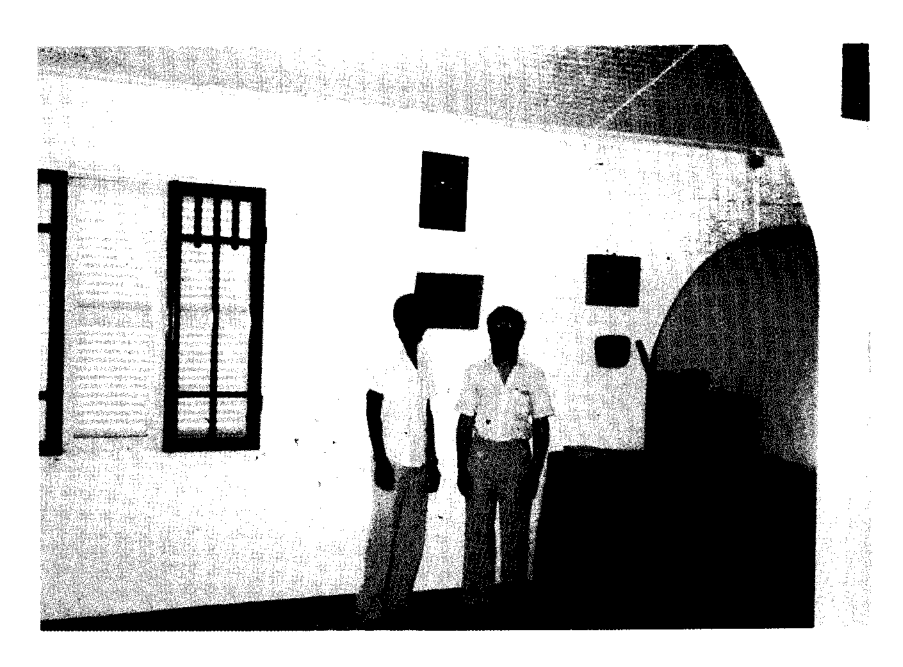
كنا نحمل معنا رقم هاتف رئيس الجمعية الإسلامية السابق الأخ (موسى بوخ) وهو صومالي الأصل ومن زعماء المسلمين المعروفين هنا إلا أننا عندما هتفنا ببيته هذا الصباح أجابت مجيبة من بيته لا تعرف إلا قليلاً من الإنكليزية: إنه مسافر إلى فيجي وكنا نحمل عنواناً للمسجد مكتوباً بالإنكليزية خشينا ألا يهتدى به السائقون فوقفنا عند باب فندقنا ننتظر سيارة أجرة أن تمر و بينا كنا نتحدث مر أحد الأشخاص فوقف ونظر إلينا، وقال: الإخوة عرب؟

فقلنا: نعم وأنت؟ فقال: أنا صومالي ــ وكان معه بني له صغير عمره في السابعة ــ جئت مع ابني في هذا الصباح لنتمشى لأن اليوم الأحد ولا عمل لي. فقلنا له اعرفت بوجودنا من قبل؟ فقال: لا ولم السؤال؟ فقلنا: لأننا كنا منذ فترة حائرين في كيفية الوصول إلى المركز الإسلامي في هذه المدينة ففرح بذلك وضحك، وقال: هيا للمركز ثم

سرنا إلى مكان وقوف سيارات الأجرة التي لا تؤخذ إلا من مواقفها أو تطلب بالهاتف.

وسارت سيارة الأجرة والأخ الصومالي يحدثنا عن نفسه بأن اسمه (محمد علي الخدشي) صومالي من جيبوتي و يعمل في البناء هاجر إلى هذه البلاد طلباً للرزق في عام ١٩٧٠م وهو يعرف العربية جيداً ونحن معه نفكر في هذه المصادفة العجيبة التي هي من التوفيق العاجل لأنها انقذت لنا وقتا ووفرت جهداً في البحث عن المسجد.

فاخترفت سيارة الأجرة طريقا في تلة جميلة المنظر خلف الفندق وسارت مع حي منسق البيوت إلا أن شوارعه غير متسعة حتى وصلنا المركز.



داخل مجد نوميا مع الأخ محمد على الخدشي

مع إمام المسجد :

قصد الأخ محمد علي الخدشي بيتاً صغيراً بجانب المسجد الذي أشار إليه وقال: هذا هو المسجد ولم نجد فيه مايميزه عن غيره من البيوت المجاورة لأنه بيت معتاد المظهر.

وقال الأخ وهو يطرق بيتاً صغيراً مجاوراً: هذا هو بيت الإمام ولم يكمل كلامه حتى خرج الإمام شاباً عربياً أسمر رحب بنا بعربية فصيحة وقال أنا اسمي محمد أحمد الخضراوي من تونس متخرج من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ومبعوث من رابطة العالم الإسلامي لإمامة المسجد وإرشاد المسلمين في نيوكلدونيا وقد وصلت إلى هذه البلاد قبل شهرين.

ثم دخلنا إلى غرفة الاستقبال في البيت الصغير الذي يحل فيه وهو تابع للمسجد وبه أخ صومالي كريم آخر اسمه (علي أحمد) من جيبوتي أيضاً ويعرف العربية جيداً وعمله الرسمي في بلدية نوميا وهو مثل زميله منضم إلى الجمعية الإسلامية فكان لنا معهم :

حديث عن المسجد :

يقع المسجد في حي اسمه (فالي دي كولوني) ومعناها وادي الاستعمار ويتألف من بيت حولوه إلى مسجد في الطابق الأعلى يتسع لخمسة وخمسين مصلياً وأسفله طابق أرضي فيه فصل واسع للدراسة ومرافق أخرى وأرض بجانبه غير واسعة في جانب منها هذا البيت الضيق وفي أرض المسجد أشجار نضرة من اشجار العمية (المانجو) التي طاب حملها وقد اكلنا منه.

ويريدون أن يبنوا مسجداً جديداً بقبة ومنارتين على هذه الأرض وأرض البيت الصغير الذي فيه الإمام وذكروا أن الذين يصلون الجمعة

هم مابين ٢٠ إلى ٢٥ وقال الإمام إن لديه فصلا يدرس فيه العربية يحضره حوالي خمسين طالباً ولكنهم لايجتمعون في الغالب في آن واحد كما أن له درساً يشرح فيه مبادىء الإسلام بالفرنسية لمن لايفهمون غيرها وقد اشتروا هذا المركز في عام ١٩٧٥م بثلاثة ملايين فرنك كلدوني فالأرض هنا غالية.



عند باب المركز الإسلامي في نوميا المؤلف على يمينه إمام المسجد الشيخ الخضراوى وعلى يساره الأخ الصومالي الخدشي وابنه

وقد هتف الإمام ببيت رئيس الجمعية الأخ (رضوان زينين) وهو من إندونيسيا وأغلب المسلمين في منطقة العاصمة هم من الاندونيسيين وكانت رئاسة الجمعية قبل ذلك في أيدي العرب مابين الجزائريين والصوماليين ومرة ترأسها عبده محمد راجح من اليمن وكان يعمل في فيتنام.

لم يجد رئيس الجمعية في بيته وقالوا إن اليوم هو الأحد وأنه وبعض

الإخوة تكون لديهم برامج للتوعية الإسلامية في مثل هذا اليوم على قدر معرفتهم المحدودة بالدين.

وبعد شرب الشاي وحديث متشعب عن أوضاع المسلمين في هذه البلاد ذهبنا مشيا مع الأخ محمد علي الخدشي إلى بيت الأخ (عبده محمد راجح)، وذلك أنه يوجد معنا طلب موقع منه بصفته رئيساً للجمعية الإسلامية في العام الماضي يتضمن بعض الطلبات فأحببنا التعرف عليه وسؤاله عن بعض مافي الكتاب.

وهو تاجر يماني ناجح التجارة كما اخبرونا عنه. فوجدنا بيته على شارع عام ذا مظهر جيد وواسع فيه شقق منفصلة مؤجرة يسكن هو وأهله في جزء منه وزوجته فيتنامية أسلمت على يديه فأخبرنا أهله بمكان وجودنا وطلبنا أن نراه في الثانية عشرة ظهراً.

اجتماع مع بعض كبار المسلمين في الفندق :

حضر إلى فندقنا في الساعة الثانية عشرة ظهراً الأخ عيده محمد راجح رئيس الجمعية الإسلامية سابقا ومعه الإمام إمام المسجد الشيخ محمد أحمد الخضراوي. ثم حضر الأخ محمد صلاح الدين أبو الليل وهو جزائري قبائلي إن صحت صيغة النسبة ــ أي من جبال القبائل التي يسكنها البربر وجنسيته فرنسية وهو الآن ضابط متقاعد وكان قد وصل إلى رتبة ميجور. وله ولدان يقيمان في فرنسا مع والدتها للدراسة وهو محب للدين الإسلامي غيور عليه يحب العربية الفصحى ويحفظ منها نصوصاً جيدة إلا أنه أخذ يعتذر عن لغته العامية بأنها ليست واضحة وإنما هي العامية الجزائرية وقد رأس الجمعية الإسلامية أكثر من غيره ويعمل الآن أميناً للصندوق فيها محتسبا الأجر والثواب لذلك من الله سبحانه وتعالى.

العرب في نيوكلدونيا :

كان هناك حديث مفيد عن العرب في هذه البلاد كما كان في المسجد ولكن الذين نتحدث إليهم الآن هم من القياديين في الجمعية الإسلامية ومن العارفين بذلك.

قالوا فيما قالوه : إن العرب هنا يبلغ عددهم مابين إثنى عشر الفاً وثلاثة عشر الفا وقال بعضهم: الصحيح أنهم أبناء العرب فسألناهم عن الفرق عندهم بين اللفظين؟ فأجابوا: إن هؤلاء الأبناء لايعرفون العربية ولايعرفون من الإسلام إلا أنهم غير مسيحيين وأن لهم مدفنا عبر عنه الأخ الجزائري بقوله جَبّانة وهذه كلمة عربية مستعملة في القديم، وقال الأخ اليماني يوضح ذلك يريد: مجنة وهذه كلمة مستعملة في جنوب الجزيرة العربية وشرق إفريقية وقلت أوضح الأمر للزميل الشيخ محمد بن قعود إن المراد مقبرة.

وهذه المقبرة ليس عليها صليب كما يكون على مقابر النصارى وإنما عليها شعار المسلمين الهلال والنجمة في وسطه وبعض الإخوة سماهم العرب الضائعين وهذا تعبير صحيح ولكن آخرين سموهم المتفرنسين ذلك بأنهم يعيشون كما يعيش الفرنسيون ويختلطون بهم في الزواج وغيره.

وأكثرهم يسكنون في بلدة بعيدة عن العاصمة (نوميا) اسمها (بوراي) على مسافة مائة وخمسة وثمانين كيلو متراً وهذا بعد كبير بالنسبة إلى هذه الجزيرة.

ورئيس بلدية بوراي هذه عربي اسمه (العيفه طيب) فقلت: مالم يفهموه وهو أن العيفه في لغتنا العامية لاتجتمع مع الطيب.

ولهم جمعية اسمها (جمعية العرب وأصدقائهم) نصف اعضائها تقريبا من أبناء المسلمين ونصفهم من الكاثوليكيين وبعض هؤلاء كانوا قد

ضاعوا فأصبحوا نصارى من حيث لايشعرون، لأنهم تربوا في المدارس النصرانية وهم صغار فلم يسمعوا بغير النصرانية ولم يتربوا على غيرها. وعندما كبروا كان الذين يحتكون بهم ممن لايزالون يحملون اسماء المسلمين ليسوا على بصيرة بالدين فلم يستطيعوا أن يرشدوهم إلى كيفية العودة إلى الدين.

ولذلك كان أهم ماطلبه الأخ صلاح الدين أبو الليل أن يخصص لهم معلم من أبناء العرب يعرف الفرنسية يظل في بوراي موطنهم يعلمهم و يرشدهم و يبصرهم بما ينبغي أن يكون عليه المسلم و يساعدهم على الرجوع إلى الإسلام.

و يقول الإخوة هنا إن العرب معروفون في هذه الجزر ولكن المسلمين غير معروفين إلا لخاصة الناس بمعنى أن كلمة (عربي) لا تدل على مسلم رغم كون جميع العرب الذين وصلوا إليها هم من المسلمين غير أنهم لم يكونوا متمسكين بالدين والإدارة الفرنسية لا تقسم الناس على أساس أديانهم بل على أساس أصلهم إذا احتاجت إلى بيان ذلك.

كيف جاؤا إلى نيوكلدونيا؟

و يأتي السؤال الملح عن الكيفية التي جاء بها هؤلاء الإخوة من العرب إلى (نيوكلدونيا) هذه البعيدة النائية في قلب المحيط الهاديء الجنوبي.

والجواب كما علمنا من كثير من العارفين من أهل البلاد أن الفرنسيين في عهد الهوس الاستعماري وعندما كان القطر الجزائري في أيديهم كانوا يتخذون من (نيوكلدونيا) منفى للوطنيين مثلما كان الإنكليز قد أتخذوا من استراليا منفى للمجرمين فكانوا يجعلونهم يقضون المدة التي قدروها لهم في المنفى فمنهم من يكون نفيه مؤكدا كالحكم بالسجن المؤبد

ومنهم من يقضي مدة و يعود ولكن الفرنسيين كانوا ير يدون لهذه الجز يرة ما اراد الإنكليز لاستراليا أن تعمر أيضاً حتى يحصلوا على خيراتها فكانوا يغرون العرب بإقطاعهم أراضي زراعية يعمرونها و يستغلونها فكان هذا أيضاً مما يغري بالبقاء فيها.

وطبيعي أن يبقى عدد منهم فكانوا من أوائل العرب الذين يوجد أبناؤهم في (نيوكلدونيا) في الوقت الحاضر.

قالوا : وكان ابتداء وصول العرب إلى هذه الجز يرة في العقد الثامن من القرن الثامن عشر ثم كانت بعد ذلك طائفة من العرب من شمال إفر يقية من الجزائر يين والمغاربة والتونسيين يأتون إلى هذه البلاد للعمل مثلما كانوا يذهبون إلى مستعمرات فرنسية أخرى للعمل ومثلما كانوا يذهبون إلى فرنسا ذاتها لهذا الغرض وقد بقى هؤلاء كما بقي الأولون واصبح أكثرهم من ملاك الأراضي ولهم مزارع كبيرة في المنطقة وهؤلاء لايزالون ولايزال أولادهم هنا.

غداء فيتنامي :

قال الأخ عبده محمد راجح : إن الغداء جاهز الآن في البيت فهيا بنا إليه وكان حضر إلى الفندق أيضاً أخ صومالي ثالث اسمه (محمد جامع حسن) وهو صاحب حافلة صغيرة وهو أيضاً مثل صاحبيه الصوماليين نشيط في العمل الإسلامي و يعرف العربية كالعرب ولما بينت لهم عجبي من وجود ثلاثة إخوة صوماليين حول المسجد والجمعية وسألتهم عن عدد الصوماليين في هذه الجزر؟ أجابوا بأنهم لايز يدون الآن على عشرة رجال وكانوا قبل ذلك أكثر من هذا العدد غير أن بعضهم عادوا.

وقلت : إذا نكون قد قابلنا بالمصادفة عند باب فندقنا عشر

الصوماليين وهو الأخ محمد الخدشي! وهذا مما يجعل المصادفة أكثر غرابة.

وتوقعنا أن يكون غداء الأخ عبده راجح غداء عربياً يمانيا ولكننا وجدناه طعاماً غريباً فيتنامياً لأن التي صنعته وأشرفت على صنعه هي زوجته الفيتنامية التي التقى بها عندما كان يعمل في فيتنام قبل أن تسقط في أيدي الشيوعيين فدعاها إلى الإسلام فاسلمت وتزوجها.

وقال الأخ عبده راجح: إنني هنا بخير ولي املاك هنا ومع ذلك فإنني أفكر بالعودة إلى اليمن ويكفيني غربة زادت على عشرين سنة.

فسألته عن أملاكه من الحوانيت والبيوت؟ فقال: أدعها لمن يكريها لي وانتفع بذلك في بلادي.

لقد انضم إلى مائدة الغداء عدد آخر من الإخوة العرب المسلمين منهم الأخ الحصيف (عبد القادر الاريبى) اي العربي من الجزائر أيضاً هاجر إلى هذه البلاد منذ سنوات قليلة من باريس حيث يعمل ويقول إن العمل التجاري في هذه البلاد الآن ليس كما كان عليه في الماضى كما حضر رجل يمان مسنٍ آخر قال الأخ عبده راجح إنني وهذا الرجل الذي يعمل عندي نؤلف وحدنا الجماعة اليمانية في هذه البلاد فإذا عدنا إلى بلادنا انقطع النسل اليماني منها ولكننا لن نأسف على ذلك.

كانت مائدة الأخ محمد راجح جيدة لذيذة الطعام لأن الفيتناميين يعتنون بمذاق الطعام وإن لم يكونوا كالصينيين الذين لا اعرف في العالم أكثر عناية منهم بمذاق الطعام ولكنها حلال بلال ولله الحمد وليست كطعام الصينيين الوثنيين ومن ألذ مافيها شيء قليل من السمك ودجاج مسمن مذبوح في البيت.

ومن الطريف هنا أن نذكر أنه بينما كان الأخ عبده راجح لدينا في

الفندق و يدعونا للغداء رن جرس الهاتف فإذا المتكلم فتاة تتكلم الإنكليزية جيداً قالت: أنا أبنة الحاج موسى بوخ وهو مسافر سألتم عنه البارحة وسوف نرسل لكم غداء في الفندق من طعامنا فشكرنا لها ذلك وقلنا: لقد دعينا من قبل و يذكر أنها قالت: إن أباها صومالي وأمها عربية ولكنها لا تتحدث العربية.

جولة في ضواحي نوميا :

اسمها على اختصاره مأخوذ من اسم قبيلتين من القبائل المحلية في هذه الجزيرة وهما قبيلة (نو) وقبيلة (ما) فكأن هذه التسمية علامة على الإتحاد بين القبيلتين أو فأل لذلك غير أنهما من حيث لا يريدان اتحدتا مع غيرهما من القبائل الوطنية في الخضوع للاستعمار الفرنسي.

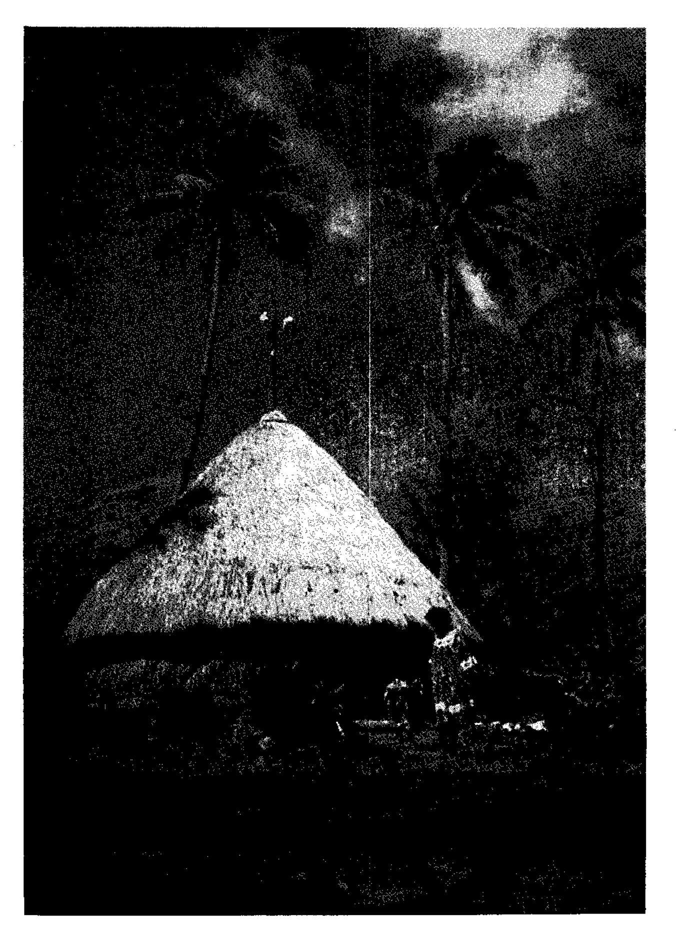
و يبلغ عدد الأهالي من الوطنيين (الهادئين) نسبة إلى المحيط الهادىء ستين ألفاً من مجموع عدد السكان البالغ مائة وخمسين الفاً. و يعرفون بالسود أو بتعبير الأخ محمد صلاح أبو الليل بالكحل جمع أكحل لأن اللهجة الجزائرية والمغربية تسمى الأسود أكحل وهذا تعبير صحيح في اللغة العربية حتى إنك إذا دخلت مقهاة في تلك البلاد وطلبت شاياً احضروه لك أخضر إلا إذا قلت شاي (اكحل) فإنهم يأتون به الشاي الأسود الذي نعرفه.

والسبب في تسميتهم بالسود أنهم سود بالفعل وإن لم يبلغوا حد السواد الحالك كما أن لهم اشكالاً خاصة بهم لايشاركهم فيها أحد من الوافدين وماعلمت لها مثيلا في أي منطقة من العالم.

والمراد بذلك أنني لا أعلم أشكالاً مطابقة لها تماما وإلاّ فالشبه البعيد العام قد يكون موجوداً في أماكن أخرى بين شعوب متباعدة.

غير أن معيشتهم في هذه الجزر الصغيرة في وسط الخضم من مياه

المحيط الأعظم ازمانا متواصلة قد أكسبتهم هذه الصفات المتميزة حتى جاء من القارة الاوروبية البعيدة من كسر عزلتهم وكدر وحدتهم بل اعتبرهم مع جزرهم غنيمة باردة له من الغنائم واعتبرهم مع بلادهم ملكاً من ممتلكات شعبه في الوقت الذي كانوا فيه يحررون الرقيق المنفرد.



بيت تقليدى أصيل من بيوت المواطنين الأصلاء في نيوكلدونيا وهو يشبه البيوت الإفريقية.

وقد ساعد الأوروبيين على الاحتفاظ بهذه الجزر قلة سكانها النسبي وبعدهم عن الجذور التي ينتمون إليها أو عدم تلك الجذور أصلاً وشيء من الهدوء الطبيعي في طبيعتهم جعلهم يستسلمون للأمر الواقع ولايحاولون المقاومة.

وربما أنهم لو حاولوا المقاومة المستمرة لما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً لأنهم وراء أسوار من أسوار المحيط التي يملك المستعمرون دونهم اسباب اختراقها، والنفاذ منها.

وفي السكان البيض من الفرنسيين والأوروبيين، والعرب معدودون منهم وفيهم قلة من الصفر وهم الفيتناميون وقلة من الصينين وفيهم السود الذين هم السكان الأصليون وإخوان لهم من سكان جزر أخرى في المحيط العظيم لايكادون يختلفون عنهم في المظهر إلا كما يختلف العربي الشمالي مع الايراني والتركي إلا في شيء واحد عجيب وهو كثرة اللغات فالوطنيون يتكلمون في هذه الجزر خمساً وخمسين لغة وهذا أمر ليس فيه من المبالغة شيء لأن كل جزيرة لها لغتها الخاصة وبعض الجزر الكبيرة تكون لكل قبيلة ساكنة فيها لغة خاصة لاتعرفها القبائل الأخرى التي تساكنها في الجزيرة لأنها كانت تعيش منفردة منعزلة عنها.

فالقوم في هذه الجزر (نيوكلدونيا) وماشابهها من الجزر الأخرى في جنوب المحيط الهاديء ينافسون الإفريقيين والهنود الأمريكيين في كثرة اللغات وربما يغلبونهم كما قد يأتي الكلام على ذلك في (جزر هبريدز) و(جزر سلمون).

إلى حديقة الأسماك :

قال لي إخواننا : إن الاكواريوم هنا جيدجداً وقال بعضهم: إنه لايوجد له مثيل في العالم من حيث الجودة لامن حيث الكبر فهو ليس بالكبير. فسألناهم عن الاكواريوم هذا ماذا يكون؟

فأجابوا : أنه مكان السمك وكان مجرد ذلك وبخاصة كونه من سمك المحيط الهاديء البعيد عن بلادنا امراً يستحق الاهتمام فقلنا: إلى الاكواريوم!



قارب صيد للوطنيين الأصلاء في شاطىء نيوكلدونيا

ركبنا في موكب من سيارات الإخوة الكرام تتقدمه سيارة الأخ الكريم الميجور صلاح الدين بالليلي أو ابو الليل و يقودها بنفسه رغم كونه في الستين و يعاني من بعض المرض و يتبادر إلى الذهن في هذه الحالة السؤال عن العناية بالرجل من المرأة والأولاد فقال إن زوجني مع ولديّ في باريس لأنهم يحتاجون إليها وقد تركوني وحيداً في البيت فالزوجة ألمانية إلا أن الله تعالى لم يتركني فقد كنت أبحث عن خادمة فوجدتها امراة سوداء مات عنها زوجها وترك لها ستة أولاد فصارت تخدمني وصرت أطعم اولادها اتصدق عليهم حتى هداها الله إلى الإسلام وأرجو أن يتبعها أولادها اذا عقلوا فيكون لي ثواب هداية هذه الأسرة من المواطنين.

كان الأخ صلاح الدين يحدثني حديث الخبير بهذه البلاد (نيوكلدونيا) والمنطقة كلها وهو حديث استفدت منه لأن الأخ عاقل

وحصيف وحديثه يتسم بالواقعية وعدم المبالغة.

بدأت الجولة في الثالثة والثلث بعد الظهر فمررنا بضاحية على شاطيء بحري رملي يسبح فوقه الناس أفواجا لايستتر بعضهم من بعض كما يكون في البلاد الأوروبية ومن قلد أهلها. وذلك أن اليوم هو يوم الأحد العطلة الاسبوعية.

ووجدنا أفواجاً من الناس في هذا المكان الذي يصح أن يسمى بمدينة الأسماك مع أن رسم الدخول (١٥٠) فرنكاً و يساوي ذلك دولاراً للشخص الواحد وهو مبلغ كبير.

و بعد اجتياز بوابة الدخول يرى المرء أنواعاً متنوعة من الأسماك الملونة موضوعة في رفوف لها واجهات زجاجية بداخلها الاسماك تسبح في مياه ذات تنفس اصطناعي وفيها من أنواع الاسماك الملونة مالا يخطر ببالك بل يعجب المرء من وجود هذه الألوان التي ربما يصح أن يسمى بعضها ألوانا جديدة لم نشاهدها من قبل فما بالك إذا رأيتها تتحرك وتحيا حياة معتادة؟ حتى الألوان المألوفة كالاصفر والازرق تراها في هذه الأسماك في تناسق عجيب غريب لا تملك معه إلا أن تتلو الآية الكريمة **(فتبارك الله أحسن الخالقين).**

وهناك حوض معتاد فيه أنواع من السلاحف البحرية ليس فيها جديد بالنسبة الينا وإنما الجديد في احواض أخرى ذات جوانب زجاجية كبيرة تشاهد منها الأسماك وكأنها في قاع البحر وهي ما بين الكبير والصغير وقد سلطوا عليها اضواء اصطناعية مناسبة لذلك.

ولكنها وإخواننا المتفرجون يعظمون شأنها ليست اعظم شأناً من مكان قريب من صنعتها رأيته في حديقة الأسماك في مدينة (دربن) في جنوب إفريقية لأنهم لم يكونوا قد رأوه كما قد رأيته. وهنا اقفاص

زجاجية قليلة لأنواع السرطانات البحرية منها يسمى (ابو جلمبو) وما يسمى في الحجاز (أبو مقص) ومنها غيره.

ثم هناك انواع صغيرة من السمك معجبة مطربة في ألوانها وأشكالها وأحجامها وتصرفاتها كواحدة تدخل في قوقعة من الجير ربما لكي تحمي نفسها من السمك الكبير لئلا يأكلها وذلك بحكم العادة وإن لم يكن معها في القفص سمك كبير ولاصغير.

ولكن الشيء العجيب الغريب الذي لم أر له مثيلاً في العالم هو ركن خاص من هذه الحديقة لقاع المحيط الهاديء العميق البعيد عن السطح بحيث أنه لايصله نور الشمس وذلك في حجرة معتمة أضاءوها من الداخل إضاءة خافتة لا تكاد تبصر فيها قدمك وذلك حتى تتصور قاع المحيط المظلم الذي لايصله نور الشمس ووضعوا في هذا الركن الأشياء التي تكون في قاع البحر كالأصداف والأحجار ومخلوقات بحرية أخرى من التي تعيش في الأعماق وهي من نفسها تشع اضواءاً باهرة غريبة لا تستطيع أن تشبهها بأي ضوء آخر وربما كانت الحكمة من خلقها كذلك ان يستدل بعضها على بعض بدلاً من الإستدلال بالنظر الذي لايفيد في الأحوال المعتادة إلا في الضوء.

والحاصل أنني سبحت الله تعالى وكبرته حينما رأيت هذا المكان العجيب وقد زادوا من تمثيل قاع المحيط المظلم بأن كتموا الاصوات عن المكان حتى غدا هادئاً جدا وغدا ليس فيه إلا هذه الاضواء الغريبة المنبعثة من هذه المخلوقات من الأحياء والجماد في ذلك القاع السحيق الذي هو عالم آخر مخالف للعالم الأرضي وإن كان في الأرض كما أن عالم الفضاء الذي اكتشفه الإنسان بنفسه منذ عهد قريب عالم آخر مخالف للعالم الأرضي سواء من حيث انعدام الوزن أو من حيث رؤية السموات والأرض منه رؤية مخالفة لرؤيتها من الأرض حيث يؤثر

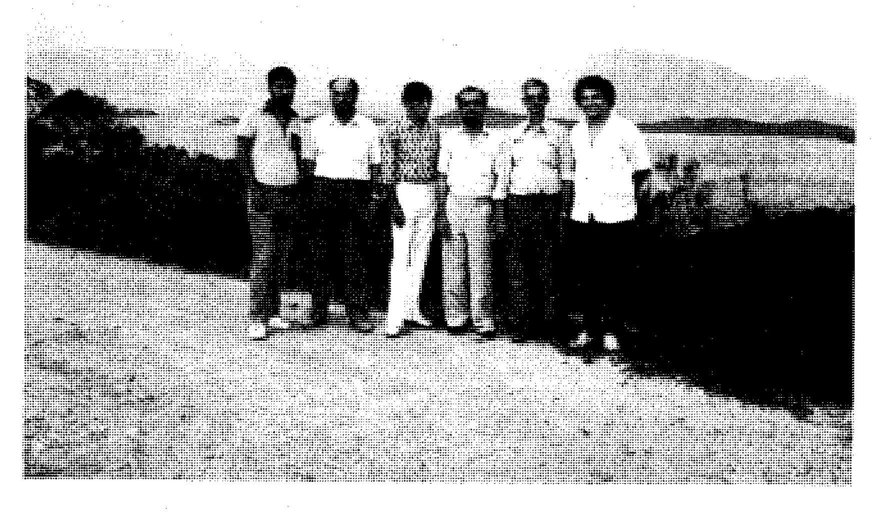
الغلاف الجوي على النظر وعلى النفس.

وربما كان هذا الركن الذي هو على هيئة الغرفة الواسعة هو الذي أعطى هذا (الاكواريوم) هذه السمعة وإلا فإنه فيما عدا ذلك ليس بالنادر فضلاً عن أن يكون عديم المثال. ولقد قارنته في نفسي بما رأيته في مدينة (دربن) في جنوب إفريقية فكان ذلك الإفريقي أوسع وأكبر وأشمل ولاوجه للمقارنة.

على قمة الجبل :

صعد بنا الأخوة بسياراتهم إلى تلة جبلية جميلة قالوا إنها أعلى جبل في مدينة (نوميا) وإنها تشرف على أجزاء من المدينة وتشرف على ماحولها واسمه جبل (وانتوروا).

وقد مررنا قبل الصعود بشاطيء رملي آخر أكثر ما فيه ظهوراً زوارق التزلج على البحر والطيارات المائية الهوائية التي تكون على هيئة أجنحة الفراشات.

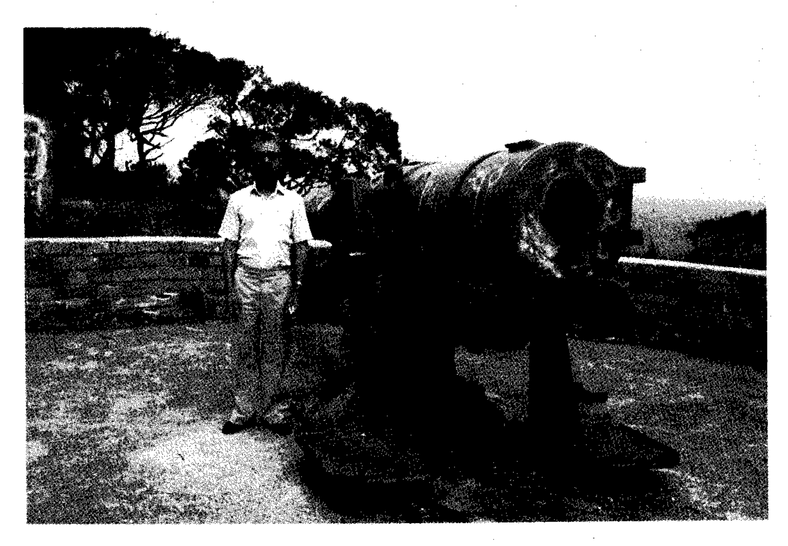


المؤلف الثالث من اليمين مع بعض المسلمين في شاطيء نوميا.

ووقفنا في القمة عند مدفع ضخم من مخلفات الحرب العالمية الثانية قالوا: إنه من أسباب نجاح الامريكيين في منع اليابانيين من احتلال هذه الجزر وقد وصلوا إليها قبل اليابانيين بست ساعات ودافعوا عنها بهذا المدفع الضخم وصدوا عنها اليابانيين.

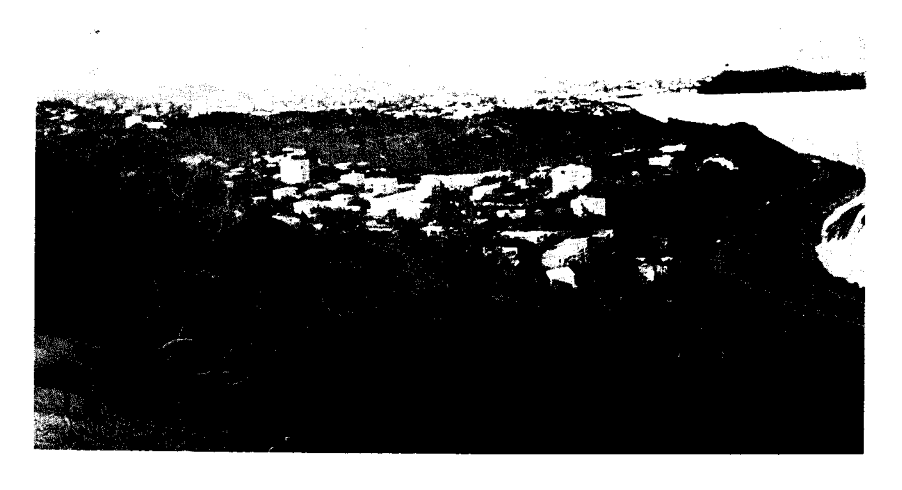
كان القوم يحدثوننا عن هذا المدفع الضخم والأخ محمد صلاح الدين يحدثنا عن نفسه بأنه قاتل مع القوات الفرنسية في إيطاليا في الحرب العالمية الثانية وأن الإيطاليين هاجموا فرقته فقتل في ذلك الهجوم مئات الجنود والضباط ومنهم أعداد من المسلمين من أبناء شمال إفريقية قال وأما أنا فقد أصبت ولم أشعر بنفسي لمدة شهر ونصف وقد اخبرني الألمان بعد ذلك أنهم وجدوني وفيَّ رمق من الحياة بين القتلى فأخذوني وعالجوني ولبثت اسيراً عندهم لمدة سنة ونصف.

قال : وأنا الآن اكتب كتابا بالفرنسية عما حصل لي خاصة وماقدمه العرب والمسلمون لفرنسا من تضحيات عسى أن يتذكر الفرنسيون ذلك ولا ينسوه.



بجانب المدفع التذكارى على رأس التلة قرب نوميا.

ونـزلـنـا قـليلاً من مكان المدفع الضخم على القمة إلى موقف أسفل مـنـه، والهـواء الجـبـلـي الـعليل يداعب الوجوه والمكان يشرف على مدينة (نوميا) وماحولها و بخاصة خليجا بقربها محاطاً بجبال خضر ترى فيه عدداً من الجزر الصغيرة الخضراء على أشكال مختلفة.



الخور الذى عليه مدينة (نوميا) كما يرى من التلة.

الربيع الدائم :

عـنـدمـا ذكـرت فـيجي بعد الإعصار وهواءها الحار وشدة الحر وسط النهـار لـعـدم وجـود التكييف في الفندق قلت لإخواني: ما أجمل الجلسة فـي هـذا المـكـان فلم لم يوجدوا هنا مقصفا يتناول فيه المرء مايريده من طعام أو شراب وهو يشرف على هذه المناظر الجميلة؟

فأجابوا : السبب في ذلك أن المنطقة عسكرية ثم أشاروا إلى ناحية المـيـنـاء وقـالـوا هـذا المـيناء الرئيسي في الجزيرة ومن هذه الناحية تأتي

السفن القادمة من أمريكا ومن الناحية الأخرى تأتي سفن استراليا وآسيا.

وعندما أبديت لهم اعجابي بهذا الهواء العليل متأثراً بما قاسيته في فيجي قالوا وحق لهم أن يقولوا: إننا في نوميا هذه في ربيع دائم. فالجو لا يتغير عن هذه الحالة طول السنة إلا أنه اذا كثر المطر برد الهواء قليلاً واذا قل قلّ برده ولكن لايصل إلى الحر.

وتذكرت أننا في الفندق الذي نسكنه وهو فندق (لابيروس) لم نر فيه مكيفا للهواء ولا مروحة وفي الليل لم نحتج إلى ذلك وقد أغلقت النوافذ.

المال الذي يفسد الجمال :

رأيت في أحد الجبال التي لا تبعد كثيراً في النظر عن مكاننا لارتفاعها بقعا قد شوهت خضرته الجميلة حين غدت كأنها البثور وأماكن القروح على صدر الفتاة الجميلة فسألتهم عن ذلك فأجابوا إنها المعادن إن هذا الجبل يحتوي على معدن النيكل وأن الفرنسيين يستخرجون منه هذا المعدن و يصدرونه إلى الولايات المتحدة واليابان وأن ماتراه عليه من تشوهات إنما أثارتها اطماع الإنسان.

ثم قالوا : إن هناك جبلاً آخر اسمه (مونت دواور) اي جبل الذهب وأنه يحتوي على الذهب وهناك معادن أخرى في هذه البلاد الكلدونية الجديدة.

وان هذا سبب رئيسي من أسباب تمسك فرنسا بها وعدم إعطائها الاستقلال وسبب آخر للغلاء الذي يلاحظه المرء على بعض المنتجات الغذائية فيها لأن الجزر وإن كانت خضراء صالحة لتربية الحيوان الذي يربي للحوم فإنه نظراً لغلاء أجور العمال بخاصة ولغلاء الحياة فيها عامة

يكون اللحم المستورد من جارتهم استراليا أرخص سعراً وأقل تكلفة لذلك يعتمدون في اللحم على مايستوردونه منها حتى اللبن والجبن يستورد من استراليا أيضاً لأن معظم العمال والعاملين قد انصرفوا إلى العمل في المناجم واستخراج المعادن فذلك أكثر أجرا واعظم ربحاً.

موقف آخر :

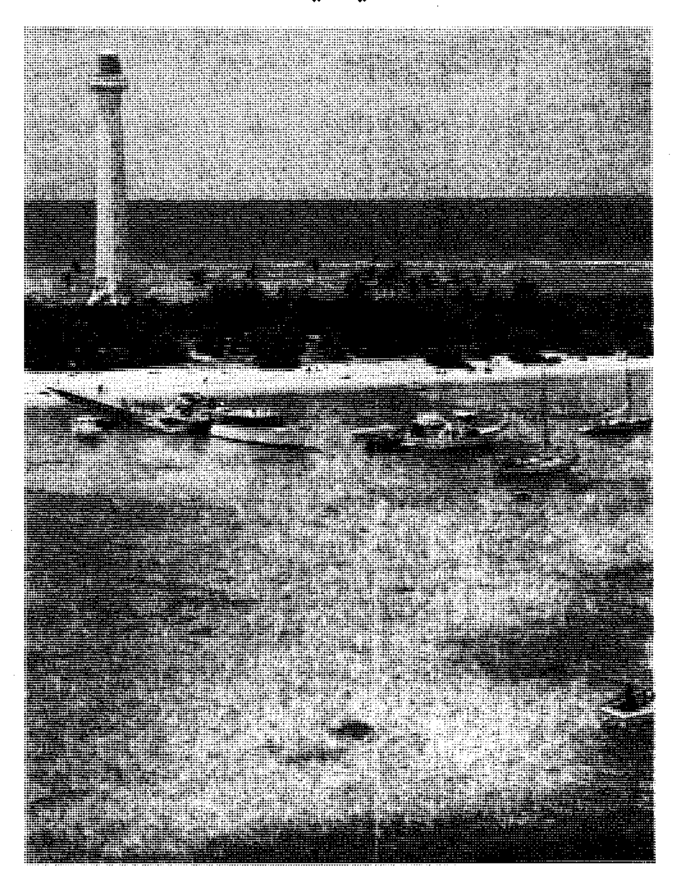
ثم وقفنا موقفاً آخر في عرض الجبل يرى الواقف فيه نصف مدينة (نوميا) على الخور الأخضر الذي تحيط به الربى الجميلة و يغلب على أبنيتها لون البياض في منظر جميل ذكرني بمدينتين أخريين في العالم ولكن في مكانين نائيين عن هذا المكان فكلتاهما فيها جبل يشرف عليها



المؤلف على شاطىء تلة قرب نوميا

وهي منه أو هو منها في منظر أنيق إحداهما مدينة (كيتو) عاصمة جمهورية الإكوادور الواقعة في جبال الانديز في أمريكا الجنوبية

والأخرى مدينة الرأس أو كيب تاون في آخر الطرف الجنوبي من قارة إفريقية. وقد قصصت قصة رؤية الأولى في كتاب (على قمم جبال الأنديز) الذي طبع كما ذكرت قصة الثانية في كتاب (مشاهدات في بلاد العنصريين) الذي طبعه النادي الأدبي في بريدة.



شاطىء آخر في نوميا

ثم انحدرنا من عرض الجبل في طريق جميل جداً قد هذبته البلدية ونسقت جانبيه.

وسرنا في شوارع مدينة (نوميا) التي كادت تخلو من الناس حتى السيارات فيها الآن قليلة وقال الأخ صلاح الدين: هذا اليوم الأحد (البلد مافيها غاشية) أي ليس فيها من يغشاها كثيراً وهذه كلمة عامية

جزائرية ولكنها فصيحة عريقة في الفصاحة وأضاف الأخ صلاح الدين قائلاً: أكثر الناس يكونون في هذا اليوم على سواحل البحر يسبحون ويتنزهون فالشواطيء الجميلة الصالحة للسباحة فيها كثيرة. إضافة إلى أن هذا اليوم هو يوم الانتخابات البلدية.

جلسة عمل :

كان الموعد قد تحدد لاجتماع عمل ومباحثات مع الإخوة المسلمين في المسجد بعد صلاة المغرب وقد حضر الصلاة معنا أحد عشر شخصاً ثم عقد الاجتماع وحضره رئيس الجمعية الإسلامية في هذا العام الأخ (رضوان زينين) وهو إندونيسي متجنس بالجنسية الفرنسية ويعمل في وكالة للسفر ويعرف كلمات قليلة من العربية الفصحى ويغلب عليه التواضع ولين الجانب وهذه من الصفات التي نعرفها في إخواننا مسلمي إندونيسيا جزاهم الله خيراً.

كما حضر الاجتماع أيضاً إخوان تقاطروا على المسجد للصلاة ولكن بعد أن فرغنا منها بلغ مجموعهم حوالي عشرين شخصاً من إندونيسين وصوماليين وعرب جزائريين ولاعرب غيرهم إلا ماكان من أمر حضور إمام المسجد الشيخ الخضراوي الذي هو تونسي مبعوث من المملكة العربية السعودية.

كما حضر الاجتماع الأخ (حاجي محمد سوهرمان) نائب القنصل الاندونيسي في هذه البلاد وإندونيسيا هي الدولة الإسلامية الوحيدة التي لها وجود قنصلي هنا.

والمراد بالدولة الإسلامية الدولة التي تتألف أغلبية سكانها من المسلمين وإلا فإن اندونيسيا من الناحية الرسمية لا تعتبر دولة إسلامية بل

هي دولة لا دينية حسبما صرح رئيسها الجنرال سوهارتو على رؤس الأشهاد في مؤتمر الاعلام الإسلامي الذي عقد في جاكرتا عام ١٤٠٠هـ وذكرت امره في كتابي (في إندونسيا اكبر بلاد المسلمين) كان أهم موضوع في المباحثات هو موضوع بناء المسجد الذي أصبح هدفاً لاكثر المسلمين في هذه البلاد وقد أكثروا من ذلك حتى إن الأخ صلاح الدين أبو الليل قال بتأثر وهو يكاد يبكي: نحن نحلم منذ خمس وعشرين سنة بوجود المسجد، والنصارى يقولون لنا: أين مسجدكم؟ ولماذا يكون لنا كنائس وليس لكم مسجد؟ أذلك لأننا كثيرون وأنتم قليل، أنتم لستم بقليل وإخوانكم المسلمون في العالم ليسوا بقليل، ومن حقكم أن تبنوا لكم مسجداً كما بنينا نحن كنائسنا في هذه البلاد.

ثم قال : ونحن مصممون على بناء المسجد إن شاء الله وسيكون مسجداً ذا قبة ومآذن وإن كانت صغيرة فنحن لابد أن (نشيدوا) أي: نشيد بمعنى نبني وهذه الكلمة قالها بلغته الدارجة(مسجد)ولو على قدر طاقتنا.

وقال بصفته أمين الصندوق للجمعية: إن المشروع الذي نحلم به يكلف ثمانين مليون فرنك باسفيكي لأنه ليس مسجداً فقط وإنما يكون مدرسة لأبناء المسلمين. قال: ولايوجد في صندوق الجمعية الآن من هذا المبلغ إلا خمسة ملايين ولكن سنبدأ في العمل وسنقول لإخواننا من المسلمين أن يساعدونا فقلنا لهم: إن هذا هو الصواب وهو الأقرب إلى النجاح فيما جربناه وعرفناه من أمر المساعدات فأنتم إذا انتظرتم حتى تكملوا رصد جميع المال اللازم استغرق ذلك وقتاً طويلاً قد يثني عزائمكم وقد تتأخرون في التنفيذ كما أن إخوانكم المستعدين لمساعدتكم سيقولون لو كانوا جادين لبدأوا العمل.

واننا نرجو أن تكونوا على ثقة من أن المملكة العربية السعودية

ستساعدكم على ذلك مثلما أرسلت إليكم مبلغ عشرين الف دولار لهذا الغرض منذ أقل من سنة ولكن إذا كنتم لم تعملوا شيئاً كيف يساعدونكم؟

ثم اعطيناهم عناوينا وتعهدنا لهم بأنهم اذا بدأوا وانفقوا ماعندهم فإننا سنسعى في إرسال مساعدة لهم من المملكة على الاستمرار في بناء المسجد لأننا من المسئولين عن هذه الأمور ونعرف حرص حكومتنا على نفع المسلمين والمساعدات الكثيرة التي تقدمها لهم في كافة أنحاء العالم.

هذا وقد حضر هذا الاجتماع في المسجد أكثر المسئولين أو كلهم ماعدا شخصاً واحداً كان غائباً من (نوميا) وهو الأخ عبدالقادر (جان كلود) من أبناء العرب المولودين في هذه الجزر و يعمل مستشاراً تعليمياً للحكومة و يشغل رتبة النائب الأول لرئيس الجمعية الإسلامية.



مع المسلمين في مسجد كلدونيا والبسملة على المحراب

يوم الإثنين ١٤٠٣/٥/٢٢هـ ١٩٨٣/٣/٧م.

كان هذا الصباح هو موعد مغادرة هذه البلاد الجميلة فكان أن مر علينا الأخ الوفي الضابط المتقاعد صلاح الدين بالليلي أو ابو الليل بسيارته التي يقودها بنفسه ومعه الإمام وكنا قد طلبنا منه ألا يفعل وأن نودعه في الليل وبخاصة أن المطار يبعد عن المدينة سبعين كيلو متراً فاستنكر ذلك وقال لو كان الأمر يستدعي سفراً لما ترددت في توديعكم.

كان هذا الصباح جميلاً ذا مطر خفيف من دون أن يكون هناك برد في هذه الجزر ذات الربيع الدائم فسرنا سيراً هادئاً بقيادة الأخ الهادىء العاقل إلى مطار هذه الجزيرة الواقعة في المحيط الهادىء ولكن الغيوم المرحة لم تكن هادئة بل كانت تسرع في سيرها ولا أدري لماذا تسرع وهي تجلل الربى الخضر بأردية رمادية وسود من أرديتها التي لبست فوقها أردية بيضاء.

ووصلنا المطار قبل وصول الموظفين لأن طائرتنا هي أول طائرة تقلع منه في الساعة الثامنة.

ومن لطيف مارأيتهم صنعوا فيه أنهم وضعوا لوحة كبيرة كتبوا فيها جميع الرحلات التي تغادر (نوميا) في أيام الأسبوع كلها وبيان الشركات التي تتبعها وأرقامها وتاريخها كما جعلوا لوحة صغيرة خاصة بهذا اليوم الأحد تحمل البيان عن الطائرات المغادرة في اليوم.

وقد لاحظت من بيان الرحلات أن هذه المدينة على صغرها ونأيها لا تعتبر مقطوعة عن العالم لايوصل إليها إلا بواسطة إحدى جاراتها بل إن طائرات كبيرة تقلع منها وتذهب إلى أوروبا مارة ببعض الأماكن في الطريق ومنها رحلات للخطوط الفرنسية من (نوميا) إلى سنغافورة فالبحرين فباريس.

إضافة إلى أن فيه على صغره مكتباً للاستعلامات عليه فتاة فرنسية حسناء مستعدة للإيضاح عن الاستفسارات التي يحتاج إليها المسافرون.

صباح الخير بالعربية :

مثلما كانت مفاجأة البيان الواضح المطول على لوحة متحركة الحروف لاتكون غالباً إلا في المطارات الكبيرة كانت هناك مفأجاة حلوة أخرى.

فقد قلت : إننا وصلنا قبل الموظفين فكان أول موظف من موظفي المطار يصل تقدم منا وصبحنا بالخير بالعربية موجها تلك التحية إلى الأخوين الذين معنا وهما الجزائري صلاح الدين أبو الليل والإمام الخضراوي التونسي لأنه يعرفهما.

فاستغربنا ذلك وقلنا : أتحية بالعربية في هذه البلاد القصية، من رجل ذي طلعه أوروبية؟ ثم قلنا ربما كان هذا الرجل قد حفظ هذه التحية العربية ليحتفظ بها بمثابة الهدية لأصدقاء له في هذه البلاد غير أنه اندفع يحدث صاحبنا بعربية واضحة لالبس فيها بل ربما كانت أفصح من لهجة أخينا الجزائري فسألنا عن السر في ذلك فقال الصاحبان: إن هذا الرجل ايطالي تربى في تونس وتزوج من فرنسية وهو موظف نشط في هذا المطار و يعتبر بمثابة الصديق للعرب هنا.

ولقد ظل يلاحظنا باكرامه حتى إنه خصص مضيفة أرضية فرنسية أركبتنا قبل الركاب الآخرين في الأماكن المختارة من الطائرة من باب التكريم.

وكان من الطرائف غير المحببة في هذا المطار أن ضابط الجوازات وهو رجل أسود من السكان الاصليين وكان هو الوحيد الموجود في مكتب الجوازات قال عندما أردنا الخروج: أنتم ليس معكم تأشيرة

دخول إلى (نيوكلدونيا) فقال له إخواننا ماقلناه: إن كلامه يصح أن يقال عند الدخول أما الآن ونحن نريد الخروج وفي جوازينا أختام الدخول من ضباط مسئولين قبله فلا داعي لذلك فاقتنع وختم الجوازين بعد تردد.

لقد ذهبنا قبل الصعود إلى الطائرة نتحدث مع صاحبينا في هذا البناء الجميل الذي يرى المرء من ناحيته الداخلية التي تلي المدينة كل ما وراء حائطه لأنه كله على طوله وعرضه من الزجاج ومن لطائف ذلك أن الجالس في داخل المبنى يرى الزهور المنسقة الملونة الجميلة وبينه وبينها الشارع.

قبل انقطاع الحديث :

قبل انقطاع الحديث عن (نيوكلدونيا) رأينا أن نذكر نبذة مختصرة عن حالها وحال المسلمين فيها وقد يكون تقدم بعض مافيها في اليوميات ولكنه ليس مرتباً ولامتتابعاً لذلك رأيت أنه من الأسهل ذكر هذه النبذة وإن كان كتابنا هذا مبينا على المشاهدة والملاحظة على الحالة الواقعة في الجزر التي زرناها.

(نيوكلدونيا) اي : كلدونيا الجديدة مجموعة من الجزر واقعة في جنوب المحيط الهاديء إلى الشرق الشمالي من القارة الاسترالية، وإلى الجنوب الغربي من جزر فيجي أكبر الجزر مساحة فيها هي التي سميت بها المجموعة (نيوكلدونيا) مساحتها ستة عشر الف وسبعمائة كيلو متر مربع من مجموع مساحة الجزر كلها التي تبلغ تسعة عشر الفا ومائة كيلو متر مربع ويبلغ مجموع الجزر ثلثمائة جزيرة منها ست فقط مسكونة وبعضها صغير جداً.



إحدى الجزر في نيوكلدونيا.

وعدد سكانها مائة وخمسة وأربعون ألفاً منهم خمسة وستون الف نسمة في العاصمة (نوميا) وهذه المساحة تعادل مساحة بلجيكا التي يقطنها ثلاثة عشر مليون نسمة مع فارق الحال بين السكان هنا وفي بلجيكا.

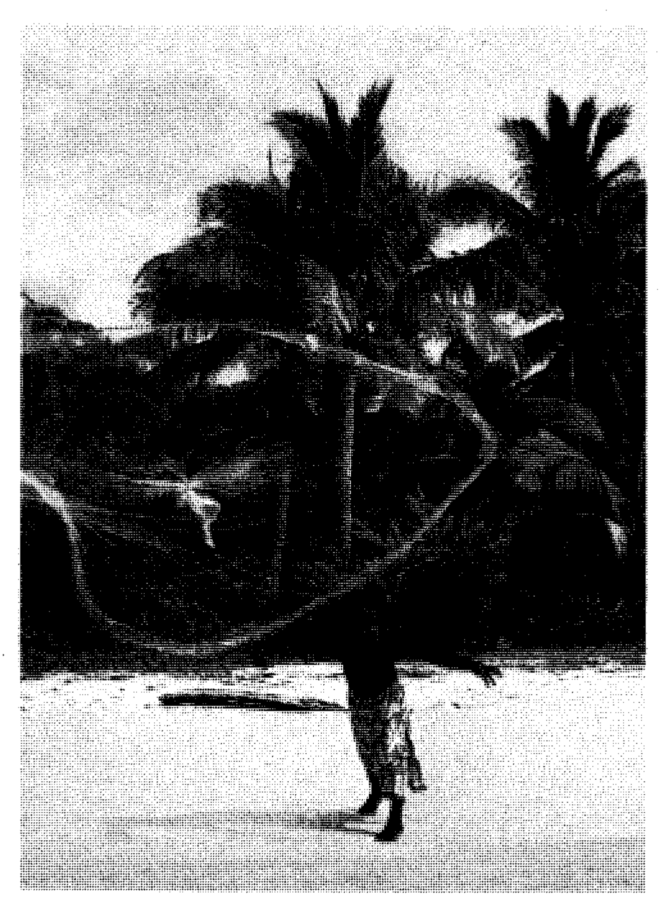
وهي مستعمرة فرنسية استولى عليها الفرنسيون عام ١٨٥٣م.

وفي عام ١٨٦٣م اتخذوها منفى لمن يسمونهم المجرمين أو المنشقين ودام ذلك حتى عام ١٨٩٦م.

وقد ناصب السكان الأصلاء المستعمرين الفرنسيين العداء، وحاربوهم أول الأمر غير أن القوة لم تكن متكافئة مابين أسلحتهم البدائية وأسلحة الفرنسيين المتقدمة فقد كان الوطنيون من الهادئين نسبة إلى المحيط الهادىء، يعيشون بعيدين عن تأثير أية حضارة من الحضارات

المعروفة في العالم معزولين عنها بخضم من مياه المحيط الهاديء التي لا تستطيع الوسائل البدائية أن تخترقها.

وكانت النتيجة أن خضعوا للفرنسيين بعد أن هلك عدد لايستهان به منهم وقد سبق في اليوميات ذكر شيء من ملامح أولئك القوم ومظاهرهم.



صياد من أهل نيوكلدونيا الاصلاء يلقي شبكته للصيد في أحد سواحل نيوكلدونيا.

وقد كان لخضوعهم السياسي أثر في خضوع آخر أهم منه وهو خضوعهم الفكري المذهبي فقد نصرهم الفرنسيون حتى أصبحوا كلهم يعدون من المسيحيين.

ومع ذلك فإنهم لايزالون يكنون عداء سياسياً للفرنسيين الذين يقولون: إنهم أغرقوا البلاد بسكان جاؤا بهم من خارجها حتى أصبح عدد السكان الأصلاء لايتجاوز ٤١٪ من مجموع السكان.

وربما كان هذا يفسر السبب في أن سكان هذه الجزر بمجموعهم صوتوا إلى جانب بقائها أرضاً فرنسية.



منزل للسكان الوطنيين في نيوكلدونيا.

حتى لو استعملت الأساليب الديمقراطية في تقرير مستقبل الجزيرة لما استطاعوا أن يفرضوا الرأي السياسي الذي يريدونه للبلاد.

وصول المسلمين إلى نيوكدونيا :

قلنا إن الفرنسيين اتخذوها منفى لمن يعتبرونهم مجرمين أو خطرين على الأمن وقد أعتبروا من اولئك طائفة من الأخوة الثوار الجزائريين فكانوا المجموعة الرئيسية الأولى من المسلمين الذين وصلوا إلى هذه البلاد وكان أول ذلك خلال العقد الثامن من القرن التاسع عشر.

ثم أخذت فرنسا تعامل أعداداً من الإخوة المسلمين من المغرب العربي: المغرب الأقصى والجزائر وتونس بمثل ذلك بنفيهم إلى هذه الجزيرة.

وبهذا أصبح أهل المغرب العربي الكبير هم أول الواصلين من المسلمين إلى هذه البلاد.

ثم اكتشف الفرنسيون المعادن المهمة في الجزيرة ومنها معدن (النيكل) وقد احتاجوا إلى عمال يعملون في استخراج هذه المعادن وتصديرها فجلبوا اعداداً من الأندونيسيين كانوا المجموعة الثانية من المسلمين.

كما هاجر إلى (نيوكلدونيا) بعض العمال الصوماليين من سكان (جيبوتي) التي كانت فرنسا تستعمرها أو من المقيمين فيها فكانوا رافداً ثالثاً للمسلمين وان كانوا أصغر المجموعات الإسلامية وأقلها عدداً.

عدد المسلمين :

يصعب الإحصاء الدقيق لعدد المسلمين في (نيوكلدونيا) في الوقت الحاضر، وقد قال لنا إخواننا المسلمون هنا إن عددهم يقدر بستة عشر الفا أي: حوالي ١٠٪ من مجموع السكان منهم عشرة الآف من أصل عربي وخمسة الآف من أصل إندونيسي والباقي وعددهم ألف من أصول عدة بينهم الفرنسيون والسنغاليون والصوماليون أو الجيبوتيون والقمريون نسبة إلى (جزر القمر) التي كانت مستعمرة فرنسية، ولا تزال إحدى جزرها وهي جزيرة (مايوت) تحت الحكم الفرنسي.

وسمعت بعض المسلمين هنا يقول: إن عدد المسلمين في نيوكلدونيا لايصل إلى ذلك ولكنهم وبخاصة الاكثرية منهم لايكادون يعرفون من الإسلام إلا اسمه وقد غلب عليهم الجهل به حتى كادوا يعدون من المسلمين الضائعين.

وقيل إن بعض أبناء المسلمين قد ضاعوا بالفعل فارتدوا عن

الإسلام بسبب الغزو الفكري الذي كان مسلطاً عليهم منذ نعومة أظفارهم وبعضهم ضاعوا بسبب زواج آبائهم من فرنسيات وتركهم لأمهاتهم.

هذا إلى جانب البعد الشديد عن الحواضر الإسلامية، وتقاعس المسلمين أنفسهم في بعض البلدان الإسلامية الأصيلة عن القيام بواجبهم تجاه إخوانهم المسلمين في المهاجر بل إن بعضهم قد زايله حتى ذلك الشعور المجرد بالقيام بالواجب نحوهم.

ولولا أن الإسلام دين الفطرة وهو دين قوي لما كان بقي من الواصلين الأولين من المسلمين أحد على دينه.

الجمعيات الإسلامية :

في عام ١٩٣٧م تكونت أول جمعية اندونيسية باسم الجمعية الإندونسية برئاسة هاشم الاندونسي من أنصار الجمعية المحمدية الاندونسية وبلغ عدد اعضائها ٤٠ شخصاً.

ونظراً إلى أنه قل أن يوجد بينهم علماء ممن يجيدون اللغة العربية والاندونيسية وبالتالي يعرف قدراً من الأمور الإسلامية فلم يقوموا بواجبهم نحو المحافظة على الإسلام بل لايوجد بينهم حتى من يتقن عقيدة التوحيد ولم يتقدموا بطلب العون من البلدان الإسلامية كالمملكة العربية السعودية التي تسارع إلى تأييد قضايا المسلمين وتتبرع للمشروعات الإسلامية.

قدوم العرب إلى الجزر :

في عام ١٨٧٠ قام المجاهدون الجزائريون بحركة ثورة أو تململ ضد الاحتلال الفرنسي لبلادهم إلا أنها لم تنجح ففي عام ١٨٧١ انهزموا أمام الطغاة فقبضوا على ١٥٠٠ منهم وسجنوا ثم رحلوا إلى نيوكلدونيا وكان

أول فوج منهم حكم عليهم لمدة أربع سنوات مع الأشغال الشاقة وذلك كان في ١٨٧٥/١/١ وكان عددهم ٤٧٩٥ مجاهداً والفوج الثاني بتاريخ ١٨٨٠/١/١ وعددهم ٦٣٩٣ مجاهداً والفوج الثالث بتاريخ ١٨٨٥/١/١ وعددهم ١٤١٢ والفوج الرابع في تاريخ ١٨٩١/١/١ وعددهم ٦٢٩٢.

وفي عام ١٨٧٩ نفي من المغرب ثلاثمائة عربي مسلم وكذلك فقد احضر الفرنسيون من كل من المغرب وتونس والجزائر عرباً بمثابة العمال وبعضهم عدوهم منفيين في الاعوام التي تلت ذلك.

وجميع هؤلاء جلبوا إلى المنطقة إما باسم النفي وقضاء مدة السجن أو باسم العمل مرغمين.

وقد افرج عن عدد كبير منهم بعد مضى اثنتي عشرة سنة في السجون، هذا وقد عاد إلى بلادهم العدد الأكبر منهم وبعضهم اختاروا البقاء في هذه الجزر وذلك لصعوبة العودة عليهم.

وأول إتصال مسلمي نيوكلدونيا بالعالم الخارجي كان بالمسلمين الفيجيين. وذلك أن جماعة من الدعاة من جمعية التبليغ وصلت نوميا العاصمة، وذلك كان في عام ١٩٧٥م وبعد دراسة وضع المسلمين تقرر العمل على بناء أول مسجد وساعدهم مسلمو فيجي بمبلغ ٣٠ الف دولار لبناء المسجد فاشتروا منزلاً حولوه إلى مسجد فكان أول مسجد في تلك البقعة ثم تتابعت اتصالاتهم بالعالم الإسلامي.

والباقون من أبناء العرب المستوطنين ليست لهم أية صلة بالإسلام وشعائره. ولكنهم متعصبون لقوميتهم العربية فيقولون نحن العرب لانذهب إلى الكنائس.

هذا وإن رئيس مجلس الشيوخ في نيوكلدونيا عربي يتمسك بعروبته وكتب مرة في جريدة محلية عن العرب وتاريخ وصولهم إلى المنطقة

وعاداتهم وتقاليدهم في الزواج والجنائز و يعرف الآن باسم (الطيب بن العيفه) وهو في نفس الوقت رئيس لبلدية بوراي التي قال بعضهم: إنها ربما كانت محرفة عن كلمة بورأي بمعنى صاحب رأي بالعربية والسكان أغلبهم في هذه البلدة يحتفظون بملامحهم العربية وحدثني أحد الدعاة المقيمين في فيجي أنه زار بلدة (بوراي) هذه فقال:

قمت هناك بزيارة عدد من العائلات العربية فالتقيت بسيدة عربية عمرها ٩٥ سنة فبمجرد أن القيت عليها تحية الإسلام قامت قائلة «السلام عليكم، ولا إله إلا الله محمد رسول الله يا الله العن الفرنسيين ضيعونا وضيعوا أولادنا فلعنة الله على الفرنسيين ثم بكت واخبرتني بأنها جزائرية وصلت للمنطقة قبل ثمانين سنة تقريباً وقالت نسينا الإسلام ولها أولاد تتراوح اعمارهم بين سبعين وخمس وسبعين سنة وهي تتحدث اللغة العربية والفرنسية وأما أولادها فلا يعرفون اللغة العربية حتى كلمة واحدة منها وأخبرني السكان العرب بأنه في حالة وجود أحد من العلماء بينهم ممن يجيد اللغة العربية والفرنسية فلا شك أن في استطاعته إعادة أكثرهم إلى الإسلام.

وهم على أتم استعداد للتعاون معه وكلفوني بابلاغ طلبهم هذا إلى رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

وهناك قرى أخرى تمركز فيها العرب منذ قدومهم وهي مثل نساجيو (NASSADION) ونيميرا (NUMAIRA) و براني (BOURAIL) و بلدة نساجيو تقع على مسافة ١٧٠كم من العاصمة و بعدها بمسافة ١٥كم تقع بلدة براني وفي بلدة نساجيو تقع مقبرة المسلمين التي تعرف باسم (CIMET ARABE) أي مقبرة العرب وكان يدفن فيها غير المسلمين أيضاً ثم صارت المقبرة خاصة بالمسلمين.

ووجدت فيها شيخاً يدعى الشيخ ناصر وعمره ٩٠ سنة وهو الذي يصلى على الاموات فذلك لعدم وجود أي شخص أخر يعرف أحكام الصلاة والدفن وبعد انتهاء مراسم الدفن يذبح بقرة أو أكثر ويصنع الطعام فيأكل الجميع ثم يتفرقون وهذا كل مابقى للعرب هنا من صلة بالإسلام.

جمعية المسلمين :

والجمعية هذه قد أسست عام ١٩٧٥م برئاسة عبده محمد راجح وهو من اليمن الشمالي تاجر معروف يملك محلات تجارية ومطعما ومتزوج بامراة فيتنامية وله منها أبناء وبنات وترك رئاسة الجمعية عام ١٩٧٧م واستلم الرياسة الأستاذ موسى الحاج بوخ وهو من أصل صومالي من مواليد جيبوتي وعمل في الجيش الفرنسي عام ١٩٤٦ وذهب إلى فيتنام ومكث هناك قرابة ١٤ سنة في الخدمة العسكرية وبعد استقلال فيتنام عن الفرنسيين هرب هو وعائلته إلى كلدونيا انقاذاً لنفسه واسرته من مذبحة قام بها الفيتناميون الشيوعيون ضد المسلمين.

وفي نوميا اشتغل موسى في شركة النيكل ومازال فيها كمشرف وموسى هذا متزوج بأمراة عربية كانت تعيش مع والدها الحجازي في سيجون في فيتنام وله منها اولاد وبعد أن تسلم موسى رئاسة الجمعية الإسلامية عام ١٩٧٧ عمل جاهداً لابلاغ حالة المسلمين إلى العالم الخارجي وبذل أقصى جهوده لبناء المسجد وجمع التبرعات له وقد مثل هذه البلاد في عدد من المؤتمرات الإسلامية في الخارج وفي عام ١٩٨١ تولى الاستاذ عبده راجح رئاسة الجمعية من جديد وموسى بوخ يعمل في الجمعية كعضو للمجلس التنفيذي.

اقتراحات عاجلة :

أولا : بعث عدد من الدعاة ممن يجيدون العربية والفرنسية

والاندونيسية لايقل عددهم عن أربعة على غرار ماهو موجود بالنسبة لافريقية وهم كالتالي:

داعيتان إندونيسيان يجيدان اللغة العربية والاندونيسية ليعملا بين الاندونيسيين.

داعيان عربيان يجدان العربية والفرنسية وإن كانا من المغرب سهل لهما العمل نظراً للعلاقات الطيبة التي تربط بين فرنسا والمغرب فيعملان في صفوف العرب.

ثانياً: يستحسن أن يصاحب بعث الدعاة فتح مكتب للدعوة هناك للإشراف على نشاط الدعاة وتنظيمهم.

ثالثاً: تنشيط الزيارات الإسلامية من رئاسة البحوث العلمية ورابطة العالم الإسلامي إلى هذه الجزر.

رابعاً: فتح مركز إسلامي يضم مدرسة ابتدائية وثانوية حديثتين ومعهداً إسلامياً لدراسة العربية والدين مع قسم داخلي لخمسين طالباً يختارون من مختلف الأماكن يتكفل لهم المركز بالأكل والسكن.

خامساً: تقديم مساعدات مالية للمشاريع الإسلامية وخاصة لبناء مسجد جامع يضم مكتبة إسلامية تحتوي على مطبعة وآلة استنسل وآلة تصوير الكتروني وكتيبات باللغة الفرنسية والإندونيسية والعربية في مختلف الموضوعات الإسلامية.

وكما أن المكتبة تزود بأشرطة إسلامية في الفرنسية تعالج شؤن الدعوة كالأشرطة التي تعرض في تلفزيون المملكة فهي تجذب الشباب والأطفال إلى المسجد من ناحية ومن ناحية أخرى فإنه توجد قبائل من السكان يمكن تقريبهم إلى الإسلام بشرط أن نتبع الأسلوب الحديث

والوسائل الحديثة في الدعوة وفي مقدمة الكتب الإسلامية نسخ كافية من ترجمة معاني القرآن في الفرنسية وتسجيلات للقرآن الكريم.

سادساً : تقديم عشر منح دراسية كالتالي خمس منح لابناء العرب وثلاث منح لابناء الأندونيسيين ومنحتان لابناء بقية المسلمين وكل هذه المنح تكون مخصوصة للدراسات العربية والدينية فقط و يبدي المسؤلون في الجمعية الإسلامية رغبتهم في تبني المملكة مثل هذه المشاريع فإنهم على اتم الإستعداد للتعاون معها في تنشيط الدعوة حسبما تخطط بالمملكة.



غابة في نيوكلدونيا وفيها الطائر الذي يوجد في نيوكلدونيا دون غيرها من العالم واسمه كاتشو

في وانا واتو
أو
نيوهبريدز



مقدمة :

واناواتو : هو الاسم الجديد الذي سميت به جزر (نيوهبر يدز) نفسها بعد الاستقلال وهو اسم قد يوحي جرسه بأنه مشابه لجرس الأسماء الإفريقية والواقع أن الأمر كذلك ولكني لن اتحدث عن سببه هنا في هذه المقدمة لأن ذلك ربما يأتي في تضاعيف الكلام على هذه الجزر عند ذكر المشاهدات.

وتقع جزر (نيوهبر يدز) أو وانا واتو في جنوب المحيط الهاديء مثلها في ذلك مثل سائر الجزر التي تضمنها هذا الكتاب.

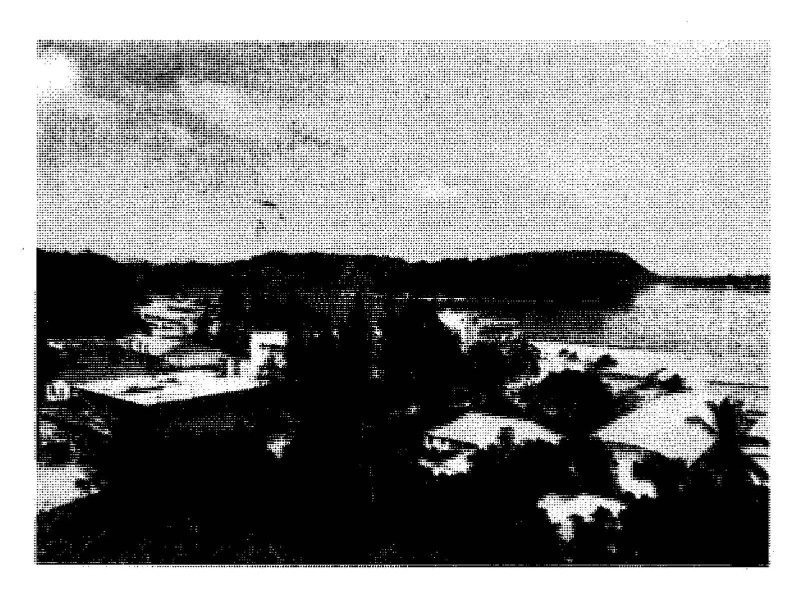
وموقعها إلى الشرق من قارة استراليا على بعد حوالي ١٧٧٠ كيلومتر والى الشمال من جزر (نيوكلدونيا) كما تقع في الجنوب الغربي من جزر سلمون، التي سنزورها بعدها بإذن الله.

ومجموع مساحة الأرض التي تشغلها الجزر المذكورة تبلغ اربعة عشر الفاً وسبعمائة وثلاثة وستين كيلو متر مربع.

وتشغل مساحة تمتد في البحر ٦٤٤ كيلو مترا وهي لا تشغل كل هذا وإنما المراد أنها تقع في مساحة من البحر تمتد هذا الإمتداد.

وأهم هذه الجزر جزيرة (سانتو) وان كانت العاصمة (بورت فيلا) تقع في جزيرة بعيدة منها.

وأكثر هذه الجزر جبلي وبعضها يصل ارتفاع قمم جباله إلى حوالي ١٨٠٠ متر وتنتج الجزر البن وجوز الهند، وفيها مغاصات للؤلؤ.



منظر في (وانا واتو)

أول من اكتشفها من الأوروبيين هو (كويروس) عام ١٦٠٦م ووضعت تحت إدارة لجنة البحرية الإنكليزية الفرنسية.

ثم حكمت حكما مشتركا من الدولتين الإستعماريتين في عام ١٩٠٦م.

وتتكون من ٢٢ جزيرة كبيرة تدعى: سانتو (SANTO) ماليكولا (MALEKULA) مايو (MAEWO) بنتيكوست (BENTECOST) امبريم (AMBRYM) مبي (EPI) ايفاتي (EFATE) أيرومانكا (ERROMANGA) تانا (TANNA) وانيتيوم (ANEITYUM) وكل هذه أسماء بلغات السكان إضافة إلى عشرات الجزر الأخرى الصغيرة وأما اسم هبريدز فهو اسم أطلقه على الجزر الكابتن كوك البحار المشهور.

والجزر تتمتع بجو لطيف مائل للحرارة وفيها براكين غير نشطة ومستنقعات كثيرة وقبائل مختلفة بعاداتها وتقاليدها المتنوعة.

و يبلغ عدد سكانها (١١٢) الف نسمة.

وعاصمتها هي بورت فيلا وهي بلدة جميلة يقصدها السائحون من عدة بلدان.

واغلب سكانها يدينون بالمسيحية و يوجد بضعة اشخاص من المسلمين كانوا يعملون في مصانع الخشب ووظائف أخرى جاؤا من فيجي ونيوكلدونيا ولكنهم بعيدون عن الإسلام وأكثرهم غادرها بعد الاستقلال إن لم يكونوا كلهم فلم نستطع الاهتداء فيها على مسلم واحد.

يوم الإثنين ٢٢/جمادى الأولى ١٤٠٣هـ ٧ مارس/ ١٩٨٣م.

من نوميا إلى بورت فيلا :

صعدنا إلى طائرة الخطوط الفرنسية المسماة (يوتا) من دون أن يعطونا بطاقات الدخول إلى الطائرة كما تفعل الشركات الأخرى وإنما استعاضوا عنها ببطاقات سميكة كالتي تعطي للركاب العابرين (الترانزيت) وكانت الطائرة صغيرة من طراز مروحي فيها مروحتان ولكنها كبيرة من هذا النوع إذْ تحمل ثمانية وأربعين راكباً وجناحاها فوق النوافذ مما اتاح لنا رؤية ماتحتنا بوضوح.

غادرت مطار نوميا في الساعة الثامنة صباحاً وهو موعدها المقرر دون تأخير قاصدة مدينة (بورت فيلا) عاصمة دولة (وانا واتو) كما اصبحت تسمى بعد الاستقلال أو (نيو هبريدز) كما كان يقال لها قبل ذلك.

اعلنوا أن الطيران من (نوميا) إلى (بورت فيلا) سيستغرق ساعة ونصفا وقد استمرت الطائرة فترة أكثر ماتوقعتها وهي تطير فوق جزيرة نيوكلدونيا لأن الجزيرة مستطيلة الشكل من الشمال إلى الجنوب تقريباً أي في الإتجاه الذي نحن ذاهبون إليه والطائرة غير سريعة بطبيعتها إلا

أن الغريب أنها كانت تضطرب اضطرابا شديداً وهي تطير فوق جبال الجزيرة العالية الخالية من العمارة أو البيوت إلا في بعض الوديان القليلة.

ولا أدرى سبب اختيار قائدها الطيران فوق الجبال الذي يسبب اضطرابها (والمطبات) الهوائية التي لايرتاح إليها الركاب مع أن بإمكانه أن يطير فوق البحر لأن الجزيرة غير عريضة حسبما أفهمه.

أما ركاب الطائرة وملاحوها فإنهم من البيض ماعدا امرأتين من أهل (نيوهبريدز) شكلهما عجيب فكانتا عنواناً على مافي الكتاب عندما وصلنا تلك البلاد فهما في لون السودانيات غير أن تقاطيع الوجه تخلو من الجمال الموجود في السودانيات وإنما هي تحمل علامات من علامات عدم الوجاهة أو عدم الجمال.

وقبل مغادرة الطائرة سماء الجزيرة رأينا تحتنا أحد الجبال قد قشروا قشرته وأزالوا خضرته في مدرجات واسعة وذلك من أجل استخراج معادنه وقد اختاروه بالذات أو بدأوا به لأنه أقرب الجبال في تلك الناحية من مياه المحيط العميقة الصالحة لتصدير مايستخرج منه.

وبعدها لججت الطائرة في سماء المحيط الهاديء وقد هدأ اضطرابها وسمح طيرانها حتى كان لمحركيها صوت رتيب بعد أن كان لهما وجيب.

ومررنا على يسارنا بجزيرة مستطيلة في المحيط نوه الطيار بوجودها وربما كان ذلك بسبب قلة الجزر في هذه الناحية وهي ضيقة مع استطالة لم أر فيها من آثار العمارة إلا مطاراً أو مهبطاً للطائرات وربما كان معداً للهبوط الإضطراري.

هذا وقد قدموا في الطائرة كأساً من الشراب ظنناه مقدمة لطعام

الفطور كما تفعل الشركات الأخرى غير أنه كان الأول والأخير، رغم كون الوقت وقت الفطور وكون هذه الطائرة الصغيرة فيها مضيفان حتى القهوة والشاي لم يقدموا منها شيئاً.

ولكن لئن فاتنا طعام الفطور فإنه لم بفتني طعام التفكير، فجعلت في سرى أحمد الله تعالى وأشكره على أن يسر لي زيارة هذه الجزر التي كنت قد سمعت أخبارها في الصحف ورأيتها في التلفاز السعودي والدولتان اللتان تشتركان في حكمها وهما بريطانيا وفرنسا متنازعتان حول كيفية منحها الاستقلال وجزيرتاها الرئيسيتان وهما التي فيها العاصمة والأخرى سانتو تتنازعان أيضاً حول مستقبل الجزر مما كان يهدد بحرب أهلية في الجزر ومما دعا بعض الدول إلى تدخل الأمم المتحدة لفض ذلك النزاع.

وكنت أقول ماكان غيري يقول من أن هذه الجزر الصغيرة سكانها قليلو العدد أيضاً لاتستحق كل تلك الضجة وليست جديرة بذلك الاهتمام من وسائل الاعلام وكنت أقول ايضاً مالا أدري أن غيري يقوله: وأنا انظر في التلفزة إلى موقعها من جنوب المحيط الهاديء: من ذا الذي يتاح له أن يزور هذه الجزر الصغيرة النائية؟

وها أنا الآن متوجه إليها ومعي سمة دخول إلى أرضها من السفارة الفرنسية في كانبرا عاصمة استراليا لأن فرنسا أقرب إليها من بريطانيا أو لا ادري لماذا ولكن المهم أن المرء قد يتخيل شيئاً يحبه فلا يتمناه لانه يظن أن الأماني لاتصل إليه، فإذا بذلك يتحقق بطريقة لم تخطر على باله. ومن ذلك زيارتي لهذه الجزر جزر (نيو هبريدز).

في مطار بورت فيلا :

بدت الجزيرة الرئيسية من واناواتو على البعد ذات شاطيء صخرى غير أنيق المنظر.

وعند اقتراب الطائرة منها ظهرت منازلها ذات سقوف بيض من الصفيح وارضها خضراء اكثر مافيها أشجار النارجيل الكثيرة الأعداد الكثيفة في أكثر المواقع.

نزلت الطائرة في مطار صغير ضيق نسبياً تحف به تلال جبلية خضر فتضايقه ولكنها لا تأخذ بخناقه.



منظر لضواحي بورت فيلاً

ولم ينزل أحد حتى صعد إليها رجل من أهل البلاد وأغلق الباب خلفه وهو غليظ الجسم أسود اللون ذو تقاسيم غريبة على عيون أمثالنا وأخذ يرش الطائرة بعلبتين من دخان قاتل للحشرات ثم وقف ينظر في ساعته لدقيقتين أو ثلاث ثم فتح الباب ونزل الركاب.

فدخلنا إلى مبنى صغير ومع ذلك فيه ثلاثة من ضباط الجوازات ورئيسهم وهم يعملون لركاب هذه الطائرة الصغيرة.

ولما رأى أحدهم جوازي وكان يسرع في ختم جوازات الركاب قبلي من الاستراليين وغيرهم وقف عنده وأخذ يقلبه ويحاول أن يقرأ صفحاته من اليسار إلى اليمين كما يقرأ الجوازات الأخرى فنبهته إلى أن الجواز يبدأ من اليمين لأن اللغة العربية عكس الإنكليزية والفرنسية تبدأ من اليمين وتكتب من اليمين فأخذ الجواز وذهب إلى رئيسه وهو ضابط واقف فأراه أياه واخذا يقلبان صفحاته كما يفعل المتعجب من شيء غريب لأن الجوازات العربية كلها غريبة عندهم من دون شك.

ثم أقبل الضابط الرئيس علينا وهو يتودد و يسأل عن العنوان في جزر واناواتو فقلنا: إننا لم نحجز في أي فندق فكتب فندقاً يعرفه ثم تركنا وفعل ضابط الجمرك كما فعله بطريقة ودية فلم تفتش امتعتنا إكراماً لجوازي السياسي.

وخرجنا ندفع بأمتعتنا على عربة يد جيدة نبحث عن مكتب للحجز في الفنادق (وبنك) لصرف النقود ولم يكن في المطار من ذلك شيء.

فسألنا رجلاً عن هذا الأمر فدلنا على حانوت يبيع تحفاً يدوية وأشياء خفيفة ممايكون في هذه الجزر وما يحتاجه المسافر وكان الرجل أبيض قد غير الجو الإستوائي لونه فقال: أنا أصرف لكم النقود وصرف مائة الدولار الأمريكي بواحد وتسعين (هبريديا) أو (وانا واتويا) إن لم يصعب عليك النطق.

ثم كتب لنا بطريقة ودية اسم فندق جيد قال إنه في موقع مناسب من المدينة وإن سعره مناسب ولم يسألنا عن بلادنا ولاحتى جواز السفر لم يطلبه وإنما اعتمد على أننا غرباء ربما زعم أننا من جنسه في اللون لأنني لاحظت أنني لم أر في المطار بعد قليل إلا أهل البلاد السود وتذكرت أن هذه هي أول دولة للسود ندخلها في هذه الجولة لأن فيجي

نصف أهلها من الهنود فسألته عن بلاده؟ فأجاب: إنه أمريكي وارسل عاملة عنده توقف الحافلة الصغيرة حتى تأخذنا معها وتبين أنه لم يكن فيها أحد غيرنا وأجرة الراكب فيها مائتا فرنك أي حوالي دولارين أو ازيد قليلاً.

في بورت فيلا :

سارت الحافلة الصغيرة لاتحمل غيرنا إلا رجلاً كالجابي أو المساعد للسائق وسط طريق ضيقة ولكن إزفلتها لابأس به مع أرض خضراء خضرة ليست كثيفة وذات تربة بيضاء وليست حمراء كما كان متوقعاً في أكثر المناطق الاستوائية المطيرة. وعلى أية حال فإن (وانا واتو) هذه ليست استوائية تماماً بمعنى أنها واقعة تحت خط الاستواء وإن كانت استوائية بمعنى أنها واقعة داخل الدائرة الإستوائية فهي تقع على خط العرض ١٠ جنوب خط الإستواء.

ثم وصل الطريق إلى ساحل خليج على جهة اليد اليمنى وعلى يساره هضبة جبلية فيها بيوت غير فاخرة ولا هي بالرديئة وكلها مما بني



خور في واناواتو.

على طراز البيوت التي تكون في البلاد المطيرة ذات الأخشاب الوفيرة لذلك كانت سقوفها مسنمة ويبدو من هيئتها أنها من الخشب المطلي.

ونزلنا في فندق جيد في طرف المدينة الصغيرة (بورت فيلا) اسمه (ماريننا هوتيل) وهو بين الفندق والنزل (الموتيل) فالأول لابد فيه من طعام وخدمة والثاني أي النزل لايكون فيه طعام يقدم للنزلاء وإنما يكون فيه أدوات صنع الطعام حتى الوجبات ينبغي أن يكون إعدادها سهلاً فيه ولذلك كثيراً ماينزل فيها أرباب السيارات من أهل الأسر وأطفالهم حيث يطبخون مايريدون وهو أقل أجرة من الفندق الجيد.

ومديرته نيوزلندية مهذبة ولكنك إذا رأيتها حسبتها عربية من أهل الجزيرة لأن الجو الاستوائي الرطب قد غير لونها قليلاً وأزال صفاءه وأجرة فندقها ثمانية وعشرون دولاراً أمريكياً للغرفة الواسعة التي فيها سرير عريض يصلح لاثنين وسرير اضافي لطفل وفيها مكيف للهواء وثلاجة.

تمشية في بورت فيلا:

نزلنا مسرعين في تمشية في هذه البلدة الصغيرة فسرنا مع شارع رئيسي غير واسع وكونه رئيسياً جاء من كونه يحده البحر من جهته اليمنى وتحده تلة خضراء من جهته اليسرى.

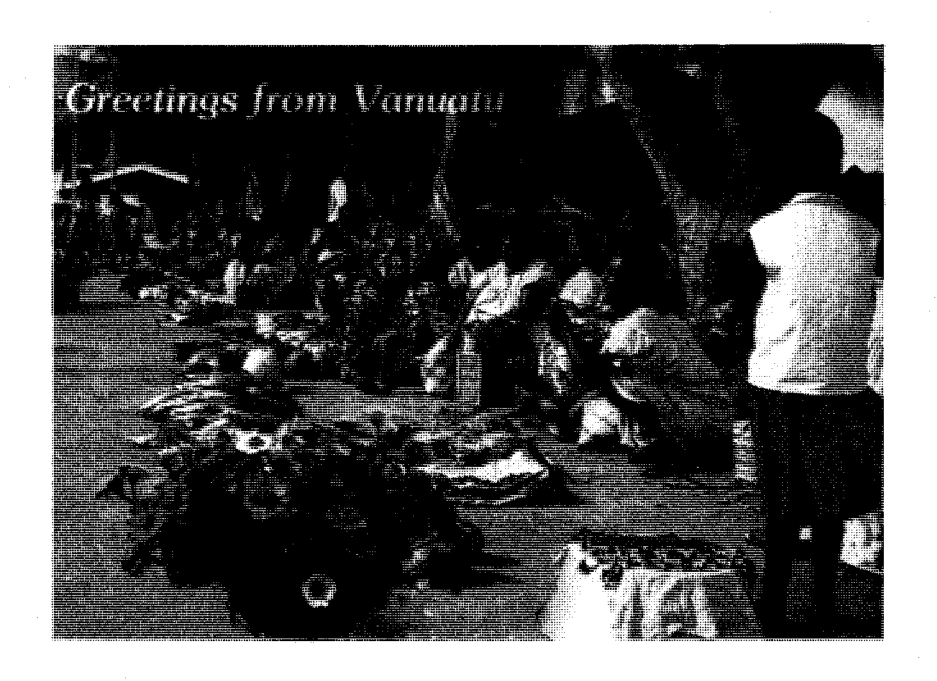
وأول انطباع عن هذه البلدة عدا صغرها أنه يخيل إليك أنك في إفريقية ولست في المحيط الهاديء فكل مافيها من الأثاسي والمعروضات وحتى الملابس يذكرك بافريقية وأهم ذلك وأظهره في هذا الموضوع ألوان أهلها التي هي كألوان الإفريقيين السود إلا أنها غير حالكة السواد في الأغلب.



صورة التقطها المؤلف لجانب من الشاطىء الذى عليه بورت فيلاً.

غير أن الذي يختلف فيه نساء هذه المدينة عن الافريقيات أن الافريقيات أجمل منهن بكثير وارشق وحتى الشعر هنا بعضه قصير مفلفل إلا أنه اطول من شعور الافريقيات وبعضه منفوش على هيئة تقرب من شعور النساء في فيجي ولكن دون ذلك إلاَّ أن الشعور على أية حال موجودة في رؤوسهن على أي شكل من هذين الشكلين.

وبعض النساء غليظات الأجسام أي بدينات من دون رشاقة أو إن شئت قلت من دون تناسب فبعض الأشخاص تغلب عليهم البدانة ولكن في تناسب وتناسق بحيث يظهر ذلك على جميع أعضاء الجسم أما هؤلاء فإن عدم التناسق أو هذا هو مالحته أنا وانطبع في ذهني على الأقل ليس في مناظرهم تناسق أو جمال فن ذلك أنه يخيل اليَّ أن بعضهم رأسه أكبر بالنسبة إلى جسمه وبعضهم أنفه اصغر من بقية وجهه وبعضهم عكس ذلك وهذا عجيب.



صورة وزعتها حكومة واناواتو للدعاية بأن بلادهم جميلة

وكنت عندما وصلت فيجي تعجبت من خلق نسائها وقلة حظهن من الجمال ولكنني الآن اشعر انهن في القمة من هذا الأمر وأن هؤلاء (الهيبريديات) أو (الوانا واتو يات) يحسدن الفيجيات على جمالهن إذا كانت مقاييس الجمال عندهن مثلما هي عندي.

ولايوجد أحد من البيض من الأهالي فيما لمحناه حتى الآن وانما يوجد عدد لابأس به من السياح من البيض بعضهم من استراليا وبعضهم من نيوزيلندا ووجودهم في بلد معناه وفرة الأمن فيها ووجود شيء فيها أو في جوها يستحق الاطلاع عليه.

وفي هذه المناسبة وردت إلى ذهني قولة همست بها لنفسي وهي أن هناك إفريقيين في امريكا الوسطى والبحر الكاريبي الواقع بين الأمريكتين وكنت أظنهم هم الافريقيين وحدهم خارج القارة

الافريقية إلا أنني وجدت إفريقيين آخرين في هذه الجزر في المحيط الهاديء.

غير أن أفارقة أمريكا هم افارقة بحق قدموا أو قدم بهم من شاء غيرهم إلى أمريكا من افريقية وأما هؤلاء الافارقة (الهادئون) فإنهم لم يقدموا من إفريقية وإنما تأفرقوا هنا بحكم جو البيئة التي تشبه البيئة الإفريقية إن صح التعبير.

وليس من السهل الجزم بأنهم قد حضروا في ازمان سحيقة من إفريقية لمجرد مشابهتهم للإفريقيين في بعض الأشياء ومنها اللون فإفريقية منهم بعيدة بعداً شاسعاً يجعلها أبعد عليهم من أمريكا عن إفريقية قبل اكتشاف أمريكا بكثير.

لاسيا إذا كانت هجرتهم إلى هذه الجزر النائية التائهة في مياه هذا الخضم من مياه المحيط الهاديء العظيم أكبر بحار الدنيا وأوسعها.

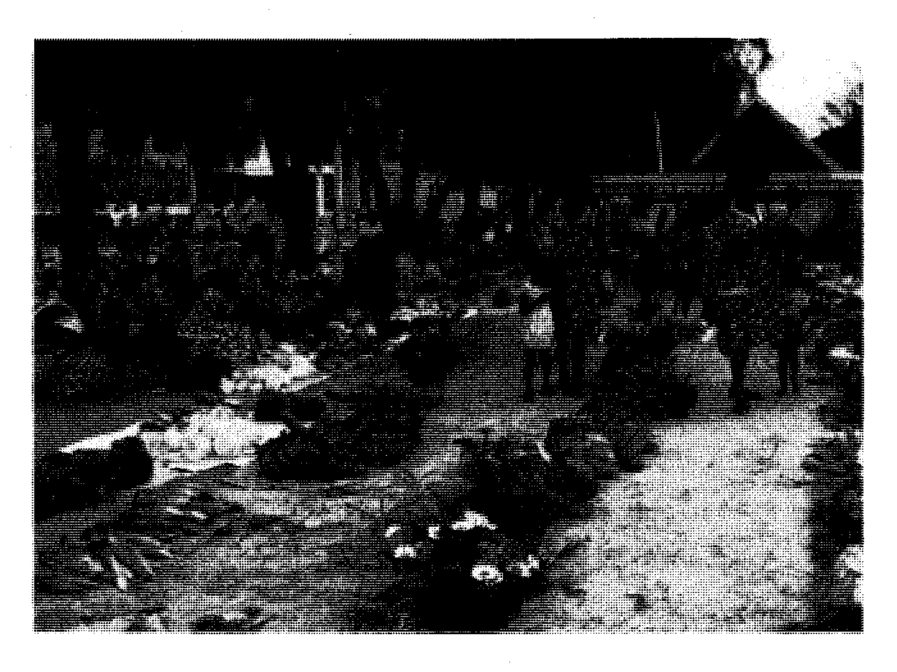
إلا أن القول بأن هؤلاء القوم إفريقيون إنما هو من التجوز في التعبير وعدم الدقة بمكان فهم ليسوا بإفريقيين يقينا من حيث المنشأ ولا بإفريقيين شكلاً من حيث التقاطع وتقاسيم الوجوه أما اللون وحده فإنه ليس بالكافي لبيان أصل الشعوب.

حتى وإن كانت هناك خصائص أو مظاهر مشتركة ففي حالة هؤلاء القوم يشبهون الإفريقيين أو يفوقونهم في تعدد اللغات المحلية التي لاتكتب وليست لها آداب مأثورة حتى يبلغ عدد اللغات في (وانا واتو) هذه سبعين لغة لقوم من السكان لايزيد عددهم على مائة واثنى عشر الف نسمة يعيشون في بلادهم التي تتكون من ثمانين جزيرة.

وحتى لفظات الأشياء أو تسمياتها في بعضها شبه من بعض اللغات

الإفـريـقـيـة خذ مثلاً الاسم الرسمي الجديد لهذه الدولة الذي سماها به أهلها بعد الاستقلال (وانا واتو) الا تسارع وتقول حين تسمع به قبل أن تـدري مـن الـذي قـالـه أو إلى أي لـغـة يـنـتمي فتقول: إنه من إحدى اللـغـات الافـريـقية وقد رأيت في طرف البلدة مطعماً اسمه (توكو توكو كـاي كـاي) انـظـر إلـى هـذه الصيغة التي تدعك حائراً بين أن تلحقها بلغات إفريقية أو للغة مالايوية.

وبـعـد فـإنـه لا علينا من ذلك وإنما علينا أو لنا أن نسجل في هذه المـذكـرات الـيـومـيـة انـطـباعاتنا عما شاهدناه في هذه البلاد جرياً على الـعـادة الـتـي سـرنـا عليها في كتابة مشاهداتنا في بلاد كثيرة من أنحاء العالم.



معرض للزهور والخضروات نظمته حكومة واناواتاو في (بورت فيلا).

اللبــاس :

الرجال الذين شاهدناهم في هذه الجولة على أغلبهم اللباس العالمي المسمى بالإفرنجي ولكنه هنا المخفف منه من أجل الحر فالسروال أو (البنطلون) قصير والقميص قصير الكمين و بعضهم يدعه مفتوح الصدر اتقاء للكلفة في الازارير أو كسلاً عن ذلك أو عن غير مبالاة بالأمرين.

أما النساء فإن الغالب على لباسهن الثوب (الفستان) الواسع القصير و يكون مفتوح الصدر ولكن دون مبالغة في ذلك و(الفساتين) أي الثياب الضيقة قليلة جداً وكل النساء يتخذن حقائبهن اليدو ية من الخوص كما تفعل النساء في مدغشقر وموزمبيق واعتقد أنها هنا من خوص النارجيل وكثيراً مايلبس الذين يعملون في الشمس من الرجال والنساء قبعات من الخوص ليس لها طابع معين.

الجـــو :

وأما الجو فإنه استوائي رطب يتميز بالحرارة ولكنه ليس بالغاً في ذلك فهو مثل الجو في مدينة مقديشو في الصيف أو في جو جزر مالديف.

و وصف الجو هنا في هذه الأيام ينطبق على وصفه سائر العام ماعدا الصحو والمطر لأنه مثل بقية الجواء الإستوائية لايتغير حره و برده في فصل دون آخر وإنما يتغير قليلاً بكثرة المطر وقلته.

ومن ذلك أننا لبثنا في الفندق مدة لم نشعل المكيف لعدم اضطرارنا إليه لأن النوافذ مفتوحة على هواء خور اي خليج بحري مقابل له من الجهة الغربية لايفصل بينهما إلا الشارع العام وهو واقع في حضن تلة خضراء واقفة قالت صاحبة الفندق حين سمعتني امتدح استناد الفندق

إلى هذه التلة الخضراء إننا نخاف من انزلاق صخورها أو اشجارها الكبيرة في أوقات الامطار الغزيرة.

والجو هنا أحسن من جزر فيجي، ولكنه أكثر حراً واقل اعتدالاً من الجو في نوميا عاصمة (نيوكلدونيا).

ومن الجدير بالذكر أن القوم هنا من التجار والمحلات التجارية والدوائر الحكومية والشركات تقضي فترة القيلولة في اجازة وذلك من الساعة الحادية عشرة والنصف حتى الساعة الواحدة والنصف فتقفل أبوابها ثم تعود في الواحدة والنصف لتعمل إلى الرابعة والنصف.

اللـــــغة :

يصح أن يقال هنا اللغات إذا أدخلنا في حسابنا اللغات الوطنية أو اللغات التي يتكلم بها المواطنون الاصليون في الجزر المختلفة.

واللغتان الشائعتان هما الفرنسية والانكليزية لأن البلاد كانت تحكم حكماً فرنسياً انكليزياً مشتركاً أي أن ادارة البلاد تصدر عن مكتب واحد من الدولتين وليس المراد بالمشترك أن جزءاً منها تديره إحدى الدولتين والآخر تديره الدولة الأخرى. ولكن اللغة الفرنسية أكثر شيوعاً. وهذا أمر ليس بالغريب بل شواهده كثيرة في انحاء العالم وبخاصة في دنيا الجزر مثل جزر البحر الزنجي المسمي بالمحيط الهندي حيث تصطرع اللغتان الفرنسية والإنكليزية في بعضها فتكون الغلبة الظاهرة للفرنسية لشيء في اللغة الفرنسية يتعلق بالناحية الفنية والذوقية أو الجمالية فيها وشيء يتعلق بالفرنسيين أنفسهم ويجعلهم أقرب إلى الشعوب الملونة من الإنكليز وأكثر مودة لهم أو قل إنهم أقل عداوة للشعب الفرنسي منهم للشعب الإنكليزي.

وقد تناولنا طعام الغداء في مطعم تديره امرأة أوروبية قد علا

وجـهـها صدأ الطقس الحار وربما كانت تعاني مرضاً أو ما أشبه ذلك مما تـركـهـا في منظر غير انيق ويخدم في هذا المطعم خادمتان من المواطنات السود لولا قصور جمالهن عن الإفريقيات لقلت إنهن من هناك.

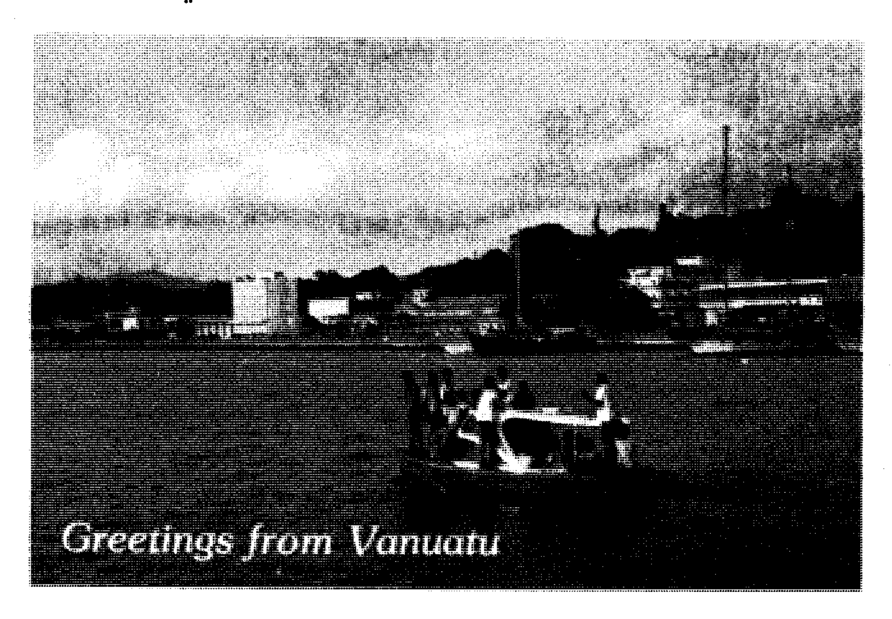
وكان الطعام سمكاً ومعه بعض الخضراوات المطبوخة إلا أنه لم يكن رخيصاً بل بلغت قيمته للوجبة الواحدة ستة دولارات.

جولة في بورت فيلا :

هذه الجولة مع شركة من شركات الجولات السياحية (التورز).

بـدأت في الثانية والنصف ظهراً فجاءت الينا في الفندق حافلة فيها دليل مع السائق وليس فيها من السائحين معنا أحد.

سارت الحافلة مع ضاحية جيدة تناثرت فيها منازل قليلة وأكثر ما في هـذه الـضـاحية الحدائق المنسقة وليس فيها عيب الا ضيق طرقها النسبي وفيها من الأشجار المظللة الكبيرة ماهو أكثر من البيوت التي فيها بكثير.



بلـدة (بـورت فيـلا).

وقد تبين لنا أن الدليل قصد بنا أن نزور فندق(كونتننتال)في هذه البلدة فهو معلم سياحي عندهم في الوقت الذي ليس فيها معالم سياحية مهمة وزيارته في الوقت نفسه فيها من الدعاية للفندق والسياحة للجزيرة مايظنون أنه يفيدهم.

لكن الواقع أن السائح يريد أن يرى الطابع المميز للبلاد التي يصل إليها أي: يريد أن يري ما تنفرد به دون غيرها أو أكثر من غيرها لأنه يشعر بذلك أنه قد رأى شيئاً جديدا وأضاف إلى مشاهداته مالم يشاهده من قبل.

على أن فندق (كونتنتال) هذا يستحق الزيارة لا لأبنيته أو إدارته أو وسائل الراحة الموجودة فيه مثل سائر الفنادق ولكن لجمال موقعه وحسن تنسيقه فيه.



على جسر المشاة في فندق كونتنتال في بورت فيلاً

إذ بنوه على شاطيء خور أي خليج ضيق من مياه البحر مرتفع قليلا يليه خليج آخر صغير يوصل إليه من الخليج الذي عليه الفندق بجسر للمشاة صنعه الفندق حتى يشعر نزلاؤه بأنهم من ذلك في مكان طبيعي بعيد عن غرفهم المصنوعة وفي الخليج الذي يقع عليه الفندق شاطيء رملي أبيض الرمال صالح للسباحة إضافة إلى بركة للسباحة مصطنعة كبيرة.

وفيه عدة مطاعم ومشارب أرونا أياها كلها من باب الدعاية ولم يعلموا أنها لاتهمنا لأننا شاهدنا مثلها الكثير وإنما الذي استرعى انتباهنا وقوع الفندق في مكان خلوي جميل يمكن للنزيل فيه أن يسير مع من يريد إلى أبعد من الفندق في مساحات كلها طبيعية خالية من السكان والسير على شاطيء البحر بلباسه حافياً على الرمال أو بنعال سبتية (شبشب) فيشعر بأنه لم يخالف عرفاً اجتماعياً ولم تثقله الأحذية الثقيلة التي تثقل حامليها أو من تحملهم في هذه البلاد الحارة.

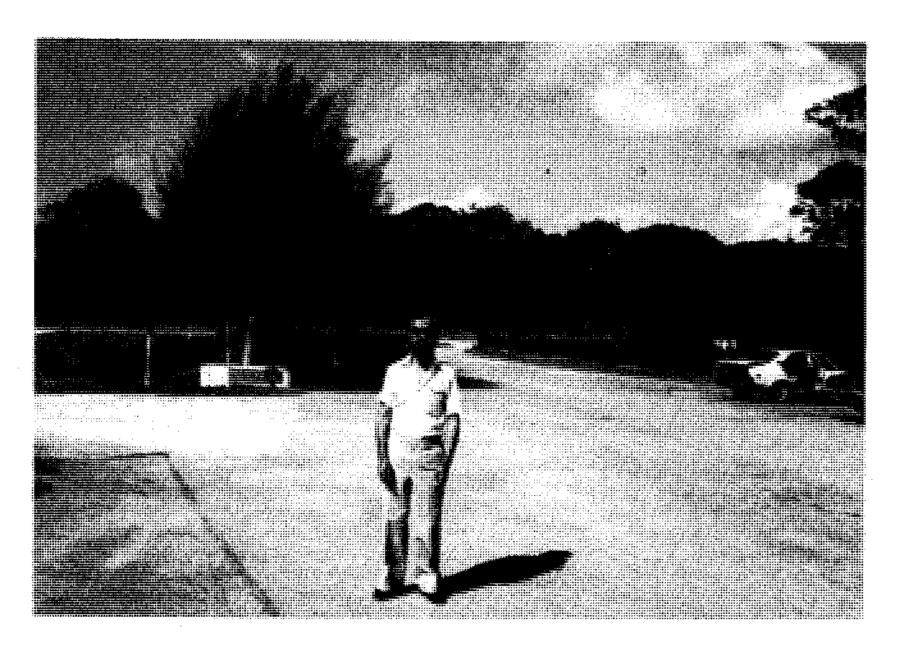
في ضواحي بورت فيلا :

البلدة صغيرة جداً لايزيد عدد سكانها على اثني عشر ألف نسمة ومع ذلك تجدها منثورة في مساحات واسعة من الأرض الخضراء المشجرة المنسقة لوكانت في بلاد مزدحمة السكان كالهند لكفت لمليون ومائتي الف نسمة.

وذلك أن الذين اقاموها من الأوروبيين تعمدوا أن يسكن الشخص منهم في منزل وسط مساحات واسعة من أرض الفضاء الأخضر الذي لايشوب جوه شيء إلا شيء يزينه ولايشينه وهو أشجار كبيرة من أشجار الظل فيكون في بيته كأنه في غابة أو برية وحده وساعد على إبراز جمال المنطقة أنها في رواب متطامنة طبيعية وأنها مطيرة بحيث لايحتاجون إلى سقي الحدائق أوري الأشجار وانما كل مايحتاجونه هو إلى

تنسيقها بقص الزائد منها أو ترتيب غرسها وذلك كان أمراً سهلاً بالنسبة إلى أولئك الأوروبيين المستعمرين لأن أجرة العمال من السكان الاصليين كانت رخيصة وكان الأوربيون في عهد الاستعمار يتمتعون بكل ما يوجد في البلاد من دون معارض أو مناهض.

السجن والأمن :



المؤلف في إحدى ضواحي بورت فيلاً

مررنا في مكان منعزل بين الأشجار الخضر والحشائش الكثيفة ببناء أشار إليه الدليل وسائقه وقالا: إن هذا هو السجن فسألناهما: أفيه سجناه سياسيون؟

فنفيا ذلك وقالا : لايوجد في بلادنا سجناء سياسيون وإنما السجناء كلهم من ذوي الجرائم المعتادة وحتى الجرائم المعتادة فإنها هنا قليلة فالأمن فيها جيد.

ومن أكبر الأدلة على ذلك وجود اعداد كبيرة من السياح من البيض والغرباء وهم ينتقلون فيها بحرية دون خوف أو قلق مما جعلنا نحن الذين لانعرف شيئاً عن حالة الأمن في هذه البلاد قبل الوصول إليها نطمئن إلى مرآهم لأننا في نظر المواطنين أجانب من البيض مثلهم.

الطبيعة المسالمة :

من الغريب العجيب في طبيعة هؤلاء القوم السود من سكان المحيط الهادىء أن طبيعتهم مسالمة وهم أبعد عن الجرائم وإرادة إلحاق الأذى بالآخرين من كثير من الشعوب الأخرى الملونة بل والبيضاء فقلّ أن تجد منهم من يؤذيك أو من يحاول أن يغشك أو يسرق منك شيئاً أو حتى يؤذيك بعرض بضاعته وخدماته.

ولقد كنت أوجس خيفة عندما وصلت إلى هذه الجزر أول مرة في فيجي ثم في نيوكلدونيا ثم هذه الجزر من نظرات السكان الينا التي تتسم بالحدة وشدة التطلع مما ظننت أن ذلك قد يوحي بشيء غير محبوب ثم تبين أن ذلك غير صحيح وأنهم لايريدون إلحاق الأذى بأحد ولا حتى يطمعون فيما ليس هو من حقهم عنده ولكن نظراتهم كانت بدافع حب الاستطلاع.

أين المدرسة الإسلامية؟

والأصح أن نقول : أين المسلمون؟ ولقد قلنا ذلك عند مامررنا في ضاحية أخرى قريبة بمدرسة انيقة مبنية مثل غيرها وسط مساحات من الحشائش الخضر وقال الدليل: إنها مدرسة كاثوليكية فقلنا: واين المدرسة الإسلامية؟ وكان هذا السؤال كالصيحة في الوادي التي تذهب حتى بدون صدى.

فالمسلمون الذين وصلوا إلى هذه الأرض كانوا قليلي العدد بل كان

عددهم محدوداً لم يبلغ به بعض الناس أكثر من عدد أصابع اليد وكانوا جاؤوا إليها عمالاً قليلي ذات اليد، غرباء الوجه واليد واللسان تحت حكم يعطي للمرء أن يتدين بماشاء وان يدعو إلى ما يشاء الدعوة إليه من دين ولكنه يسهل وهذا من حقه الدعوة إلى دينه الذي يعتقده وهو المسيحية.

وحتى أولئك المسلمون من العمال وأشباههم رحلوا وتركوا المكان خاويا منهم، والمجال خالياً لدعاة المسيحية الذين أقاموا المدارس والمستوصفات وصبغوا البلاد بالصبغة المسيحية وادخلوا فيها أكثر المواطنين.

وذلك نتيجة عملهم وثمرة لجهودهم التي لم يبذل المسلمون شيئاً في مقابلها فضلاً عن أن يكون يماثلها.

ثم أرانا الدليل نصباً تذكارياً لضحايا الحرب العالمية الأولى من الفرنسيين في عام ١٩١٤م ويقع بقربه مكتب رئيس وزراء هذه الدولة (وانا واتو) في الوقت الحاضر ولايفصل بينها إلاَّ الأراضي الخضراء ولم يغيروا هذا النصب أو يزيلوه رغم كون المسافة التي تفصل بينهم وبين فرنسا الآن هي اعظم مساحة تبعد البلدين أحدهما عن الآخر على وجه الأرض وذلك للعلاقات الودية القائمة الآن بينهم وبين فرنسا ولحاجتهم إلى استمرار المساعدات الفرنسية لبلادهم.

وفي ناحية أخرى قريبة رأينا مستشفى للكنيسة كبيرة يتردد عليه الناس يقابله بيت رئيس البلاد وبجانبه بيت رئيس الوزراء.

منتزه الاستقلال :

هذا هو الوحيد الذي رأينا تسميته فيها شيء من الوطنية وقد سموه بها بعد الاستقلال وهو حديقة واسعة خضراء الأرض فيها أشجار ضخمة



جانب من منتزه الاستقلال في بورت فيلاً

قديمة منها شجرة تشبه على البعد شجرة (البنسيان) التي نعرفها في المملكة غير أنها أكبر من أية شجرة كبيرة من (البنسيان) عشرات الأضعاف وقفنا بالسيارة تحتها نلقي نظرة على منتزه الاستقلال فقدرت أنه لو وقفت تحتها عشرون سيارة ونزل منها ركابها لكفتهم ظلاً وارفاً خضر الأوراق جميل المنظر.

وقدرت أن هذه الشجرة الكبيرة قد شهدت النماء والحياة قبل أن تشهد هذه الجزيرة وجود الرجل الأبيض.

وتحت هذه الشجرة وماحولها من الأشجار أعشاب كثيفة من (الثيل) أو ماهو قريب منه وكلها تسقى من ماء السماء ولايتكلفون جهداً فضلاً عن النفقة في سقيها.

ولذلك تجد ربى خضراً في هذا المنتزه يصعب أن تكون كذلك

لوكان سقيها يتم برفع المياه إليها في هذه البلاد.

فندق لاقون :

ثم سارت السيارة إلى خليج آخر أو إن شئت قلت باللغة الفصحى التي كان يستعملها أهل الأندلس إلى خور آخر من أخوار البحر في هذه البلاد الذي تحف به أماكن واسعة من الفراغ الذي يكاد يكون خالياً من البيوت وليس فيه إلا الأشجار الخضر الكبيرة.

وعليه فندق آخر قال الدليل إنه فندق لاقون.

وماكان لنا أن نتحدث عن فندق (لاقون) أو غيره من الفنادق إذا لم يكن فيه شيء يحدونا إلى الحديث عنه. غير أن هذا الفندق فيه مايغري بذلك اذْ بنوه كله على هيئة البيوت الشعبية التقليدية لسكان هذه الجزر قبل وصول الأوروبيين ولكن ذلك تم بطريقة متقنة عجيبة



في فندق لاقون في بورت فيلاً

من ذلك أنك ترى غرفة واسعة للمطعم تتسع لمائتي شخص مع الموائد والكراسي اللازمة قد بنيت على غرار بيت يتسع لشخص أو شخصين.

وموقعه أيضاً على شاطيء البحر بين الرمال الناعمة البيض و بين ربى متطامنة خضر وكذلك قد وفروا لنزلائه السباحة في بركة كبيرة اصطنعوها لذلك وفي شاطيء البحر الرملي أيهما اعجب النزيل ولكنه أقل تكلفة وتزو يقا مما في فندق (كونتنتال) الذي سبق ذكره.

وهو مكان جيد للذي يريد أن ينسى العالم و ينساه العالم فيظل فترة في هذا الركن المنسي من عامة الشعب في هذه الجزر المنسية من عامة السكان الذين تطل بلادهم على أطراف المحيط الهاديء العظيم فكيف بغيرهم؟

وظني أن من يقصد أن يكون كذلك فإنه سيكون له ما أراد، وربما كان له أكثر من ذلك إذْ ربما ينسي نفسه حين ينسي همومه في بلاده ومواطن أحزانه.

ولكن، أيستحق هذا الأمر شد الرحال إلى هذه البلاد البعيدة؟ والجواب: لا بكل تأكيد، فهناك أماكن خلوية أقرب وهناك شواطيء جميلة وفنادق ذات مواقع عجيبة لايحتاج الوصول إليها إلى مثل العناء الشديد في الوصول إلى هذا الركن البعيد من أركان المحيط الهاديء العتيد.

المكيف في العشة :

وبجانب الفندق جزيرة صغيرة يوصل إليها من جسر خشبي غير طو يل للمارة وهذه الجزيرة عجيبة أيضاً إذ جعلوا غرف النزلاء فيها في عشش جمع عشة أي أكواخ من القش أو الأعواد مقامة على خشب ناهض من الماء الضحل بجانب الجزيرة من جهة ولاصقة بارض الجزيرة

الصغيرة من جهة أخرى فيكون ساكنها كأنه في البحر وماهو في البحر وكأنه في البر وهو على البحر.



المياه بين الخضرة في بورت فيلاً.

وهو ساكن في كوخ على هيئة أكواخ الأقدمين فهو كوخ حقيقي ولكن فيه وسائل الراحة الموجودة في غرفة الفنادق الرحبة الراقية.

ومن الطف ذلك أنك ترى جهاز التكييف ظاهراً بين الأعواد والخوص لأن النوم داخل الكوخ غير مريح بدون تكييف بسبب الحر، ولأنه اذا نام المرء في الهواء الطلق في الليل فإنه لن يسلم من لدغ بعض الحشرات الصغيرة اللاجئة في هذا الركن من الشاطيء ذي الأشجار الملتفة.

ومن الاشياء التي لفتت نظري في هذه الجزيرة أشجار من أشجار الأثل الأمريكي المسمي بالجزورينا وهي من الأشجار التي تنبت غالباً

في البلاد التي لاتقع تحت خط الإستواء مباشرة وانما تقع على حدود الدائرة الإستوائية مثل شمال نيجيريا.

ولقد هبت الريح خفيفة على هذه الأشجار فبدأ صوتها كصوت الأثل عند ماتهب عليه الريح مما ذكرني ببلادي واشجاني لاسيما أنني حينما رفعت رأسي إلى تلك الاشجار وجدتها لاتختلف في المنظر كثيراً عن الأثل في بلادنا حتى ثمر الاثل الذي نسميه (الكرمع) والذي نستعمله في دباغة الجلود يوجد مثله في الشكل على هذه الأشجار ولكنه غيره فسبحان الله الخالق العظيم.

ومن أحسن ماعملوا أو إن شئت قلت مالم يعملوا في هذه الجزر أنهم تركوها على صغرها تبدو طبيعية من غير تزويق أو تحسين حتى الثمر الذي يسقط من الجز ورينا وأوراق الشجر لم يبالغ في تنظيفه حتى تبدو وكأنها مكان طبيعي لم يطرأ عليه تغيير.



بين الدليلين السياحيين على جسر في الجزيرة الصغيرة في بورت فيلاً

ووقفنا هنيهة في هذه الجزيرة الصغيرة والتقطنا صوراً مع الدليل والسائق وهما يبدوان كالسودانيين ربما لأنهما من منطقة غير هذه الجزيرة.

عندما ابديت لهما من باب المجاملة أنهما يشبهان إخواننا السودانيين الذين هم منا نحن العرب بل هم جزء نعتز به من الأمة العربية أجابا: ربما كان أهلونا قد هاجروا من هناك يريدون من ذلك المجاملة كما كنا نحن به نريد.

إلى ناحية أخرى من المدينة :

عدنا من الجهة الجنوبية والجهة الجنوبية الشرقية مخترقين وسط البلدة الذي نعرفه لأنها صغيرة والمنطقة قليلة الطرق واستمرت السيارة في سيرها جهة الشمال مع الطريق الذي يفضي إلى المطار ولكنها لم تستمر في السير إليه بل اتجهت إلى ربوة على شاطيء خليج بحري آخر ليرينا الدليل مدرسة ثانوية ليس فيها مايستحق التنويه إلا أنه قال: انظروا إلى طالباتها والحقيقة أنهن أحسن لباساً واكثر نظافة وأناقة من غيرهن من النساء اللآتي رأيناهن في أسواق المدينة وهذا طبيعي.

وقد لاحظت شيئاً موجوداً عند أكثر الإفريقيين وغيرهم الذين تقع بلادهم تحت خط الاستواء أو جنوبيه وهو سرعة الضحك وقد ذكرني هذا مالاحظته في طالبات هذه المدرسة الثانوية وطالبات معهد المعلمين والمعلمات وأرانا الدليل إياه أيضاً ذلك أنني مانظرت إلى واحدة منهن وعرفت ذلك حتى ضحكت ولا أدري مصدر ذلك مع أنني لم أفعل أكثر من النظر الذي مصدره حب الاستطلاع وبناء على قول الدليل انظر إلى كذا وهو لايريد من ذلك إلا أن يرينا أن في بلاده مدارس وأن في المدارس طلاباً وطالبات تغلب عليهم الصحة والنظافة.

إلا أنهن مهما بلغن من الضحك للنظرة أو الابتسامة فإنهن لايستطعن

أن ينافسن الفيجيات في هذا الأمر لأنهن ــ أي الفيجيات ــ يضحكن من كل قلوبهن للكلمة التي لا تعد نكتة تستحق الضحك عند الإفريقيات.

ويمكن القول باختصار إن البساطة هي طابع هؤلاء القوم ومما هو معلوم أن البساطة في النساء في أكثر بلاد العالم أكثر منها في الرجال. والمراد من ذلك البساطة في التفكير وعدم التدقيق في التصرف أمام الأجانب.

المختلطون قليل :

ومن ملاحظة الناس خلال هذه الجولة وماقبلها تبين أن المختلطين في المدينة أو من يسميهم الفرنسيون والانكليز (الكريول) هم قليل، وذلك بخلاف ماعليه الحال في (نيوكلدونيا).

وإن كان هؤلاء يوجدون بقلة ويتمثل ذلك في جيل واحد في الأغلب تكون الغلبة فيه لخصائص الجنس الأسود لأنه أقوى في الوراثة ولايميز المختلط من غيره إلا عدم السواد الحالك وأحياناً شيء قليل في استقامة الأنف أو عدم غلظ الجسم في هذه البلاد التي يتسم أهلها الانقياء الخلص بالأجسام الغليظة سواء في ذلك منهم الرجال والنساء ولكن النساء المتقدمات في السن هن أكبر ذوي الأعمار اجساماً وابعدهم عن الرشاقة يضاف إلى ذلك شيء طبيعي في أصل الخلقة من عدم التناسب في أعضاء الجسم فيما تحس به عيوننا وربما كانوا ينظرون إلى الأمر نظرة مختلفة.

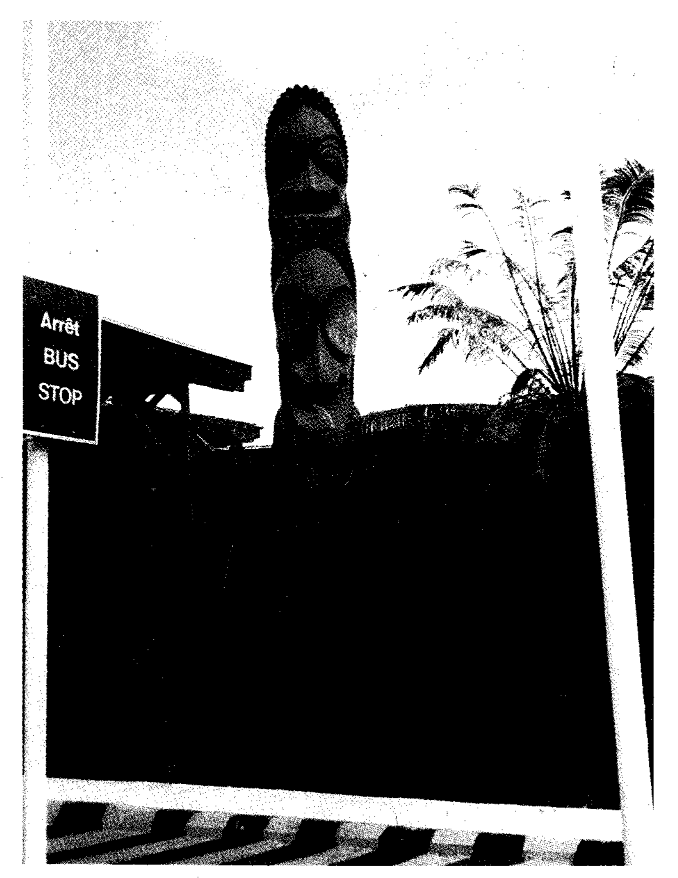
ومررنا في تجوالنا بمبنى الإذاعة فقال الدليل: إن الأذاعة تذيع بثلاث لغات هي الإنكليزية والفرنسية ولغة (بسلاما) إحدى اللغات الوطنية كما نوه بكثرة اللغات المحلية الأخرى في (وانا واتو) وقال: إنها سبعون لغة.

البلد الذي لا تعرف فيه :

عدنا من هذه الجولة الساعة الخامسة فطلبنا منه ألا يوصلنا إلى الفندق وإنما ينزلنا في مكتب الشركة في قلب المدينة لأننا لم نشبع غليلنا من السير في هذه البلدة وبخاصة أننا فعلنا كما قال العرب الأقدمون في أمثالهم (من دخل ظفار حمر) أي من دخل مدينة ظفار تكلم باللغة الحميرية فقد رأينا القوم من سياح بيض ووطنيين سود يقتصرون في لباسهم على السروال القصير ويضعون غطاء خفيفا على الرأس من القماش (فحمرنا) ولبسنا لباسهم ولايناسب هذا اللباس القصير إلاّ (شبشب) أي نعال خفيفة من اللداين اذا سرت فيها سمعت لصفعها قدميك عندما ترفعها وقعاً موسيقيا لاسيما إذا كنت تسير بخطوات منتظمة وقد تطربك تلك الوقعات لا لشيء إلا لكونك قد تحديت التقاليد التي تحرم عليك في بلادك أن تلبس (الشبشب) وان تسير باللباس القصير ولوكان ارتداء ذلك اللباس جائزاً شرعاً فالكل يقول: (كل ماتشتهي والبس ما يشتهيه الناس). وبعد، فإن هذا اللباس هنا هو الشائع فكأنه الذي يشتهيه الناس.

وهذا من حسنات البلاد التي لا تعرف فيها وهو أسهل وأكثر التزاما بالمرؤة من المثل العامي الذي قاله من لامرؤة لديهم وهو (البلد اللي ماتعرف فيها شخ فيها واقف) ونعوذ بالله أن يكون لنا مثل السوء!

ثم دخلنا إلى سوق شعبية صغيرة ليس فيها من الإنتاج الزراعي وإنما كل مافيها أصداف من أصداف البحر وتماثيل صغيرة وقلائد من الودع الصغير وقماش فصلوه على هيئة القمص ــ جمع قميص ــ المحلية وجميع أصحاب هذه البضائع هن من النساء اللاتي يسارعن إلى الحديث مع الغريب وعرض بضائعهن عليه وإن كن في هذا الأمر اقل إسراعاً من نساء فيجي.



مجسم جمالي في احد الأماكن المهمة في بورت فيلاً يشبه الفن الإفريقي.

غير أنـنـي لاحـظـت هـنـا أنهـن لايـبالغن في طلب الشراء أو إحراج الـواقـف عليهن فربما علمتهن التجربة أن بعض الغرباء يريد من الوقوف عـلـى هـذه الـسلع مجرد التعرف لذلك رأيت بعضهن يقنعن منه بالحديث مـعـه ويـسـارعـن إلـى الـضـحـك لـما يقوله، أو هذا ماواجهنا من أمرهن ولاينكرون على من ذهب ولم يشتر.

وهـن فـي كـثـرة ضـحـكـهـن من الكلمة التي يلقيها الرجل الأبيض اليهـن يـشبهـن الإفـريقيات ولا أدري ما إذا كانت مثل تلك الكلمة إذا خـرجـت من فم أحد مواطنيهن السود تجلب لهن الضحك من كل قلوبهن كما يفعلن مع الغريب.

ثم ذهبنا إلى حانوت كبير كتب عليه (سوبر ماركت) مع أنه ليس من السعة بأن يستحق هذا الاسم واشترينا مما فيه فاكهة وعصيراً من عصير الفاكهة وجبنا وأشياء مما يصلح أن يحفظ في الثلاجة فوجدنا أكثر الأشياء التي فيه مستوردة وبخاصة من الفاكهة مع أن البلاد خضراء وفقيرة والمفروض أن تكون منتجة للفاكهة التي تصلح في أجواء مماثلة لجوها، ولكن هكذا المتخلفون في العمل أو الادارة كثيراً مايشكون من الفقر وعدم وجود النقود مع أنهم ينفقون نقودهم على أشياء يستوردونها من خارج بلادهم كان بامكانهم أن ينتجوها عندهم أو ينتجوا أشياء أخرى يقايضون بها في قيمة المستوردات وبالنسبة إلى هذه البلاد فإن عدد السكان قليل والامطار كثيرة والمياه متوفرة ومع ذلك كانت أقيام الفاكهة التي اشترينا منها غالية.

يزيدك وجهه حسناً

ذكرت بيتاً قديماً مما كنت أحفظه يقول في وصف جميل:

يزيدك وجهه حُسناً
كلما زدته نظراً

أي : كلما كررت النظر إلى وجه تلك الجميلة رأيت فيه جمالاً متجدداً من فرط جماله. والمعروف أن القبح على عكس الجمال في ذلك إذ ما أن تألفه العين حتى يخف وقعه على النفس أو على الأقل يألفه النظر فلا يعود يستبشعه كما كان يحس به من قبل لاسيما إذا كان النظر لايقع على جمال بعده.

وهذا أمر جربته بنفسي في خلال تجوالي في بلاد كثيرة اذْ ما أن أصل إلى بعضها فأرى فيه شيئاً غير جميل وبخاصة في وجوه الأناسي أو النباتات فأستثقل ذلك وانقبض إلى أن يخف ذلك الشيء في نفسي على طول النظر إليه إلا أنني شعرت هنا بخلاف ذلك بالنسبة إلى

مواقع الجمال في هذه البلاد فعدا طبيعتها الجميلة من الاخوار التي تتدرج منها التلال والربى الخضر فإن القبح الموجود في مواطن يلتمس فيها الجمال لايزال يزيد على النظر.

فكأنها عكس ماجاء في البيت السابق.

بعد الغروب :

سنغادر هذه البلاد في صباح الغد ولذلك كنا نحاول أن نرى من أمرها كثيراً في وقت قصير ومن ذلك أننا ذهبنا بعد المغرب مباشرة من فندقنا الودود الذي من العجب أنه لايوجد عليه باب من جهة الشارع وإنما هو موقف للسيارات يفضي إلى حديقة صغيرة كلها مفتوحة عليها الغرف ولايوجد حراس أيضاً وهذا أمر عجيب من أمر هؤلاء القوم الذين يرميهم بعض الناس بالتأخر مع أن ماوصلت إليه بلادهم في الأمن لا تزال تتطلع إليه كبريات المدن المتمدينة في العالم بل لا تصل آمالها إليه.

و يتبادر إلى الذهن هنا الحال في مدن الولايات المتحدة الأمريكية أرقى دول العالم مادياً وأقواها إقتصادياً وصناعياً وهو أن المرء لايستطيع أن يسير وحده بعد غروب الشمس في أكثر شوارع مدنها أو لايستحب له ذلك لكثرة ما يتعرض له من نهب أو سلب لايقتصر عليه الأمر في أكثر الأحيان وإنما يصحبه اعتداء وايذاء جسدي.

سرنا مطمئنين اذاً في الشارع الرئيسي الذي يكاد يكون الشارع الوحيد الذي يقسم البلدة من الجنوب إلى الشمال وعليه فندقنا ولم نكن أنا وزميلي الشيخ محمد بن قعود قد تعرفنا على أحد في هذه البلدة.

كان عدد المارة قليلاً في الشارع فلما وصلنا إلى قلب المدينة كانت موحشة أو شبيهة بالموحشة فليس فيها مكان مفتوح الآَّ ماكان من أمر

مطعم أو مطعمين ومقهاة عند موقف لسيارات الأجرة.

والقليل من المواطنين الذين كانوا يقابلوننا كانوا في غاية من التهذيب وعدم التعرض للآخرين.

ولم نشهد أية آثار من آثار حياة الليل في المدينة ولم نر أية امرأة عليها مظاهر مايكون على نساء الليل من مظاهر في بعض البلاد المنحلة. بل كانت المدينة تشعرك كأنما اقفرت من سكانها في الساعة التي تلي ساعة الغروب.

لا مسلمين في واناواتو :

كنا سألنا قبل أن نصل إلى هذه البلاد كل من لقيناه من المهتمين بالدعوة الإسلامية من البلاد المجاورة لها عن المسلمين فيها فكلهم أجاب: بأن لامسلمين فيها.

وعندما وصلنا لم نجد من يعرف شيئاً عنهم وإنما أخبرنا الدليل السياحي أنه لايوجد فيها مسلمون في الوقت الحاضر إلا بعض البهائيين وهم ليسوا بمسلمين بل هم كفار خارجون عن الملة، وإنما زيفوا على ضعفاء البصائر وأشباههم.

وكنت قد أخبرت أنه كان يوجد في جزر واناواتو قلة من المسلمين من الذين كانوا في فيجي جاؤا إلى هذه الجزر للعمل غير أنهم هاجروا فأصبحت كلها دار كفر خالص.

ويمكن أن يقال عن العرب مثل ذلك أو أكثر منه فمن أين يأتي العرب إلى (جزر نيوهبريدز)؟ أو (وانا واتوا) ولماذا يأتون؟

ورغم وجاهة هذا السؤال الذي تفرع إلى سؤالين فإنه قد بلغنا أنه كان فيها مرة عربيان اثنان وبعضهم قال ثلاثة من العرب كانوا قد

جاؤا إليها من جزر (نيوكلدونيا) المجاورة ولكنهم هجروها الآن فأصبحت خالية من العرب كما قد خلت من المسلمين.

يوم الثلاثاء : ١٤٠٣/٥/٢٣هـ ١٩٨٣/٣/٨م.

مغادرة بورت فيلاً :

هذا الصباح هو موعد مغادرة هذه البلاد الودود (نيوهبريدز) أو (وانا واتو) كما اصبحت تسمى الآن وكان من المقرر أن نقيم فيها أكثر من ذلك غير أن ضياع يومين أو ثلاثة علينا بسبب الإعصار الذي اجتاح جزيرة فيجي اضطرنا إلى أن نغير من خطتنا في الإقامة والسفر.

كنا قد نمنا مبكرين الليلة البارحة ولذلك صحوت قبل الفجر وكأنما كان كثير من القوم مثلي ينعسون مع مغيب الشمس وينهضون مع نهوضها.

وقبل الشروق الهادىء كنا نصحي رجلاً في غرفة قد أغلقها على نفسه هو صاحب الفندق ليتسلم الأجرة ثم كنا نغادر الفندق مع سائق سيارة أجرة بسيط سمح النفس كأكثرهم فكانت اجرته إلى المطار ثلثمائة وخمسين فرنكا اي حوالي أربعة دولارات الاربعا وهي أقل من الأجرة التي اخذها صاحب الحافلة الصغيرة التي أوصلتنا إلى الفندق عند القدوم.

ولم يكن قد قدم إلى هذا المطار الصغير أناس كثير في هذه الساعة التي حضرنا فيها وهي السادسة والنصف ونحن مشفقون من الا نجد مكاناً في الطائرة المسافرة منها إلى (جزر سلمون) لأننا سنضيع وقتاً إضافياً نحن بحاجة إليه وننفقه في حالة التأخير فيما لانحتاج إليه لأن لارحلة أخرى إليها إلا يوم الخميس ولكن سرعان ماوزن حقائبنا رجل وطني أسود ودود كسائر الناس في هذه البلاد. وقال انتظروا هنا.

وانتظرنا في هذا المطار الصغير والموظف الودود يزن أمتعة في ميزان لديه صغير خفنا من الا تحملها طائرتنا الصغيرة التي أخبرنا المكتب في المدينة بصغرها ولكن تبين أننا مخطئون اذْ ما أن خرج بعض الناس إلى ساحة وقوف الطائرات وكانت فيها عدة طائرات صغيرة واردنا أن نخرج بدون إعلان حتى صدنا الموظف الذي هو كان على المكتب وهو الذي يقف عند بوابة الخروج وقال: سفركم لم يحن بعد.

فسألنا عن وجهة هذه الطائرة؟ فقال: إنها وأخرى بعدها قبل طائرتكم مسافرة إلى إحدى الجزر الداخلية.

ولو قيس هذا المطار الصغير ومافيه من أدوات صغيرة بأخلاق أهله وحسن معاملتهم لفاق كثيراً من المطارات الكبيرة بل العالمية وعند السابعة والنصف كان الموظف يشير إلينا أن هلموا إلى الطائرة.

وتحركت الطائرة الصغيرة في السابعة والدقيقة الأربعين وقال الطيار للركاب: إننا نسافر إلى جز يرة (سانتو) حيث نمر بضباط الجوازات ثم من هناك نسافر إلى هدفنا وهو مدينة (هونيارا) عاصمة (جزر سلمون).

الطائرة صغيرة ذات محركين مروحيين فيها ستة عشر مقعداً كل صف منها فيه مقعدان بينهما الممر فالراكب في أي مكان منها يكون على النافذة. وهذا حسن لمن ير يد النظر منها إلى الأرض والاطلاع على ماتحته.

وقد كتبوا عليها (سول ابر) أي: خطوط (سلمون الجو ية) و ينطقون بها قريباً مما ينطق بكلة (سو الأير) ولكن بدون همز وهو نطق يجعلها ذات معنى سواء أكان ذلك لمعنى الأير في الفصحى لاسيا إذا كان (أير سؤ) أو في الانكليزية إذا كان معناه الهواء الجوي وكانت كلمة سؤ بالعربية فمعناه هواء السوء: أو الجو السيء.

وأياً ماكان الأمر فإن من أسوأ مافيها أنها ليس في مكان القيادة فيها إلا رجل واحد هو قائد الطائرة ومضيفها وملاحها وكل من يعملون فيها إن صح التعبير وهو رجل متقدم في السن أقدر أن عمره في حدود الستين عاماً فماذا لو حدث له مكروه وهذه الطائرة الصغيرة البطيئة تطير فوق غياهب المحيط الهاديء؟

وذكرت بهذه المناسبة طائرات صغيرة مثلها وأصغر منها ركبتها عدة مرات في الولايات المتحدة الأمريكية وذكرت حديثها في كتاب (وراء العمل الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية) وكيف أن الطائرة منها على صغرها لابد أن يكون فيها مع الطيار طيار آخر يساعده و يقوم مقامه في توجيه الطائرة إذا ماحدث له أي مكروه مع أن معظم طياري تلك الطائرات الصغيرة في الولايات المتحدة لم يصلوا إلى سن الكهولة مثل هذا الطيار الوحيد.

على انني جربت في إفريقية وأمريكا الوسطى ومدغشقر الركوب في طائرات مثلها صغيرة ليس فيها إلا طيار وحيد. أما الركاب فإنهم ذوو المظهر الأوروبي إلا واحداً يظهر على وجهه أنه آسيوي قديم السكنى في هذه المناطق وليس فيها نساء إلا امرأة بيضاء مع زوجها ومعهما طفل ومع ذلك فقد سمعنا صوتاً نسائياً يرشد الركاب إلى كيفية استعمال حزام النجاة الموجود أمام الطائرة في حالة الهبوط الاضطراري في البحر وتبين أن تلك التعليمات إنما هي مسجلة بصوت نسائي لأن الطيار وهو العامل الوحيد في الطائرة لايستطيع أن يغادر مقعد القيادة ليرى الركاب كيف يستعملون الحزام.

وحومت الطائرة في طيران مريح هاديء وجو مكيف رغم صغرها فما عليك إلا أن تفتح صمام التكييف بجانبك حتي ينبعث منه الهواء البارد المريح.

ولم يكدر طيرانها إلا خفة وزنها كالذي يتبين من اضطرابها عند ماتضطر إلى ملامسة قطع من الغيم الخفيف في الجو.

إلى جزيرة سانتو:

هذه الجزيرة إحدى الجزر الرئيسية في دولة جزر (وانا واتو) الشاردة في مياه المحيط الهاديء ربما مثل شرود طائرتنا الصغيرة هذه في جوائه. أو هذا هو ماكان به يشعر البحارة الأوائل الذين كانوا يبحثون عنها في سفنهم الشراعية من دون خرائط دقيقة.

وبعد طيران قصير فوق الجزيرة التي تكتظ بأشجار النارجيل بدت تحتنا مباشرة مياه المحيط الزرقاء الداكنة لأنها عميقة لم يصل إلى عمقها أحد من البشر وعاد سالماً لأنه إذا سلم من الأسماك المتوحشة ومن الغرق بسبب نقص الهواء فإنه لن يسلم من التمزق وتفجر العروق بسبب ضغط المياه الهائل فوقه.

ومع ذلك بدت في خضم هذه المياه العميقة جزيرة صغيرة خضراء السطح لم أر فيها أثراً للعمارة ثم توجهت الطائرة جهة الشمال الشرقي إلى جزيرة سانتو وبدت على أيماننا جزر صغيرة بعيدة أخرى ثم لجحت الطائرة في سماء المحيط فاصبحنا لانرى إلا زرقة السماء والماء حتى السحاب الذي كان يؤنس وحشة الطائرة قد ابتعد أيضاً وكأنما هو يتبع الحياة على ظهور الجزر الجبلية فأصبحنا بين محيطين من الهواء والماء لايعلم عمقها فضلاً عما يحيط به ذلك العمق إلا الله سبحانه وتعالى الذي أحاط علمه بكل شيء.

ثم لمحنا على البعد شواطيء جزيرة داكنة اللون لاتكاد تميز سطحها على البعد عن سطح المحيط الداكن ثم أخذنا نطير فوقها إلى أن أعلن الطيار بعد مضي ٤٥ دقيقة أننا نطير الآن فوق جزيرة (سانتو) وهي

جزيرة جبلية خضراء ذات شواطيء عميقة المياه في منظر مخيف من الطائرة لأنك لاتلمح بين الشاطيء وبين المياه الداكنة في البحر فاصلاً إلا أنها خضراء كثيفة الإخضرار وربما كان ذلك بسبب ارتفاع جبالها فيما نراه منها وتبدو الطرق من خلال الأشجار الكثيفة التي تشبه أشجار الغابات ترابية بيضاء.

ومن المنظر اللطيف أنه بالقرب من أحد هذه الشواطيء الداكنة المياه التي لاتربة فيها رأينا جزيرة صغيرة ذات شاطيء رملي وعليها بعض البيوت المسكونة على صغرها بخلاف شواطيء الجزيرة الكبيرة المقابلة لها الخالية من البيوت فكأنها قد اختيرت للسكنى بسبب ضحالة المياه في شواطئها بخلاف الشاطيء الرئيسي للجزيرة الكبيرة التي لايفصلها عنها إلا مسافة قصيرة من المياه العميقة.

وعندما قربنا من النزول في مطار جزيرة (سانتو) كثرت الجزر الصغيرة في البحر وأصبح جزء من الشاطيء رملياً تحف به مياه ضحلة وظهرت العمارة فيه ولكن من دون كثافة.

وكان منظر شاطيء الجزيرة الرئيسية من هذه الناحية جميلاً إذ هو الخضرة الشاملة على الأرض التي اكتظت بأشجار النارجيل الملتفة الريانة الفروع يليها شاطيء رملي أبيض الرمال فمياه ضحلة زمردية اللون تليها مياه المحيط العميقة الزرقاء. كما أنها مثل (بورت فيلا) تكثر فيها الخلجان البحرية الخضر.

وتبدو المنطقة حول المطار مثل منطقة (بورت فيلا) متسعة تكثر فيها الزراعة ويقل فيها السكان بالنسبة إلى مساحتها الكبيرة.

في مطار سانتو:

بعد طيران استمر خمسين دقيقة هبطت الطائرة في مطار تحف به

رواب ٍ مكتظة بغابات النارجيل فهو يشبه مطار العاصمة (بورت فيلا) في هذا الأمر وهو مزفلت المدارج وفيه طائرتان صغيرتان مثل طائرتنا.

نزلنا إلى مبنى المطار الذي هو صغير جداً إلى درجة ملحوظة بحيث أن القاعة التي يسافر منها المسافرون إلى خارج البلاد لايزيد طولها على خمسة امتار وعرضها عن أربعة وهي مفتوحة ممايلي البلد لأن الركاب العابرين مثلنا لانختم جوازات الخروج لهم إلا بعد مغادرتهم إلى الطائرة وفي هذه البناية الصغيرة مقصف يقدم المأكولات الخفيفة والمشروبات السريعة لاتزيد مساحته على مترين في مترين ومع ذلك فيه امرأتان تعملان ومامن زحام عليه وهاتان المرأتان مثل غيرهما من سكان المنطقة سوداوان تشبهان نساء إفريقية مع الفروق العجيبة.

لقد استغربت اسم الجزيرة الذي يدل على أنه غربي (سانتو) وصح ماتوقعته اذْ وجدتهم كتبوا بجانبه اسمها الوطني (بيكوا).

لبثنا ثلاثين دقيقة في المطار انتهزتها فرصة للتمشي فيما حوله ممايلي البلدة فرأيت المنطقة حديقة واسعة فيها أشجار ضخمة الجذوع بحيث يمكن أن يكون غلظ جذع الواحدة في غلظ غرفة سعتها ستة عشر متراً وقد التقطت صوراً لبعض هذه الأشجار العجيبة.

أما السكان الذين رأيتهم هنا فإنهم الجنس (الهاديء) نسبة إلى المحيط الهاديء ونسبة إلى هدوء طباعهم أيضاً وغلبة السماحة على تصرفاتهم إلا أن السواد هنا يبدو أنه أغلب على السكان من السواد في منطقة العاصمة فإذا لم يكن ذلك وهماً فإنه ربما يكون سببه أن هذه الجزيرة أقرب إلى جهة خط الاستواء لأنها تقع إلى الشمال الشرقي من منطقة العاصمة.

والقرب من خط الإستواء يجلب السواد للسكان إلا اذا كانوا من الجنس الصيني أو ممن هم قريبون منه.



إلى جزر سلمون



جزر سلمون (Solomon Islands)

معنى اسمها : جزر سليمان، لأنها مضافة إلى اسم مكتشفها وهو إسباني اسمه سلمون أي سليمان وقد آثرنا تسميتها المشهورة (جزر سلمون) على جزر سليمان لأن هذه ترجمة لاسمها المشهور الرسمي (جزر سلمون).

وهي تشتمل على ست جزر رئيسية وعلى عدد من الجزر الكبيرة و بعض الجزر الصغيرة التي لا تمتد أكثر من بضعة أمتار وتقع في جنوب المحيط الهاديء وتعرف بجزائر المرجان في سلسلة من الجزر تمتد من خط العرض ٥ إلى خط العرض ١٣ درجة جنوب خط الإستواء.

وتتميز بجو حار رطب و يفد إليها الآف من السائحين ومستوى المعيشة فيها غال بالنسبة لغيرها من جزر جنوب المحيط الهاديء.

وعاصمتها هي هونيارا (HONIARA) التي اشتهرت أثناء الحرب العالمية الثانية لوقوع معركة تاريخية فيها بين اليابان وأمريكا وحلفائها في عام ١٩٤٢م وفيها غابات كثيفة توجد فيها أنواع من الطيور النادرة تبلغ ١٨٠ نوعاً وكذلك فيها تماسيح وثعابين من مختلف الأحجام والأشكال. وجوها كثير المطر.

وأغلب السكان مسيحيون وكان فيها عدد من المسلمين من الإندونسيين والعرب الجزائريين الذين كانوا قدموا إليها من (نيوكلدونيا) وقد رحلوا فلا يوجد لهم أي أثر في الوقت الحاضر.

وفي حالة وجود داعية متجول يدعو إلى الإسلام فإن هناك إمكانا لنشر كلمة الله بين السكان وخاصة بين سكان جزيرة مليتا (MALAITA) لسهولة طباعهم وأكثر السكان مسيحيون وهناك مجموعة أخرى من السكان تدعى لانجا لاجون ــ (LANGA LAGOON) يعيشون

في غابات فوق جبال شامخة ولم يتأثروا بالمسيحية كثيراً يمكن تقريبهم إلى الإسلام بشرط أن تتوفر لذلك جهود إسلامية مخلصة.

ويشتغل معظم السكان بالزراعة في جزر سلمون والمحصولات الرئيسية هي جوز الهند والكاكاو والأرز.

وعدد سكانها ٢٦٠ الف نسمة منهم ٢٢ ألفاً يسكنون في العاصمة (هونيارا).

يوم الثلاثاء ١٤٠٣/٥/٢٣هـ ١٩٨٣/٣/٨م.

من سانتو إلى هونيارا :

قامت طائرة خطوط سلمون الجوية الصغيرة التي تسمى اختصاراً (سول اير) كما تقدم من جزيرة سانتو في (وانا واتو) في الساعة التاسعة صباحاً.

وكنت سألت الطيار وهو يقف عند باب الطائرة الصغيرة يُركب الركاب عن المدة التي يستغرقها الطيران إلى تلك الجزر؟ فأجاب إنها ساعتان ونصف قال ذلك بلهجة امريكية فظننت أنه أمريكي كما أن إخراج الكلمات من فمه يشبه كلام الكهول في أمريكا فهو كهل يبدو ذلك واضحاً من مظهر جسمه ومن شعر رأسه المصبوغ صبغاً غير متقن.

ومع ذلك سوف يطير بنا في طائرة صغيرة بين أطباق السحب وفي أجواز الفضاء فوق مياه المحيط الهادىء التي لم يصل إنسان إلى أعماقها حياً أبداً ولمدة ساعتين ونصف وهو وحده لامساعد ولامعين إذا حدث شيء له أو لطائرته.

وكان هذا خاطراً مكدراً ولكننا لانستطيع أن نفعل شيئاً إلا أن

ندعو الله سبحانه وتعالى ونكثر من الدعاء أن يجنبنا المخاطر و يوصلنا إلى جزر سلمون سالمين.

وما أقرب كلمة سلمون من كلمة (سالمون) في حالة الرفع وتذكرت أن هذا الطيار رجل كهل و يتردد مستمراً في قيادته للطائرات لم يحصل له شيء.

قال الطيار والطائرة تدرج على أرض المطار: ههنا في هذه الخزانة يوجد بعض الساندو يتشات والشراب المعلب البارد وفي مؤخرة الطائرة يوجد حمام صغير وسوف يستمر طيراننا إلى هونيارا ساعتين ونصفا.

هذا ولم يزد عدد الركاب عما كانوا عليه بل نقصوا واحداً لذلك وجدت كرسياً خالياً جلست خلفه و بسطته لاضع عليه رجلي ممتدة اذا مللت من الكتابة.

وكانت الكتابة هي الملاذ الوحيد من الملل والرتابة في الطيران طول الرحلة ولقد نعس بعض الركاب ثم شبعوا نعاساً وشربوا من هذه الاشربة المعلبة من دون أن يقدمها لهم أحد لأن الطيار لم يغادر مقعد القيادة وكان يستطيع أن يتناول من هذه الأشربة وهو جالس فرأيته يواصل شرب العصير ولا أدري أذلك لقصد منه أم لوجود العصير البارد في متناول اليد ولم أر أحداً من الركاب كلم الطيار ولاهو كلم أحداً.

كان مقعد المساعد في الطائرة شاغراً ودفة القيادة الإضافية فيه تتلفت يميناً وشمالاً بصورة آلية كلما أدار الطيار الدفة التي أمامه إلى جهة من الجهات ولم نسمعه حتى يكلم مطارات أخرى اللهم إلا اذا كان يفعل ذلك ولا نسمعه مع أنني اقرب الركاب إليه لأن في اذنيه مسماعين وأمام فمه مكبر للصوت ممتد منهما طول الرحلة.

والمنظر نفسه كان مملاً اذْ هو زرقة المحيط العظيم لا تشوبها شائبة إلا من غيْوم شاردة متفرقة ربما كانت تشعر بالوحدة في جواء هذا المحيط الكبير كما نشعر نحن بذلك من داخل طائرتنا الصغيرة.

والملفت للنظر أن الطائرة كتب عليها كلها (التدخين ممنوع) ولذلك لم يدخن الطيار نفسه طول الرحلة فلا أدري اذلك التزام منه بالإعلان الموجود في الطائرة أم أنه هو لم يكن يدخن في الأصل.

وحتى محركات الطائرة كانت تواصل أزيزها على وتيرة واحدة فتجلب النعاس للراكب كما يفعل من يكون عند الرحا وهي تواصل الطحن، وفي هذه الحالة يكاد يخيل للمرء أن الطائرة واقفة لأنه إذا كان لايوجد في المنظر إلا زرقة المحيط وليس هناك مايتحرك بقرب الطائرة أو حتى أي شيء قريب منها ولم يكن يتحرك فإن طيرانها لايبين.

وحتي اتجاه الطائرة فإنه فيما يبدو لم يتغير كثيراً فهو إلى الشمال الشرقي والسير إلى تلك الجهة في مثل هذا الوقت من الضحى لا تدخل الشمس إلى اية جهة من جهات الطائرة فيخيل إليك أيضاً أن الشمس كذلك لا تتحرك.

في مطار هونيارا :

قطع قائد الطائرة صمته وقال بعد مضي ساعتين وثلث من الطيران: نحن نطير الآن فوق جزر سلمون وتستطيعون أن تشاهدوا من الجانب الأيسر من الطائرة (قنال كذا) يريد بذلك القناة التي وقعت فيها المعركة الحربية الكبيرة بين السفن اليابانية والأمريكية إبان الحرب العالمية الثانية فجزر سلمون من الأماكن التي تردد ذكرها كثيراً في تلك الحرب كما يعرفه من عاشوا أخبارها في ذلك الحين.

وصرنا نطير فوق جزيرة خضراء فيها عدة أنهار ذاهبة إلى البحر إلا أنها ليست غزيرة المياه وغابات ملتفة من أشجار النارجيل، وهي ذات جبال عالية يتلبد السحاب فوقها أكثر مما هو على مياه المحيط وربما كان ذلك لكونها عالية.

وكانت الطائرة تحوم فوق الجزيرة وأنا أرثي لهؤلاء القوم الذين تحاصرهم مياه المحيط العميقة في هذه المنطقة الاستوائية أو الشبيهة بالاستوائية حيث لا تتغير الفصول ولايتجدد الزمن فهم من ذلك أيضاً في فصل لايتغير ومناظر لا تتغير والوان لا تتغير لأنهم ليسوا على طريق من طرق المواصلات الدولية الهامة وإنما يأتي إلى جزرهم من يقصدها قصداً لسياحة أو عمل، وقليل ماهم.

وبعد أن مضت الساعتان والنصف التي ذكرها على بدء الطيران أضاء ربط الحزام ثم بدأ باختراق غيوم بيض قد انعكس ضوء الشمس على ذراها فاخترقها إلى جبال خضر عالية بعدها أرض حقول مهذبة مزروعة وفي الوديان وسفوح الجبال أشجار كثيفة من أشجار النارجيل.

ثم هبط في مطار ضيق المدرج غير أنه مزفلت ولابأس بطوله وفيه ثلاث طائرات صغيرة اثنتان منها أصغر من طائرتنا.

ودخل إلى الطائرة رجل أسود كالإفريقيين في اللون فرش باطن الطائرة بمبيد للحشرات وكان مبنى المطار يبدو صغيراً على البعد فلما دخلناه وجدناه أصغر من ذلك ولم نكن نحمل سمة دخول إلى جزر سلمون فأعطانا إياها ضابط الجوازات بسهولة.

ومن الطريف أن الضابط لم يكن معه إلاّ قلم رصاص يسجل به أسماء الركاب القادمين فأعطاني إياه لأكتب به اسمي، ثم قال: أعطني قلمك الناشف أحسن، فلما أعطيته إياه كتب به ووضعه في جيبه ولم

يرده وهو قلم جيد إلا أنني كتبت فيه كثيراً في هذه الرحلة حتى أوشك حبره على النفاد.

الصعوبة في التفتيش

الصعوبة التي كنا قد أوجسنا خيفة منها كانت من اجل عدم الحصول على (التأشيرة) اذْ كانت السفارة السعودية في كانبرا عاصمة استراليا قد كتبت إلى السفارة البريطانية البلد الذي كان يستعمر (جزر سلمون) من قبل فلم تمنحنا التأشيرة وقالت: إنه يمكن الحصول عليها في المطار وقد حصلنا عليها بالفعل.

ولكن الصعوبة غير المتوقعة كانت عند ضابط الجمارك فقد طلب أن يفتش حقيبتي الكبيرة رغم رؤيته جوازي السياسي ولم أرد أن أقول له شيئاً ذلك بأنني لا أحمل أي شيء لايحسن أن يطلعوا عليه وحتى الهدايا اللطيفة التي كنت أحملها كلما سافرت مثل الساعات غير الغالية والاقلام وأجهزة الراديو الصغيرة كانت قد نفدت كلها اذْ وزعتها في استراليا ونوزيلندا وفيجي وآخرها جهاز صغير أعطيته الأخ صلاح الدين أبو الليل بمثابة التذكار في نيوكلدونيا.

غير أن تفتيش حقيبتي لم يحصل لي منذ أن حملت الجواز السياسي قبل عدة سنوات طفت خلالها جميع قارات الدنيا الست والبلاد التي لا تنتمي إلى واحدة منها وان الحقت من الناحية السياسية الشكلية بإحداها مثل نيوزلندا وفيجي ومدغشقر ومورشيوس ومالديف.

ولم يحدث مرة واحدة أن فتشت امتعتي حتى في الاقطار القصية التي ليس في بلادي لها تمثيل سياسي ولا اي نوع من أنواع العلاقات مثل بيرو وتشيلي في أمريكا الجنوبية وجاما يكاوترينداد في البحر الكاريبي وبناما وكوستاريكا في امريكا الوسطى وحكومات افريقية

كلها إلا مرة واحدة كانت في مطار دلهي في الهند من (سيخي) متعصب استطعت أن أوقفه عند حده لأنني أحمل تأشيرة دخول سياسية من سفارة بلاده في المملكة وكان بصحبتي مندوب من السفارة السعودية في دلهي كان في استقبالي في المطار.

واليوم هذه هي المرة الثانية ولم أبال بذلك فالقوم ربما كانوا لفقرهم يسترزقون من تفتيش الركاب القادمين جميعهم وربما لايدركون الاعراف السياسية تمام الإدراك.

على أنه من الإنصاف وتبيان الحقيقة أن نقول إن الجواز السياسي لايعفي حامله من التفتيش إلا في البلد الذي يعمل فيه مبعوثا من حكومته وأما في غيره من البلدان كما هو في مثل حالتي هذه فإن القانون الدولي يجيز لضابط الجمرك تفتيش الحقيبة.

لم يجد في حقيبتي الكبيرة الا تفاحات قليلة وعدداً من فاكهة لا أعرف اسمها اشتريناها من (بورت فيلا) ووضعناها في الثلاجة وبعض الليمون من البنزهير الصغير كنا نعصره على الماء من باب الاحتياط وازالة الشك من التلوث.

والغريب أنه لم يفتش الحقيبة اليدوية التي تكون فيها الأشياء الثمينة في العادة وإنما اقتصر على تفتيش الكبيرة وكذلك فعل ضابط آخر مع زميلى الشيخ محمد بن قعود.

ولكنهم والحق يقال كانوا في غاية الرقة والتهذيب في المعاملة حتى كانوا هم الذين يعيدون ترتيب الأشياء داخل الحقيبة حتى يعيدوا إغلاقها.

خرجنا من قاعة القادمين في المطار نتوقع أن نرى جمهوراً من الناس

فيه قد يعطينا صورة عاجلة أو نظرة عاجلة على الصورة العامة في هذه البلاد التي كنت مشتاقاً إلى رؤيتها منذ زمن طويل ولكننا لم نجد في المطار كله إلا امرأة واحدة جالسة.

ووقفنا وحدنا لم يكن حولنا أحد وحاولنا أن نجد سيارة أجرة فلم نستطع فرجعت إلى ضابط الجمرك الذي كان قد فرغ من عمله وقلت له: كيف نذهب إلى المدينة؟ فقال: الباص الباص: ولم نر باصاً ولا غيره وإنما رأينا سيارة أجرة أقبلت فاسرعت إليها فاعترضني من داخلها امرأة من أهل البلاد وهي تقول بلطف: هذه لي أحضرتها من المدينة لأستقبل بها ضيفي هذا وأشارت إلى رجل أبيض خارج إليها لم نره من قبل ثم اعتذرت عن هذا الصدد والرد عن سيارة الأجرة وتركتنا في حيرتنا.

وتذكرت في هذه المناسبة حادثة أخرى وقعت لي في موزمبيق مشابهة لهذه حيث لبثت هناك مدة ساعتين لم أجد من ينقلني إلى البلد بأجرة لأن تلك البلاد شيوعية لا توجد فيها سيارات للأجرة ولاحافلات وان كان الفارق كبيراً بين الحالتين فهذه البلاد (جزر سلمون) ليست شيوعية ولكن استعمال المطار فيها قليل لقلة عدد سكانها وفقرهم. وقد قصصت قصة الرحلة إلى موزمبيق في كتاب (صلة الحديث عن إفريقية) المطبوع.

في مدينة هونيارا :

حضرت حافلة الشركة الصغيرة الموعودة وهي الباص وفيها أربعة من المواطنين هم العاملون في المطار يريدون الدخول إلى المدينة لأنهم لايتوقعون وصول طائرة أخرى فحملونا معهم إلى هونيارا ودفعنا أجرة الحافلة دولارين من دولاراتهم التي تقل قليلاً في القيمة عن الدولارات الامريكية.

ونزلنا في فندق هونيارا (هونيارا هوتيل) وهو فندق من الدرجة الثانية الجيدة أو من الأولى غير الجيدة وأهم مايحتاجه النزيل في مثل هذه البلاد الحارة الرطبة أن تكون الغرفة مكيفة وفيها ثلاجة صغيرة وهذا موجود في الغرف إضافة إلى موقع الغرف وسط حديقة جيدة في الفندق.

وقد أنسنا في هذا الفندق باستقبال أهله وبخاصة امرأة عاملة فيه كبيرة السن من أهل البلاد أما الفندق فإن أهله من الصينيين وبوجود طائفة من النزلاء من البيض ذوي الأصل الأوروبي وذلك بعد وحشة المطار الذي لم يكن فيه أحد من هؤلاء.

وكان موعد الغداء قد ازف وبنا إليه حاجة لاننا لم نفطر في هذا الصباح فوجدنا في مطعمه طعاماً على مائدة منصوبة (بوفيت) تأخذ منه ماتريد فسألنا عما اذا كان يوجد فيه سمك فأجابوا أنه لايوجد إلا شيء قليل من هذا الخضار فأكلنا منه ونحن متكرهون لأن طريقة صنعه وإعداده غير جيدة إضافة إلى أنه هو نفسه غير جيد والخادم الذي يقوم على المائدة غير انيق في شكله وملبسه ومع ذلك قيمته سبعة دولارات.

تمشية في هونيارا :

خرجنا في الواحدة والنصف نتمشى فيما قرب من الفندق من البلدة ونبتغي صرف النقود فكان الحي الذي يلي الفندق وإن لم يكن ذلك مباشرة يسمى (الحي الصيني) وذلك لأن حوانيته ومحلاته التجارية كلها مملوكة للصينيين وبعض بيوته كذلك.

ولقد رأينا الأهالي في المحلات التجارية إنما يشترون فيدفعون الأثمان والفائدة لهؤلاء الصينيين وحدهم وليس هذا لكثرة الصينيين فهم قلة ولكن لضعف الأهالي عن إدراك العمل التجاري وعدم إحساسهم إياه.

كان الجو حاراً رطباً ذكرنا بفيجي بل هو مماثل له فهو أشد حراً من (واناواتو) جزر (نيو هبريدز) ولذلك وجدنا منه عناء.

وزاد العناء أكثر أن ماتقع عليه عين المرء ليس بجميل من الأناسي والدور والطرق وحتى المساحات الخضراء والأشجار لم يراع فيها الجمال وإنما هي مساحات خضر متروكة أو أشجار كبيرة نامية.

وقلت في نفسي : اين ذوق الانكليز هذا من ذوق الفرنسيين؟ اين هذه البلاد من التجميل والتنسيق الموجودين في الأرض الفرنسية (نيوكلدونيا) أو حتى الموجودين في الأرض التي كانت فرنسا تشترك في حكمها وهي (وانا واتو)؟.

إن الإنكليز هنا في الذوق الجمالي هم أقل من الفرنسيين ولكن ليس معنى ذلك أنهم لايعرفون الذوق الفني ولايبالون به في بلادهم غير أنهم في بعض مستعمراتهم التي يعرفون أنهم لن يستوطنوا فيها وأنهم سيتركونها في يوم من الأيام قد تركوا الأمور فيها دون تحسين أو تجميل أو دون عناية بذلك.

حتى أسفلت الشوارع أكثره مكسر وغير مرمم واكثر الشوارع ليس فيها أرصفة إطلاقا ماعدا جزءاً صغيراً من سوق حديث في البلدة.

ودخلنا مصرفاً صغيراً لم يزد عدد الموظفين فيه على ثلاثة أحدهم ظل معنيا بنا مدة طويلة وتردد على الهاتف يكلم رئيسه أو رؤساءه بشأن صك من الصكوك السياحية قيمته مائة دولار وبعد ذلك اعطانا المبلغ مائة وتسعة دولارات من دولاراتهم فدولارهم أقل من الدولار الأمريكي ٩٪.

ثم ركبنا سيارة أجرة إلى سوق آخر حديث من البلدة فيه مكاتب

شركة (سول ابر) اي سلمون الجوية لتأكيد الحجز غداً إلى مدينة كييتا في جمهورية (بابوا) التي كانت تسمى غينيا الجديدة أو (نيوجنى) بالإنكليزية حيث كان خط السير لنا مرسوماً على ذلك وقدرنا أنه يكفينا في هذه البلاد يوم وليلة.

ويقع المكتب في سوق حديث على شارع ذي أرصفة بخلاف غيره من احياء البلدة وفيه متاجر وحوانيت كبيرة نسبياً كلها بأيدي الصينيين وليس فيها من أهل البلاد أحد إلا ماكان من بعض العمال على قلة فاكدنا الحجز ورجعنا من ذلك مسرورين.

الشعب العجيب :

من خلال النظرات الأولى على هذا الشعب الذي شملت زيارتنا أجزاء من بلدته والاحتكاك بعدد من أبناء شعبه ازداد عجبي منه وتبين لي أنه شعب عجيب اكتسب خصائص جسدية غريبة من وجود الاوائل منه في هذا المنفى العجيب من جزر سلمون الواقعة في هذه المنطقة الحارة من مناطق المحيط الهادىء.

فهو شعب أسود وسواد أكثر سكانه كسواد الإفريقيين فهو أكثر سواداً من أهل واناواتو وأهل نيوكلدونيا الأصلاء فضلاً عن الأصلاء من أهل فيجي الذين هم أكمل أجساما وأكثر جمالاً منهم.

وهذا الشعب (السلاموني) يغلب على أفراده القصر والغلظة في أجسامهم أي الضخامة الخلقية موجودة أيضاً ولكن ليست بصفة عامة كأهل جزر (نيو هبريدز).

وفيما يتعلق بالجمال والقبح فإن هؤلاء القوم لم يتركوا لغيرهم من أهل هذه الجزر شيئاً من عدم الوجاهة أو إن شئت قلت من عدم الجمال إلا أخذوه عنهم ولم يترك أولئك شيئاً من الجمال لهؤلاء القوم فلم

تـر عـيـنـي فيما رايـته من أنحاء العالم قاصيه ودانيه من هم أقل جمالاً من أهل هذه البلاد أو هذا هو شعوري على الأقل.

و يـضـاف إلى عدم الجمال ناحية رقة الحال فتجد الفقراء والمعدمين كـثـيـراً فيهـم وتجـد الـذين يلبسون ملابس متسخة موجودين بكثرة وحتى الـذيـن حـالتهم المادية جيدة لايعتنون بهندامهم وأعتقد أنه لو وفدت إليهم طائفة من نساء إفريقية لعدوهن من ملكات الجمال.

أما بـالـنـسبة إلى الأوروبيين أو ذوي الأصل الأوربي من السياح وغـيـرهم فإنهم موجودون في البلاد على قلة شديدة أو على ندرة بخلاف مـاعـلـيـه الحـال بالنسبة إلى (وانا واتو) حيث يوجدون بكثرة مما جعلني أوجس خيفة من حالة الأمن هنا.

وقـد تـبين فيما بـعـد أنهـا خـوف فـي غير محله وأن القوم إذا كانوا قد حـرمـوا من نعمة الجمال الظاهر في المظاهر والاجسام فإنهم لم يحرموا من نعمة الجمال الباطن في الأخلاق والقلوب فهم رقيقو المعاملة قليلو الأذى وهذا هو ما أحسسته منهم بعد ذلك.

والشعر الغريب!

وأغرب ما وقعت عليه عيني فيهم واستغربته منهم أن كثيراً منهم لهم شعور حمر أو صفر أو على الادق أورانجية أو بالتعبير القديم زعفرانية اللون وهـي شعور قصيرة مجعدة إلا أنها أطول من شعور الإفريقيين بكثير ولكنها ليست سبطة مرسلة كشعور الأوروبيين الأصلاء.

وأول مـالاحـظـتـه عـلـى الـنساء وبعض الشبان فظننته صباغاً أصفر يـر يـدون بـه أن يـقلدوا الأوروبيين في لون الشعر مع أنهم يخالفونهم في لـون الجـسـم كله كما يخالفونهم في تقاسيم الوجوه وتقاطع الأجساد فيبدو اللون غريباً منافياً للذوق فيما نراه.



الشعر الزعفراني المعقد على رؤوس أهل سلمون

إلا أنني رأيت هذا الشعر الذهبي المجعد أي المعقد القصير الغزير على رؤس طائفة كثيرة من النساء والرجال ومنهم أناس كبار في السن لايحفل امثالهم بصباغة شعرهم ثم رأيته على رؤس أطفال صغار في السن لا تصبغ شعورهم في العادة فظهر لي أن ذلك أمر طبيعي ليس فيه من الصنعة شيء.

وأردت أن أتأكد من ذلك فسألت سائق سيارة الأجرة عما إذا كان بعض الناس هنا يصبغون شعرهم فنفى ذلك وقال: لم يصبغون شعورهم؟

إن هذا اللون الغريب في الشعر مع اللون الأسود في الجسم مع الغلظ وعدم الرشاقة في القوام مضاف إلى ذلك مظاهر البؤس وعدم العناية بالنظافة والعرق الذي يتصبب من الجسم بسبب الحر والرطوبة كل أولئك تجعل المنظر غريباً في العين غير محبب للنفس إلا من ناحية الإطلاع على شيء غريب.

لاسيما إذا اضيف إلى ذلك أيضاً تقاطيع غريبة في أجسامهم، وتقاسيم نادرة على وجوههم، وبخاصة إذا تذكر المرؤ منا أنهم في بلاد نائية عن بلاده بل بعيدة عن العالم المتمدين كله.

وقد منعنا الحر والرطوبة من إتمام الجولة على الاقدام التي نرجوها فعدنا إلى الفندق غير أننا وجدنا الكهرباء فيه مقطوعة وقال مديره إنها تنقطع لمدة ساعتين حسبما اخبرتهم به شركة الكهرباء.

وبعد العصـــر :

غير أن الشوق إلى استجلاء هذا الشعب الغريب في هذه الجزر الغريبة لم يدعنا نستريح كثيراً فصلينا الظهر والعصر ثم خرجنا في تمشية أخرى وقد أخذنا للأمر أهبته فارتدينا اللباس القصير الذي يرتدونه واخذنا غطاء خفيفا للرأس يقي من فلول الشمس المنهزمة ماعدا الحذاء الخفيف فلم نستطع الركون إليه في هذه البلاد غير النظيفة فربما زلت الرجل في ماء غير نظيف أو في شيء ملوث فالأسلم اذاً اتخاذ الاحتياط لوقايتها بالحذاء والجوربين.

وكان اللباس المخفف هو لباس الأكثرية من رجالهم، وأما الأقلية فهو أقل من ذلك إذ يكتفون بلبس قميص قصير الأكمام مفتوح الصدر وبعضهم يلبس السروال القصير فقط، ولايكون على الجسم غيره لباس آخر إلاّ مايكون من قبعة على الرأس تكون في العادة غير وجيهة المنظر، وأما النساء فإن أغلبهن يلبس اللباس الافرنجي الخفيف أيضاً الذي هو ثوب (فستان) واسع قصير وذلك مناسب لاجسامهن لأن اغلبهن بدينات أو غليظات الأجسام لايناسب قوامهن غير الرشيق إلا الواسع من الثياب.

وهذا القول عن الرجال والنساء واللباس هو القول في الأعم الأغلب والا فهناك غيره ولكل قاعدة شواذ كما يقول الأصوليون.

والصينيون الذي أخذوا التجارة والاقتصاد من أهل هذه البلاد في بلادهم لم يأخذوا ذلك بدون مقابل بل أعطتهم هذه الجزر كموداً في اللون واعتلالاً في الصحة حتي يبدو أكثرهم وكأنه عليل. وذلك من تأثير الجو وربما كان للغذاء فيها تأثير أيضاً.

وأكثر مايلاحظ أنهم اكتسبوه من الخصائص اللونية الظاهرة في هذه البلاد هو الصفرة لا السواد فقل أن تجد منهم من يكون صافي اللون.

وظهر لنا من الجولة بعد العصر أن الخدمات البلدية سيئة هنا بل تكاد معدومة فيما يتعلق بنقل القمائم والنفايات فهي هنا مثل بعض المدن في نيجيريا الإفريقية الغنية التي تحرق القمائم والنفايات في الساحات العامة أو على جوانب الطرق لا تبالي بذلك.

فقد رأيتهم هنا يحرقون القمائم على جوانب الطرق إلا أن الفرق الظاهر في هذا الموضوع مابين هذه الجزر والمدن النيجيرية أن مدن النيجيريين ذات جوانب عريضة تفصل مابين بطون الشوارع والأبنية أما هنا فإن السعة في أماكن الأرصفة غير موجودة فالضيق أو عدم السعة هو الغالب على الشوارع، والجوانب العريضة التي يفترض أن تكون فيها أرصفة في المدن المتقدمة غير موجودة.

هذا فيما يتعلق بالخدمات فإذا أضيف مايتعلق بالذوق العام كان الأمر سيئاً إلا أنه ينبغي لإنصاف القوم وتبيان الحقيقة أن نقول: إنهم ليسوا أسوأ في هذا الأمر من كثير من البلدان المتخلفة، وإنما المقارنة هنا مابينهم وبين البلدان المجاورة لهم أو الواقعة في منطقتهم منطقة المحيط الهاديء.

اين ابتسامات الإفريقيين؟

إعتاد المرء الذي رأى العالم وسافر كثيراً في أنحائه ومن ذلك أنه

تجول كثيراً في أنحاء القارة الإفريقية أن يقرن اللون الأسود بالابتسامة البريئة رغم ظروف الحياة الصعبة.

وحتى في غير افريقية فالابتسامات السريعة على الوجوه السود في فيجي لا تمحى من الذاكرة غير أن الأهالي السود هنا لا تكاد تلمح الابتسامة غير المتكلفة أو غير المثارة على ثغورهم ولم أرهم يبتسمون إلا عندما تتكلم معهم بنكتة غريبة عن شيء لم يسمعوا به من قبل أو تتكلم مع نسائهم بكلمة يعجبن من صدورها عنك.

بل إن المظاهر الكئيبة على الوجوه هي السائدة حتى النظرات المجردة منهم إلى الغرباء أمثالنا تثير الخوف في النفس فهم ينظرون إليك شزراً وبصفة حادة ولا أدري السبب إلا أن يكون قلة الاجانب لديهم أو غرابة تقاسيم الوجوه وتقاطيع الاجسام وبخاصة اللحى التي على الوجوه بالنسبة لما ألفوه عندهم.

وقد تمشينا طويلاً ربما لمسافة تقدر بأربعة كيلات مع طريق محاذ للبحر فيه منازل متفرقة متباعدة مبنية تحت ظلال الأشجار الكثيفة من النارجيل وغيرها من الأشجار الخضر الوارفة الظلال وبعض هذه البيوت جيد المظهر إلا أن شيئاً من الطابع الغالب في البيوت الإفريقية الأصيلة موجود هنا.

من ذلك أن بعض النساء قد جلسن خارج البيوت مما يلي الشارع وبعض الأطفال يلعبون هناك مع أهاليهم.

وبعض النساء يطبخن طعام العشاء خارج البيوت فيما بينها وبين الشارع ربما كان ذلك لضيق المنزل، والقمائم متروكة بين ذلك على هيئة كومات صغيرة.

ما أرخص المعرفة!

لايزال عجبي يتجدد من ذلك الشعر الذهبي المعقد على رؤس السود من الرجال والنساء والأطفال فمرت بنا بنية صغيرة في حدود السابعة من عمرها ذات شعر ذهبي أو قل ذات شعر زعفراني من هذا الشعر الغريب وهي سوداء فابرزت قطعة من النقود من فئة عشر (سنتيمات) وناولتها إياها ثم أخذت أفتش في أصول شعر رأسها أبحث عن أي أثر للصباغ فلم أجد لذلك أثراً مما رسخ عندي الاعتقاد بأن لون الشعر الغريب هذا طبيعي وليس صناعياً.

وانصرفت الطفلة مسرورة بالسنتيمات العشرة وانصرفت أنا مسروراً بذلك أيضاً وأنا أقول في سري ما أرخص المعرفة!

ومع أنني اعتبرت أن الموضوع قد اتضح تماماً بأن هذا اللون الذهبي والزعفراني في الشعر على رؤوس السود هو طبيعي فإنني أخذت أفكر في سببه أذلك جاء نتيجة لاختلاط قديم بأناس من ذوي الشعور الذهبية من الأوروبيين مثلاً؟

واذا كان الأمر كذلك فلماذا يكون بهذه الكثرة بحيث يمكن القول بأن ثلث السكان الذين رأيناهم هنا ذووا شعور زعفرانية؟

واقتنعت من أن الأمر ليس كذلك لأن الأوروبيين ليسوا كلهم من ذوي الشعور الصفر ولأن اللون الأوروبي بخاصة واللون الأبيض عامة هو أضعف في الوراثة من اللون الأسود سواء أكان ذلك اللون الأسود على الجسد أو في العين أو في الشعر فإذا ما تزاوج اثنان من لونين مختلفين جداً مابين السواد والبياض فإن خصائص اللون الأسود تكون أكثر في الأولاد من خصائص البياض لاسيما إذا كان الإختلاط لجيل واحد.

وحتى لو افترضنا أن في الأمر شيئاً من الوراثة عن غرباء من ذوي الشعور الذهبية فلما ذا لم يكن هذا الشعر الذهبي الزعفراني سبطا أي مرسلا طويلا ولماذا صار جعدا أي معقداً قصيراً ولكنه كثيف كشعور السود منهم؟

ثم لماذا تقتصر الوراثة كليا على الشعر دون غيره من الخصائص الجسدية اللونية؟ وعندما ما اقتنعت بأن الأمر ليس سببه الوراثة المعتادة قلت: سبحان الخلاق العظيم.

جنس متميز:

ومما سبق يعرف المرء بل يتيقن بأن هؤلاء القوم من جنس متميز من الناس فليسوا بأفارقة ولا آسيويين فضلاً عن أن يكونوا قريبين من ذوي اللون الأبيض.



الخضروات على سيارة للبيع في هونيارا والبائعة ذات شعر زعفراني معقد.

وأهم شيء يتميزون به في نظر السائح الغريب القادم من بلاد الشرق الأوسط هو عدم الجمال.

ولقد لاحظت كثرة الأشجار الكبيرة التي تنمو في المناطق الاستوائية والشبيهة بالاستوائية كأشجار العمبة (المانجو) وأشجار نخيل الزيت ولكن بدون تنسيق.

ثم عدنا إلى السوق الذي فيه المحلات الصينية نلتمس فيه فاكهة من الفاكهة المحلية فوجدنا أكثر مافيه الملابس والمعدات البسيطة اللازمة للحاجات اليومية للناس وكل ذلك بثمن غير رخيص.

وبعد المغرب :

لم يكن لنا مانفعله غير الجلوس في مقهاة للفندق بجانب بركة للسباحة لايسبح فيها أحد ولكنهم وضعوا الآت تسجيل تعزف موسيقى راقصة مسجلة أخذ يرقص عليها بعض الأوروبيين بعنف ربما كان هذا من تأثير الشراب.

أما نحن فبعد أن اطمأننا إلى أن الأمن مستتب خرجنا لنتمشى في الليل لنرى البلدة لكننا لم نر إلا اشخاصاً قليلين يمرون مسرعين في الظلام كأنهم الأشباح فرجعنا للفندق مسرعين وكان لابد من الصبر على طعام الفندق لأنه لايوجد مطعم قريب فأردنا الدخول فيه غير أن عامله قال: إنه لايوجد لديهم سمك وإنما هو لحم الخنزير والدجاج مع أن هذه البلاد مؤلفة من جزر تحيط بها المياه من كل جانب وفيها أخوار أي خلجان متعددة يمكن أن تكون مصائد جيدة للأسماك.

فصدت أنفسنا عن الأكل وبتنا بدون عشاء ماعدا قطعة من البسكوت كنا اشتريناها بعد العصر.

ومما نغص جلسة الهواء الطلق في المقهاة أن رجلاً عليه مظاهر التثقيف ولابأس بهندامه أي لباسه قام من عند رفقة له على مائدة مجاورة وجلس إلى مائدتنا ربما كان جذبه إلينا عدا الشكل سماعه بحديثنا بالعربية فبادر بالسؤال التقليدي السريع عند الشعوب المتخلفة من أي بلد أنتم؟ فقلنا له: من الشرق الأوسط أزرته من قبل؟

فنفى ذلك وقال: إنه لم يخرج من هذه الجزر ثم قال وكأنه يتذكر شيئاً: من الشرق الأوسط أين يقع قلت في جهة الغرب البعيد من بلادكم فسأل عن اسم الدولة فقلت إننا من العرب فاقتنع من ذلك.

ثم أخذ يسأل عن انطباعنا عن بلاده ـ جزر سلمون ـ وعما إذا كان طاب لنا المقام فيها ومتى نسافر وكيف كان قدومنا؟ ولما جاملناه بأن قلنا ونحن على حق: إن أهالي هذه الجزر قوم طيبون لم نر منهم أي شيء مؤذ لنا فرح بذلك ثم نهض واحضر معه مسجلا وقال وهو لايكاد ينطق من السكر: أرجو أن تسجلوا هذا الكلام لي. فقلنا إنه شيء واضح لايحتاج إلى تسجيل ثم قمنا إلى الغرف وتركناه.

والظاهر أنه يعمل في وسائل الاعلام والصحافة أو هو من هواة التسجيل ولكنه لسكره لم يعرف كيف يستطيع أن يحصل منا على ذلك.

يوم الأربعاء : ١٤٠٣/٥/٢٤هـ ١٩٨٣/٣/٩م.

صحوت مبكراً وخرجت من غرفتي لا تمشى قبل أن تصحو الشمس فتلهب هذه الجزر بسياط من أشعتها اللاهبة. غير أنني فوجئت بشيء آخر.

وجدت طوائف من الحشرات الصغيرة كالبعوض تقع على الأرجل والأطراف والوجوه فتلهبها بالعض والقرص.

والعجيب أننا لم نحس بذلك في أول الليلة البارحة عند ماكنا في مقهاة الفندق. وتذكرت أن هذه الساعات التي تسبق شروق الشمس أو تليه مباشرة وكذلك غروبها هي التي تنتشر فيها هذه الحشرات الصغيرة في العادة ولذلك يكثر خروج الخفاش في تلك الساعة إلا أنني لاحظت أن السماء ليس فيها خفاش واحد يطير ولا أدري السبب في ذلك مع كثرة هذه الحشرات التي يتغذى عليها من البعوض ونحوه وربما كان ذلك بسبب ركود الهواء ولكنني لا اعتقد أنه السبب في وجودها بهذه الكثرة فعدت إلى الغرفة المكيفة الخالية من ذلك.

وعندما ارتفعت الشمس خرجت فاذا بالبعوض ونحوه قد هرب من ضوء الشمس ولكن حل محله الذباب فكان لابد من أن يواصل المرء ذوده عن وجهه وأطرافه أو تشريده كما عبر عن ذلك ابن بطوطة رحمه الله تعالى عندما ذكر أنه احتاج أثناء إقامته في الهند إلى حاجة عند السلطان والتمس شخصاً ذا أهمية يذكرها للسلطان فدلوه على فلان الذي (يشرد) الذبان عن السلطان.

وهذا يدل على أن تشريد الذبان في بعض البلدان كان من الأهمية بمكان حتى يوظف له موظفون ربما كان لهم معاونون آخرون.

جولة على منطقة هونيارا :

مدينة هونيارا هي عاصمة جزر سلمون يبلغ عدد سكانها اثنين وعشرين ألفاً من مجموع سكان الدولة البالغ عددهم مائتين وستين الف نسمة يسكنون في جزر عديدة.

ومعنى اسم المدينة (هونيارا): الريح العاصفة باللغة المحلية في هذه المنطقة من الجزيرة فاسمها اذاً اسم وطني إن صح التعبير بخلاف اسم الدولة (سلمون) الذي هو اسم أجنبي استعماري سميت به على اسم مكتشف اسباني اسمه سلمون.

بدأت الجولة في الساعة الثامنة مع سيارة أجرة صغيرة تابعة لشركة الجولات السياحية (التورز) يقودها رجل صيني ذكي اسمه (لام) جاء إلى هذه الجزر من هونغ كونغ.

الصينيون :

مررنا بمحلات الصينيين التي كنا قد مررنا بها أمس فقال: إن هذه المنطقة يقال لها: المدينة الصينية وهو يريد بذلك أن يقول الحي الصيني فالمدينة كلها ليس في ضواحيها مايستحق ان يسمى مدينة لأن عدد سكانها كلهم اثنان وعشرون الفاً كما سبق. كما أن عدد الصينين ضئيل جداً وهو مائتا اسرة ولما تعجبت من قلته قال: لكن جميع الصينيين يملكون أكثر من محل تجاري واحد. ماعدا أسرة واحدة ليس لها إلاّ محل تجاري واحد.

قال : والحركة التجارية كلها بأيديهم، ولما سألته بصفته صينياً عن شعور الصينين عندما استقلت البلاد في عام ١٩٧٨ وعما إذا كانوا قد تخوفوا من أن يتغير عليهم أهلها بعد الاستقلال أجاب: حتى الآن نحن لانخاف من ذلك لأن الأهالي أهل كسل وخمول ولايحبون العمل كما أن عدد الذين يكملون التعليم الجامعي من طلبة المدارس لا تزيد نسبتهم على ١٪.

ويذكر أن الصينيين في كثير من بلاد الشرق الأقصى وجنوب شرقي آسيا هم أصحاب التجارة وهم يفعلون كل شيء يمكنهم فعله من أجل الحصول على المال ولو بطرق غير شريفة كما يعرف ذلك عنهم.

ولذلك عرف عنهم في تايلاند أنهم الذين يديرون كثيراً من محلات الدعارة والتحلل.

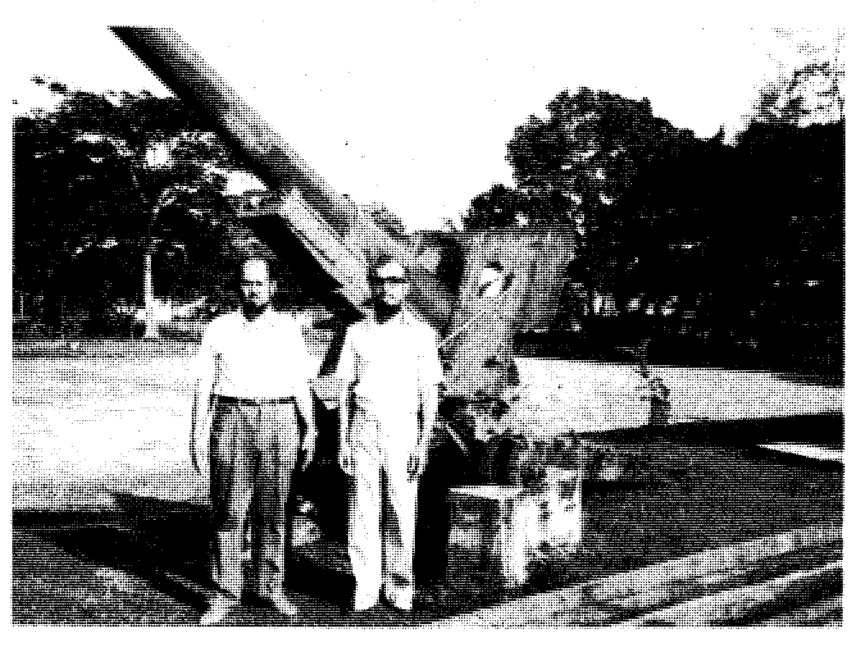
وقد أثر عن الملك رام الأول أحد ملوك تايلاند قوله إن الصينيين هم

يهود الشرق. ثم استمر الدليل يشرح حال بناء مررنا به و يقول إنه مبنى البرلمان وهو صغير يبدو كالبيت الصغير المعتاد ومقابله حديقة غير أنيقة.

حديقة كروب :

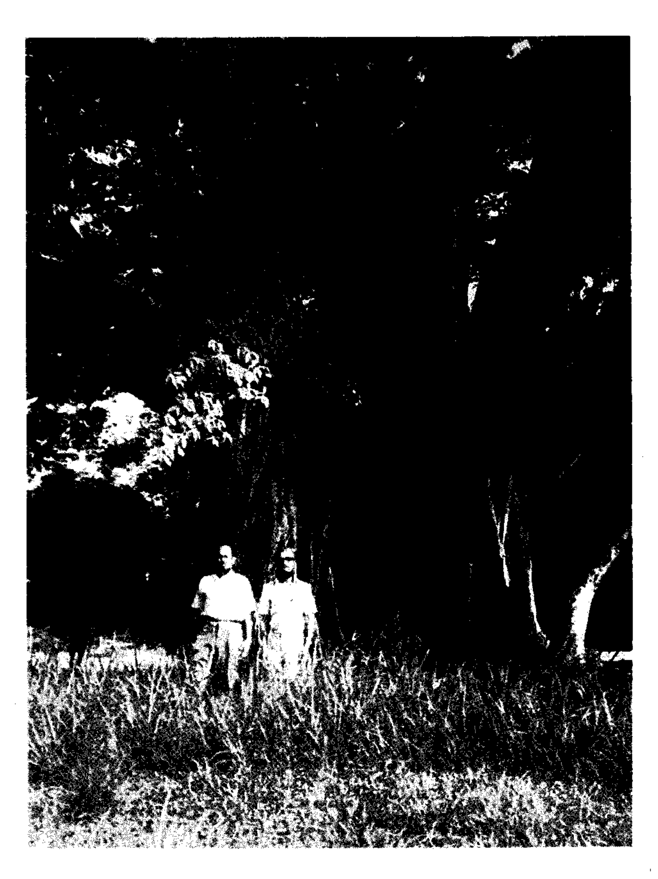
اشار السائق إليها وقال هذه حديقة تسمى (حديقة كروب) وهي واسعة كما ترى وأهم ماسوف أريكم فيها مدفع ياباني استعمله اليابانيون عندما احتلوا هذه الجزر قبل أن يهزمهم الأمريكيون ويحتلوها بعدهم.

ثم وقف على مدفع ضخم قوي ولكنه ليس بالطويل فهو يشبه المصارع الياباني القوي الذي يعتمد على قوة بدنه أكثر مما يعتمد على طوله وضخامته كما يفعل غيره من مصارعي الغرب وقد كتب عليه صنعه بأنه عام ١٩٤٠م.



أمام المدفع الياباني الضخم مع الشيخ محمد بن قعود في هونيارا

والحديقة ليس فيها آثار لعناية ظاهرة وإنما هي حشائش خضر مهذبة تتناثر فيها أشجار متباعدة من أشجار الظل الكبيرة ومنها شجرة ضخمة جداً بحيث لو وقف حذاءها عشرة أشخاص لما خرجوا من مسامتة جذعها.



الشجرة الضخمة في حديقة كروب في هونيارا

خمسون لغة محلية :

مررنا بمحطة الاذاعة وهي صغيرة أيضاً ليست بذات مظهر مهم قال الدليل الصيني: إنها تذيع باللغة الإنكليزية المحرفة المسماة (سلمون انقلش) اي: اللغة الانكليزية بلهجة أهل سلمون وهذا له شبيه باللغة الإنكليزية الموجودة في منطقة عاصمة دولة سيراليون و يسمونها هناك (الكريول) مثلما يسمى الفرنسيون لغتهم التي اختلطت بلغات محلية أو

حرفت على ألسنة أقوام من غير الفرنسيين كريول، بمعنى مختلطة أو محرفة عن أصلها الصحيح.

ولما سألته عن اللغات وعددها ولماذا لاتذيع بها محطة الاذاعة الحكومية؟ أجاب بأنها خمسون لغة فبأية لغة تذيع الحكومة؟ نعم، خمسون لغة محلية في دولة لا يزيد عدد سكانها عن مائتين وستين ألفاً.

وبعد محطة الاذاعة مررنا بالسجن الرئيسي وقال الدليل إنه لايوجد فيه سجناء سياسيون كما أن الجرائم هنا قليلة جداً ولذلك كان نزلاء السجن قلة.

حديقة النبات :

ذهبنا إلى حديقة اسمها (بوتا نيكو) أي: حديقة النبات وهي واسعة كثيفة الأشجار ولكنها تكاد تكون عذراء خالية من آثار العناية والتنسيق، حتى الطرق داخلها ليست جيدة ومن هذه الحديقة التي ليس فيها مايستحق الوقوف عليه خرجنا إلى مواصلة الجولة فمررنا ببناء كتب على لافتته: (البوليس الملكي لسلمون) وقبلها رأيت امس لافتة أخرى لاتزال تشير إلى عهد الاستعمار الانكليزي فقال: إن الناس لم يغيروا هذه اللافتات التي كانت موجودة منذ عهد الاستعمار البريطاني.

تلة الأغنياء :

سارت السيارة مع طريق غير معتنى به يمر بشاطيء البحر وقال الدليل الخبير سوف أذهب بكم إلى تلة هنا لأريكم بيوت الأغنياء في هذه المدينة ثم أنزل بكم من التلة لأريكم طراز البيوت الشعبية التقليدية فقلنا له: شكراً فهذا مانريده.

وصعد إلى تلة خضراء غير عالية ووجدنا عمالاً يرشون طريقاً فيها غير مسفلت بمادة تشبه النفط الخام أو الديزل المحروق أو الزيت المحترق

المستعمل من السيارات ومن المؤلم أن العمال يرشون الأرض من أوانٍ في ايديهم يأخذون بها من وعاء كبير (برميل) فوق سيارة من سيارات النقل الصغيرة يفعلون ذلك وهم حفاة الاقدام.

ومن المؤسف أيضاً: أن الطريق العام في هذه التلة التي يسكن فيها الأغنياء غير مزفلت، وأن الطرق الخاصة المتفرعة منه ذاهبة إلى تلك البيوت مزفلته زفلتة جيدة ذلك بأن صاحب البيت يعمر الطريق الفرعية الذاهبة إلى بيته بالزفلت على نفقته أما الطريق العام في الحي فإن إصلاحه من شأن الحكومة والحكومة لم ترد ذلك أو لم تستطعه.

لاسفارة إسلامية ولا عربية :

قال الدليل : إن السكان الأغنياء في هذا الحي هم من الصينيين واليابانيين رجال المال والأعمال وبعض الأوروبيين الذين يعملون في السفارات. ثم قال: إن عدد السفارات في هذه البلاد خمس فقط وعدها فلم تكن بينها سفارة لدولة إسلامية ولا لدولة عربية بطريق الأولى.

ومع تنويهه بهذه البيوت وغنى أهلها فإنها ليست بذاك إلا في مجال النسبة إلى بيوت عامة الناس فضلاً عن الفقراء منهم.

ولذلك عجبت حين قال: إن متوسط قيمة البيت الواحد مائة ألف دولار فهو في ظني لاتصل قيمته إلى ذلك لاسيما في هذا الحي الذي يعتبر راقياً عندهم وهو ليس في طريقه العام زفت وإنما يقاومون غباره أو ترابه بذلك الشيء اللزج الذي يصبونه عليه.

البيوت التقليدية :

نزلنا من هذه التلة (الغنية) مسرعين وإن كان غناها لايظهر لنا واضحاً بالمقارنة إلى غيرها. فسرنا مع الطريق في ضاحية من المدينة خارجة عنها اشبه ماتكون بالريف بل هي ريف فيه بعض البيوت

المتفرقة المبنية في وسط غابات كثيفة من أشجار النارجيل وبين حشائش برية.

ورأيت أحد البيوت الوطنية التقليدية الخالصة وهو مبني من أعواد معترضة خلاف مايكون عليه الحال في بيوت مشابهة أومبنية من أعواد مشابهة في بعض البلدان المتخلفة فإنها تكون من أعواد واقفة وهو ذو سقف مسنم من القش الكثيف فأردت أن أصوره فدخلت الغابة فإذا بجدول طبيعي صغير من المياه يحول بيني وبين الوصول إليه إذ هو أعرض من أن استطيع قفزه ولا أريد أن أخوض وقابلني رجل من أهل البيت فكلمه الدليل من البعد وكان حافياً فخاض مياه الجدول أو النهير الصغير وجاء يساعدني على اجتيازه فشكرت له ذلك وصورت البيت من على بعد وما أظنها تكون واضحة.

هل نحن في إفريقية؟

هذه البيوت المبنية من الاعواد والمسقفة بالقش وغابات النارجيل الكثيفة والأرض الندية والناس السود جعلتني أتساءل أو جعلتني أكرر التساؤل عما اذا كنت في إفريقية لأنني رأيت مثل هذه المناظر أو شبيهة بها شبها كبيراً في أنحاء متعددة من افريقية الخضراء الاستوائية أو الشبيهة بالاستوائية ولكن منظراً آخر شد انتباهي إلى افريقية أيضاً وهو منظر امرأة تسير على جانب الطريق وجسمها الأعلى كله عار لايستره شيء إطلاقاً بل ليس على جسمها الا خرقة على عورتها وهي سوداء في لون الإفريقيات ولقد تكررت رؤية نساء من أهل البلاد قد تركن صدورهن وظهورهن عارية وهن يمشين فرادى وجماعات.

وتساؤلي هذا لايقتصر على ما إذا كنت في إفريقية حقاً أم لم أكن الآن فأنا الآن في آسيا أو في الحقيقة في مكان ليس معدوداً من آسيا ولا من غيرها من القارات ولكن السؤال المهم هو الذي يكمن وراء ذلك

وهو هل هؤلاء القوم الذين لديهم كثير من العادات التي نعرفها عن الإفريقيين قد جاؤا في الأصل من القارة الإفريقية رغم البعد السحيق وقلة الوسائل التي توصلهم إلى هذه الجزر في الأزمان القديمة؟

أم أن الأمر ليس كذلك ولكنه تشابه الظروف في المناخ ووسائل المعيشة وفصول الزمن والواقع الجغرافي بل المحيط الجغرافي المتمثل في الغابات الكثيفة والمياه الوفيرة والشمس الحارة والجو الرطب؟ الله أعلم.

في ريف هونيارا :

خرج السائق بسيارته بنا خارج الريف اذْ كنا قد اتفقنا مع شركته أمس على أن تكون الأجرة بالكيلو لا على أساس الساعة واذاً كلما زادت المسافة التي تقطعها السيارة زاد أجرها.

فكان أول شيء قاله عند مارأينا عمالاً في الريف: إن أجرة العامل هنا للساعة الواحدة هي دولار واحد وهذا أجر جيد.



منظر في ريف هونيارا في جزر سلمون

ومنظر الريف خضرة مطبقة فأشجار النارجيل الباسقة تحتها أشجار أخرى أقصر منها وتحت ذلك الحشائش وشجيرات وحشية غير مهذبة تغلق النظر عما بداخل جانبي الطريق حتى كأنك من ذلك بين جدارين والطريق إزفلتي رديء.

ميدان المعركة :

خرج السائق من هذا الطريق الإزفلتي الرديء العام متياسراً مع طريق ترابية وقال: سأذهب بكم إلى ماطلبته وكنت طلبت منه أن يرينا ميدان المعارك الشهيرة في جزر سلمون التي حدثت خلال الحرب العالمية الثانية.

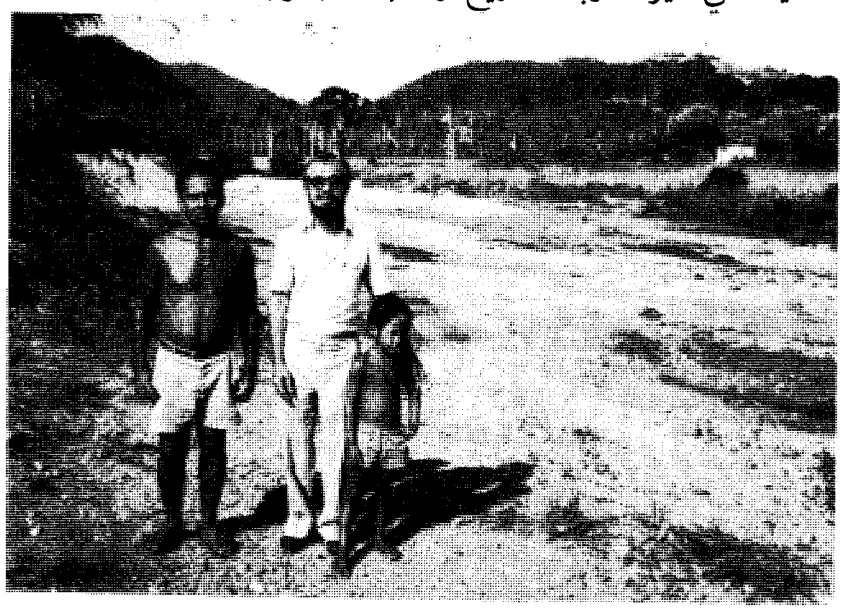
فسار قليلاً ثم اقبلنا على نهر متوسط السعة غير مكتظ بالمياه في الوقت الحاضر ويسمى هذا النهر (نهر قوها) وقال الدليل: هنا في هذه المنطقة وقعت معركة قوية طاحنة اسمها معركة (ماما لا) على اسم هذه المنطقة قتل فيها عشرون الفا من الضباط والجنود اليابانيين ثم وقفنا عند نصب صغير رديء المظهر أقامه اليابانيون بعد الحرب إحياء لذكرى هذا العدد العظيم من الضباط والجنود الذين قتلوا في هذا المكان. وقد قرأت بالانكليزية ماكتبوه عليه وانه في هذه المعركة التي جرت عام ١٩٤٢م قتل عشرون الفاً من اليابانيين.

ولايزال هذا النصب زريا أغبر غير معتنى به وقال: لقد ظل اليابانيون مدة طويلة يقيمون في هذا المكان يشربون من ماء هذا النهر ويأكلون مما يحصلون عليه من الأهالي من طعام والأمريكيون يحاصرون شواطيء الجزيرة ويمنعون الإمدادات الطبية والحربية عنهم، وأن من أكثر الأشياء إضراراً باليابانيين كان منع الأدوية عنهم التي يحتاجونها لمكافحة الأوبئة ولمداواة الجرحى منهم في القتال.

وبينما كنت أتأمل ميدان هذه الموقعة بجانب هذا النهر الذي تجري مياهه الآن وكأنه لم يقتل على ضفته عشرون ألفاً من البشر إلى جانب أعداد أخرى من الجرحى والمصابين ومن الأسرى المهانين وأشجار النارجيل النحيلة التي لابد أنها أو بعضها قد شهد تلك المعركة التي لم يمض عليها إلا واحد وأربعون عاماً.

رأيت رجلاً عليه مظاهر الغربة ينحني على مياه النهر ويلتقط من قرب مجراه شيئاً ثم يضعه في مكان معين ولما سأله الدليل عن ذلك قال: إنها حجارة أتعاون أنا وابني على جمعها لنبني بها وهي حجارة صغيرة في قدر الكف ماجمعه منها لايزيد على أن يحمله رجل واحد.

فعجبت من هذا الأمر التافه الذي شغل به هذا الرجل نفسه وابنه في هذا المكان الذي شهد أحداثاً جساماً من أحداث الحرب العالمية الثانية التي غيرت وجه التاريخ وأصابت البشرية كلها بويلات كثيرة



على ضفة نهر قوها في جزر سلمون

المؤلف بين الرجل الذى يبحث عن حجارة وبين ابنه

وانتهزت فرصة الحديث مع هذا الرجل الغريب الذي قال إنه من جزيرة نائية من جزر الشمال لالتقاط صورة معه ومع ابنه على ضفة النهر نهر قوها الذي شهد المعركة الكبيرة معركة (مامالا).

وحديث عن قتل الحيوان :

من الحديث عن قتل الإنسان بل الأناسي الكثيرين انطلق السائق بسيارته فاجتزنا جسراً خشبياً رديئاً لايتسع لأكثر من سيارة واحدة وقال سأريكم المجزرة إنها هنا فسألته عن طريقة الذبح عندهم فقال: إنني لا أدري ولكن ربما كان ذلك برمي الأبقار.

ثم تطرق الحديث بعد ذلك عن مصدر اللحوم من الحيوان في الجزيرة فقال: إن هذه الجزيرة ليس فيها من حيوان اللحم شيء كالبقر والأغنام وإنما فيها الخنزير فهو الذي يربيه الأهالي ويأكلونه قال: وأما لحوم الأبقار والأغنام فإنهم يستوردونها من استراليا.

ثم عدنا مع الريف الذي هو غابات ملتفة من غابات أشجار النارجيل وأشجار أخرى ملتفة مثل سابقه وذلك هو الطابع العام للمنطقة.

فمررنا برجل يقطع الحشيش الزائد من الأرض بمنجل طويل يطوح به بيده يميناً وشمالاً وهو واقف وذلك قرب بيته المبني من الأخشاب والقش والمرفوع عن الأرض بأخشاب غليظة تقيه من الرطوبة وقد رأيت امرأة وأطفالاً عند البيت فطلبت من الرجل أن يسمح بالتقاط صورة له مع هؤلاء ومع البيت فسارع بالموافقة على ذلك جرياً على عادتهم السمحة في أكثر الأشياء وعندما التقطت الصورة وزعت على المرأة والأطفال نقوداً صغيرة فسروا بذلك كثيراً وسر به السائق الصيني أيضاً وقال: هكذا ينبغي أن يكون إرضاء الناس.



خارج بيت ريفي مع أهله في جزر سلمون

في سوق شعبي :

انطلقنا إلى ركن من البلدة فيه سوق شعبي هام يجلب إليه ماتنتجه البلاد من فاكهة وخضرات ويرتاده للبيع والشراء طوائف من عامة الشعب الذين يمثلون الأكثرية فيه شأنه في ذلك شأن الأسواق الشعبية في العالم.

كان من أهم مافيه من المعروضات للبيع جوز الهند الجاف الذي هو ثمار النارجيل وهذا شيء طبيعي لكثرة النارجيل في بلادهم وفيه الفاكهة الأخرى التي تكون مع النارجيل في أي بلاد نبت فيها وحيث وجدت النارجيل فاحكم بأنها موجودة ولو لم ترها في ذلك المكان ألا وهي الموز.

والموز هنا كما في إفريقية هو أنواع عندهم ولكنهم لايعتمدون اعتماداً كبيراً على مايطبخ منه الذي هو الأخضر الكبير كما تفعل طائفة

من الأفارقة تحت خط الاستواء.

وإنما الشيء الكثير عندهم وهو أنواع منوعة ذلك الذي يسمى بأسماء مختلفة وهو أنواع كثيرة منها الموهوقو في شرقي إفريقية ومنها اليام والكسافا في غربها ومعلوم أن اليام غير الكسافا ولكنهما معاً ينبتان على هيئة عروق كبيرة في الأرض ثم يستخرجان و يعرضان للبيع بحيث إذا رآهما الغريب وبخاصة الكسافا فإنه يظن أنه يرى جذوعاً من جذوع الأشجار المستخرجة من الأرض.

و بعضه يسمى (مانيوكا) بالفرنسية وهو الغالب عند أهالي مدغشقر وأجزاء من غرب إفريقية وهو غذاء مفضل للإفريقيين وغيرهم من القاطنين تحت خط الاستواء أو قل هو الغذاء المتيسر لهم مع أن الكسافا ليس جيداً في التغذية لأنه كله نشويات خالصة وليس فيه بروتينات كالتي تكون في القمح فإذا اقتصر الآكل عليه ولم يأكل معه(بروتينات) من مصادر أخرى كاللحوم والأسماك والألبان فإنه يصاب بسوء التغذية.

وهناك بصل أخضر أبيض غريب المنظر وليمون من الصغير الحامض (البنزهير) وهو رخيص اشترينا الكومة الواحدة منه المؤلفة من خمس حبات بعشر سنتيمات أي أقل من ثلث الريال قليلاً.

وهناك قليل من الفول السوداني وهو غال عندهم ربما كان ذلك لكونه لاينتج كثيراً في بلادهم وإنما يكون كثيراً في البلاد التي تبعد قليلاً عن خط الاستواء مثل السودان وارتيريا ومالي.

وأما الطماطم والخيار فإن الموجود منه جيد وغالٍ فالطماطم قد كوموه كويمات صغيرة كل اربع من التي بقدر التمرة بعشرة سنتيمات ومع ذلك هي فاسدة.

ورأيت عندهم بطيخاً أخضر (حبحباً) صغيراً مخططا ليس بالجيد مثل الموجود في بلادنا في القديم قبل أن نستورد البذور الجيدة منه ولكني أظن هذا النوع آقل مما هو عندنا في القديم في الجودة.

ومن الأشياء الجيدة الرخيصة عندهم ثمار الباباي فاكهة خط الإستواء وماقرب منه ولقد اشترينا الواحدة الجيدة منه التي تزن أكثر من الكيلو بعشرين سنتيا أي اقل قليلاً من ثلثي ريال.

وثمار النارجيل الأخضر الذي تشرب ماءه بارداً لذيذاً في هذا الجو الحار من دون أن يكون أهله قد بردوه لأنه هكذا طبيعته أنه يظل ماؤه بارداً ولو وضعت الثمار في الشمس لما هو محاط به من ألياف مضاعفة طبيعية ثم أكلنا من شحمه بعد أن شربنا ماءه وهو لذيذ شبيه ببياض البيض في الطعم وخفة الدسم وقد جربت ماءه وشحمه فحمدت أثره في أنحاء كثيرة من أنحاء العالم الاستوائي أو الشبيه به ووجدت له خاصة أخرى إن لم يكن مرد ذلك إلى الوهم مني وهو أن ماءه يخفف أثر الطعام الهندي الحار المليء بالفلفل الحار والبهارات.

وجميع البائعات في هذه السوق من النساء وهذه عادة إفريقية و(ملايوية) قديمة وكذلك المتسوقات أغلبهن من النساء ولقد انتهزت هذه الفرصة فالتقطت عدداً من الصور للسوق إلا أن بعض الفواكه والخضروات يضعونها في الظل لئلا تفسدها الشمس فلم أتمكن من تصويرها.

ومن الطريف في هذه السوق أن البائعات فيها لايستعملن الورق في لف الأشياء لا أكياسه ولا جرائده وإنما يستعملن بديلاً عنه أوراق الموز العريض النضر واوراقا أخرى عريضة من أوراق الشجر فهو أيسر من الورق لديهم وهو أرخص منه.



في سوق الخضروات في مدينة هونيارا.

وهذا السوق مما جعلني أتذكر مرة أخرى الأسواق الشعبية الإفريقية لاسيما مع سواد الالوان إلا أن الذي يثير الأنتباه ويجعلني أشعر بأنني بعيد عن إفريقية والإفريقيين والإفريقيات هو ذلك الشعر الزعفراني الكثيف الذي يتوج رؤس بعض السوداوات يستوي في ذلك العجائز منهن والشابات وقد لاحظت عند بعض الرجال أن الشعر ينبت هكذا اشقر قصيراً على أماكن وجود الشعر من أجسادهم مثل الذراعين والساقين فضلاً عن الصدر الذي يكون مفتوحاً عند بعضهم وإن كان الغالب عليهم خلو صدورهم من الشعر.

كما أن مما ذكرني بالأسواق الإفريقية أن البائعات ما أن يرنني أقلب شيئاً أو اتأمله وانظر إليه إلا وتبادر الواحدة منهن وهي تضحك مسرورة وتلفت نظر صويحباتها إلى ذلك ثم يجتمعن وهن يضحكن ويستمعن إلى أي كلمة يقولها هذا الغريب الأبيض فيضحكن لها

بأصوات عالية ولو كان مثلها ــ في العادة ــ لايضحك غيرهن من البيضاوات.

شعب لايقرأ :

طلبت من السائق الدليل الخبير بهذه البلاد أن يذهب بنا إلى مكتبة لنبحث فيها عن كتاب بالانكليزية يتعلق بهذه الجزر فظل يفكر طويلاً ثم قال: نعم. وذهب بسيارته مسافة طويلة ثم وقف عند حانوت كبير (سوبر ماركت) وقال: تجدون في هذا الحانوت ركنا للكتب ووجدنا الركن ولكننا لم نجد ما طلبناه فسألنا صاحب الحانوت عن ذلك فأجاب: بأنه غير موجود.

أرأيت أن هذا الشعب شعب لايقرأ وإنه بلا شك من أسباب تأخره أوعلى الأقل من أسباب بقائه على حاله الأولى من الجهل، وعدم التقدم؟

وفي نهاية الجولة وعند باب الفندق ذكر السائق: أن عداد السيارة قد سجل سبعة عشر دولاراً ونصفاً فنقدناه ذلك شاكرين واعطيناه حلوانا ــ بقشيشا ــ على حسن إرشاده فشكر وانحنى بالتحية.

محاولة السفر إلى غينيا الجديدة :

خرجنا من فندقنا قبل الواحدة ظهراً بقليل للسفر إلى دولة غينيا الجديدة المسماة الآن (بابوا) وكانت تذاكرنا قد قطعت على أساس السفر إلى مدينة كييتا في تلك الدولة ومنها إلى مدينة (بورت مورزبي) عاصمة (بابوا) غينيا الجديدة وذلك أن معظم المسلمين يسكنون في (بورت مورزبي) العاصمة ولكن السفر إلى كييتا ايسر منها من (هونيارا) وأكثر رحلات.

ومن المقرر أن تقوم طائرتنا إلى (كييتا) في الثانية ظهراً وهي طائرة

صغيرة من هذه الطائرات الصغيرة ذات المحركين المروحيين.

لم نكن نحمل تأشيرة دخول إلى (بابوا) مثلما كان عليه الحال بالنسبة إلى جزر سلمون لأننا حاولنا الحصول على ذلك بواسطة السفارة السعودية في كانبرا عاصمة استراليا فأخبرونا أنه يمكن الحصول على التأشيرة إلى جزر سلمون وإلى بابوا ــ غينيا الجديدة من المطار هناك.

وعندما وصلنا مطار هونيارا حصلنا على التأشيرة منه بالفعل ولذلك لم نتوقع أية صعوبة في الحصول على التأشيرة (لبابوا) غينيا الجديدة.

وقد أسرع الموظف في مكتب شركة (سول اير) الصغيرة بوزن الحقائب وقطع التذاكر ثم ارسل الحقائب إلى الطائرة إلا أنه بعد قليل سألنا عما إذا كنا نحمل تأشيرة دخول إلى تلك البلاد؟ فأجبناه بالنفي وقلنا: إننا سياح لن نقيم أكثر من يومين فيها.

فأخذ الجوازين وذهب إلى رئيسه المسئول الذي جاء إلينا وتلطف بالسؤال ثم قال: سأتكلم مع المندوب السامي لغينيا الجديدة ــ بابوا ــ في هونيارا في أمر التأشيرة لكم: ثم نادانا إلى مكتبه وقال: ها هو المندوب السامي يريد أن يتحدث إليكم بالهاتف تكلمت معه بأننا لا نريد البقاء طويلاً وإنما نحن سياح جئنا إلى هذه المنطقة نريد أن ننتهز الفرصة لرؤية بلادكم لمدة يوم أو يومين وقد أخبرونا في (كانبرا) أن الحصول على التأشيرة من المطار أمر سهل فقال: هذا صحيح بالنسبة لمن يذهب إلى مطار العاصمة (بورت مورزبي) أما من بمطار كييتا فليس عندهم إذن بإعطاء تأشيرات في المطار.

فسألناه عن الحل؟ فأجاب: إنه لايمكن عمل شيء لكم اليوم لضيق الوقت ــ وكان لم يبق على موعد قيام الطائرة إلا نصف ساعة ــ ولكن تنتظرون غداً ونعطيكم التأشيرة فتسافرون إلى كييتا أو تنتظرون

إلى يوم الأحد القادم ـــ أي بعد أربعة أيام تسافرون إلى (بورت مورزبي) وتأخذون التأشيرة من مطارها.

فأسقط في أيدينا وقلنا إننا يجب أن نكون يوم الجمعة في مدينة (برزبن) في استراليا فقال ضابط المطار ونعم المعين لنا هو فلقد أظهر مساعدة جيدة وتعاون معنا على حل الإشكال: إذا كنتم ستذهبون إلى استراليا يمكنكم ذلك إلى مدينة برزبن غداً قبل الظهر فهناك طائرة تذهب من هنا إلى برزبن مباشرة وانما عليكم أن تمروا على مكتب (سول اير) لإصلاح تذاكركم وسوف اكلم المدير بشأن مساعدتكم.

وأما إذا كنتم تفضلون البقاء غداً وأخذ التأشيرة إلى (نيوقني) يريد يذلك غينيا الجديدة فهذا هو اسمها القديم أو بابوا حسب الاسم الجديد فيمكنكم السفر إليها بعد ذلك فشكرنا له اهتمامه وحسن معاملته.

ولما تأملنا الوقت الباقي لنا وصعوبة الوصول إلى عاصمة تلك البلاد بابوا (غينيا الجديدة) التي لم تسمح حكومتها حتى الآن بتأسيس جمعية إسلامية للمسلمين كما تفعل سائر حكومات العالم، اذ سيكون السفر إلى بلدة (كيبتا) فيها ثم منها إلى (بورت مورزبي) ثم من هناك إلى برزبن وهذا يحتاج إلى وقت طويل لانستطيع أن نضحي به ذكرنا المثل العامي المصري الذي يقول (بركه اللي جت منك ياجامع).

وقصته أن رجلاً غير متدين أراد أن يصلي في المسجد فوجد بابه مغلقاً فقال هذا.

ولم نجد سيارة أجرة ولاغيرها تعود بنا إلى الفندق فوجدنا شخصاً معه سيارة قديمة بالية فطلبت منه أن يقلنا إلى الفندق فرحب بذلك واعطيناه اجرة (التاكسي) فأخذها وشكر وعدنا إلى فندق هونيارا فتعجب أهل الفندق الذين كنا قد ودعناهم.

ثم أسرعنا إلى مكتب الشركة حيث غيرنا تذاكرنا ليكون سفرنا غداً إلى مدينة (برزبن) عاصمة ولاية كوينز لاند في شرقي استراليا بإذن الله.

ضياع اليوم وضياع الدولة :

ضاع علينا يومان عند السفر من نيوزيلندا إلى فيجي بسبب الإعصار الشديد الذي اجتاح جزر فيجي فأثر ذلك على خط سير الرحلة الطويل ولم يمكن قطع زيارة فيجي.

وفي هذا اليوم ضاع يوم وضاعت معه زيارة دولة كنا نؤمل أن نطلع على أحوال المسلمين فيها عسى أن نتمكن من صنع شيء لمساعدتهم.

الرقص الوطني :

اعلن الفندق في لوحة على بابه أن الفرقة الفلانية للرقص الوطني ستحضر الليلة إلى الفندق وأن الفندق سيقدم عشاءاً بحرياً (سي فود) فكان سرورنا بالعشاء لأننا لم نشبع من الطعام في هذه البلاد.

ولكن عند ماقدم العشاء كان مقتصراً على شربة السمك وعلى سمك معتاد مقلي ثم الأرز وشيء حلو كالبطاطس وحسبوا ذلك بعشرة دولارات.

أما الرقص فكانوا قد أعلنوا ان رسم مشاهدته لغير النزلاء هو دولار واحد، ولم يحضر أناس كثيرون لأن البلدة صغيرة كما أن عدد نزلاء الفندق محدود ومع ذلك فقد حضر الحفلة حوالي اربعين شخصاً شربوا من المشروبات الباردة من الفندق كثيراً.

وجلست فرقة الرقص المؤلفة من راقصات وراقصين وعازفين وتضم حوالي عشرين بينهم طفلتان وليس على الجميع إلا اللباس التقليدي

القديم ولكن بصفة محسنة عندهم وهو لباس يقتصر على فوطة لستر العورة عند الرجال إلا أن الفوطة من شيء شبيه بأوراق الأشجار والنبات وأما النساء فإن تلك الفوطة يحيط بها حزام من الزهور البيض وكذلك قد وضعن على صدورهن شيئاً من ذلك وعلى الرؤس أكاليل من الزهور البيض وفي السواعد أساور من الزهور وحول العنق قلائد من الزهور أيضاً.

وقد بدأ حفل الرقص بموسيقى فغناء جماعي من الفرقة بإحدى لغاتهم الوطنية وهم جميعاً جلوس ثم بدأ الرقص بأن جعلوا الراقصات من الفتيات واعمارهن مابين الرابعة عشرة إلى السادسة عشرة يغنين وهن يترددون في المكان وجعلن يهززن أوساطهن عند كل نغمة وحركة وذلك كله من رقص لهم وطني متوارث لا أثر فيه للصنعة المستوردة فهم في هذا الميدان مثل أهل جزيرة بالي في اندونيسيا ولا أدري لم يكون لأهل الجزر الاستوائية رقصات خاصة بهم لها أهمية عندهم وتجري وفق أصول يحسنونها دون غيرهم.

وفي نهاية هذه الرقصة تقدمت الفتيات بأطواق الزهور يقلدنها الحاضرين ثم عادت الفرقة إلى غناء جماعي حيث غيروا الرقصة بأخرى على أنغام موسيقاهم الوطنية وأخرجوا خمساً من الراقصات عليهن اللباس الذي ذكرته ولكنه مختلف اللون واخذن يرقصن على انغام الموسيقى رقصات أهم مافيها عندهم هز الوسط والإشارة بالأيدي والأرجل إلى حكايات أشياء لانفهمها واطلاق زعقات بدائية عند بعض المقاطع من الغناء مع رفع الرؤس عاليا ممالة إلى إحدى الجهات مما يجعل المرء يتخيل عندما يسمع هذه الزعقات انها كصرخات أهل الغابات في القديم والجميع حافٍ لايرتدي نعالاً.

وقد استمر تناوب الراقصات الرقص والغناء حتى العاشرة مع

موسيقى لاتتبدل الآتها وإن كانت تختلف نغماتها في بعض الأحيان. وكانت مشاهدة هذا الرقص البلدي لجزر سلمون رمية من غير رام فلم نكن نرغب في الذهاب للبحث عنه لكنهم جاؤا به عند مكان العشاء.

يوم الخميس ١٤٠٣/٥/٢٥هـ ١٩٨٣/٣/١٠م.

ليس في سلمون مسلمون :

المعلومات القديمة التي لدينا تفيد بأنه لايوجد مسلمون مقيمون في جزر سلمون وإنما كان هناك أفراد من المسلمين من الذين كانوا قد أقاموا فيها للعمل جاؤا إليها من جزر فيجي ولكنهم عادوا كلهم ولم نستطع الحصول على عنوان أي مسلم واحد فيها قبل وصولنا رغم السؤال عن ذلك من الجمعيات الإسلامية في فيجي ونيوكلدونيا.

وعندما وصلنا إلى هذه الجزر سألنا عن ذلك وأحفينا السؤال ومن ذلك أن سألنا الدليل السياحي الصيني الذي هو سائق سيارتنا أمس وهو خبير بحال القوم فأجاب أنه كان يوجد بهائيون وأن الناس هنا أقبلوا على البهائية معتقدين أنها الإسلام وأنه هو نفسه كان يعتقد أن البهائيين مسلمون وقال: إن أتباع البهائية كثروا في وقت من الأوقات حتى بلغ عددهم خمسمائة. إلا أنه أضاف أن أكثرهم رجعوا عن ذلك الآن وأعرف منزل رجل بهائي واحد فطلبنا منه أن يوصلنا إليه فسأل عنه فقيل إنه غائب عن البلاد.

ومن المعلوم أن البهائية دين باطل، وأنه ليس من الإسلام في شيء، وأن البهائيين ليسوا مسلمين، ولكنه الجهل بالإسلام والمسلمين.

أهل سلمون مسالمون :

الانطباع الذي خرجنا به عن هذه البلاد أن أهلها رغم تخلفهم في ميدان المعيشة المادية هم مسالمون حسنوا المعاملة للغريب قليلوا الايذاء والاحتيال عليه.

بل إن الجرائم في بلادهم قليلة والأمن في المدينة مستتب والأجانب الذين كثيراً مايكونون هم أهل الشكوى من ذلك كالصينيين لايشكون من ذلك شيئاً.

إضافة إلى ماالمسناه من كونهم لايكرهون الأجانب بل ربما يعظمهم بعضهم إما لكونهم مصدر رزق لهم أو لشيء آخر.

ومع ذلك فإن عدد السياح الأجانب إلى بلادهم قليل بالنسبة إلى العدد الكبير الذي يصل إلى فيجي والعدد الأقل منه الذي يصل إلى جزر نيو هبر يدز (وانا واتو).

أو ربما يكون للسياحة عندهم موعد لم نصادفه.

السفر إلى أستراليا :

ومن هذه الجزر سافرنا إلى مدينة (برزبن) عاصمة ولاية كو ينز لاند في شرقي استراليا على طائرة من طائرات خطوط شركة الباسفيك الجوية ووجدناها على صغرها النسبي وهي نفاثة ذات محركين وكأنها (الجامبو) العملاق.

والحديث عن أستراليا والتجول فيها في كتاب «رحلات في القارة الأسترالية».

المحتويات

إلى فيجي ... مرة أخرى

إلى نيوكلدونيـــا

في واناواتو أو نيوهبريدز

إلى جزر سلمون



مطابع الفرزدق التجارية - الرياض
تلفون: ٤٨٢٤٨٦٥ - ٤٨٢٤٩٨٣